جامعة اليرمـــــوك
كلية الآداب
قســم التاريــخ



السُّلْطَانُ الْعُثْمانِيُّ سَلِيمُ الثَّالِثُ وإصلاحاتهِ/"التَّرْتِيبُ الْجَدِيدُ"

(١٢٠٣ - ١٢٢٣هـ/١٧٨٩ -١٨٠٨م)

Ottoman Sultan Selim III and his Reforms /The new Arrangement

(M 1808- 1789 /AH 1223- 1203)

إعداد الطالب

محمد علي رشاد بني عيسى

الرقم الجامــعي

2015340001

إشراف الدكتور

وليد صبحي العريض

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر من جامعة اليرموك

الفصل الدراسي الثاني 2018 م

اربد _ الأردن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

سورة طه: آية (١٢)

قرار لجنة المناقشة

السُّلْطَانُ الْعُثْمانيُ سَلِيمُ الثَّالِثُ وإصلاحاتِهِ/"التَّرْتِيبُ الْجَدِيدُ"

(1203- 1223هـ/1789-1808م)

إعداد الطالب

محمد علي رشاد بني عيسى

بكالوريوس تاريخ، جامعة اليرموك، 2014م.

قدمت هذه الرسالة استكمالاً للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة اليرموك، إربد، الأردن، 2018م.

وافق عليها



الدكتور: وليد صبحي العريض.................................... مشرفاً ورئيساً.

الاستاذ الدكتور: عبد المجيد الشناق..................................... عضواً.

الاستاذ الدكتور: أحمد الجوارنة .... عضواً.

الإهـــداء

إلى من سهرت الليالي وحملتني وهنا على وهن وأغدقت عليّ الحبَ والرعايةَ والتضحيةَ و الحنانَ وربتني على الصدقِ والوفاء... "أمي نبع الحنان"

إلى من آثــر على نفــسهِ وأفنى عمــره وشبابه وبــذل جهــده حتــى ربــى أبنــاءه وعلمـهـم معنــى الحياة .. "والدي الحبيب"

إلى من توّجت بينهـم بتاج العز والوفاء . . . "إخواني وأخواتي الأعزاء"

إلى من غابت عني وبقى صوتها الخافت يلازم وجداني وأحلامي ويشدني لإتمام مسيرتي العلمية . . . رغـم كلماتها البسيطة إلا أنها لازالت تحفزني وتطرب مسامعي قائلةً لي :" دير بالك يا جديتّي تجوز إلا تا تكمل تكتور" . "المرحومة جدتي الحبيبة"

إلى من كانوا عوناً وسنداً لي .. "أصدقائي ورفاق دربي"

إلى كل من ساعدني لإنجاز هذا العمل . . .

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي المتواضع مع المحبة و التقدير . . .

الطالب: محمد بني عيسى

شكــــر وتقدير...

الحمد لله الذي هدانا لكتابه، وفضّلنا على سائر الأمم بأكرم أحبابه، حمداً يستجلب المرغوب من رضائه، ويستعطف المخزون من عطاءه، ويجعلنا من الشاكرين لنعمائه والعارفين لأوليائه وآله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأمته أجمعين أما بعد . . .

فلا يسعني إلا أن أحمد الله" سبحانه وتعالى" الذي أعانني على إبراز هذا المجهود إلى حيز الوجود، وما كان ذلك ليتم إلا بفضله .

أتقدم بالشكر والعرفان إلى أستاذي الفاضل، المشرف الدكتور" وليد صبحي العريض"، لما قدمهُ لي من النصح والإرشاد في قواعد المنهج العلمي، وجعل طريقي سهلاً وخطواتي واثقة وعملي صائباً بمشيئة الله تعالى . . .

كما أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى العاملين في مكتبات المملكة الأردنية الهاشمية وأخص الذكر "جامعة اليرموك والأردنية وآل البيت ؛ لما حظيت بشرف انتهاز العلم والمعرفة بين رفوفهن . . .كذلك اقدم شكري إلى السفارة التركية في الأردن، وأرشيف مجلس الوزراء العثماني والقائمين عليه في اسطنبول لحسن إستقبالهم وتعاونهم الموصول .

ثبت المحتويات

الملخص باللغة العربية

بني عيسى، محمد علي رشاد، السُّلْطَانُ الْعُثْمانِيُّ سَلِيمُ الثَّالِثُ وإصلاحاتهِ/"التَّرْتِيبُ الْجَدِيدُ"، رسالة ماجستير بجامعة اليرموك، اربد، الأردن، 2018م. (المشرف د. وليد صبحي العريض)

جاءت هذه الدراسة لتغطي مرحلة من مراحل التاريخ الإصلاحي للدولة العثمانية، تمثلت بالسلطان العثماني سليم الثالث وإصلاحاته "الترتيب الجديد" بين أعوام (1203-1223هـ/1789-1808م)، إذ هدفت إلى تقديم صورة تحليلية للسلطان سليم الثالث وإصلاحاته والذي اعتُبِرَ نافذة الانفتاح على الغرب لتطبيق برنامجه الإصلاحي، وتبيَّن الباحث الأساليب التي انتهجها السلطان سليم الثالث لإنقاذ الدولة العثمانية من المخاطر الداخلية والخارجية، وأثر تلك المحاولة الإصلاحية في كتابة نهاية السلطان سليم الثالث مقتولاً.

شملت هذه الدراسة مقدمة واربعة فصول وخاتمة وقائمة لأبرز المصادر والمراجع التي تم الاعتماد عليها، وقد قدم الباحث في الفصل الأول صورة واضحة حول الفساد الإداري والعسكري الذي أحاط بمؤسسات الدولة العثمانية، وما ترتب عليها من مشاكل خارجية تمثلت بالثورات المحلية في الولايات التابعة للدولة العثمانية كآل العظم في بلاد الشام، والجليليون في الموصل، والصفويون في العراق، والحركة الوهابية في شبه الجزيرة العربية وغيرها من الحركات التي أسهمت إلى حدٍ ما في عرقلة مساعي بعض السلاطين العثمانيين للقيام بحركة الإصلاح كالسلطان مراد الرابع ومحمود الأول ومصطفى الثالث وعبد الحميد الأول إبَّانَ القرنين السابع عشر والثامن عشر.

تناول الفصل الثاني سيرة حياة السلطان سليم الثالث قُبيل اعتلائه سُدة الحكم من حيث الطفولة وأبرز صفاته، كما تم الإشارة إلى أبرز المؤيدين له كأمير وولي للعهد وهو في كنف عمه السلطان عبد الحميد الأول، ومن ثمَّ الإشارة إلى اعتلاء السلطان سليم العرش، والمشاكل التي

واجهتهُ في بداية حكمهِ من الناحيتين (الداخلية والخارجية حول بعض المشاكل الإدارية والاقتصادية والعسكرية وأثرها على الناحية الاجتماعية، كذلك بعض المشاكل الخارجية التي تمثلت في الحروب العسكرية ضد كل من روسيا والنمسا)، ثم أُشيرَ إلى أثر الثورة الفرنسية على تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث، وكيف أسهمت في توقد الفكر الإصلاحي لديه، والعمل أيضاً على إعادة بناء التوازنات الإستراتيجية مع فرنسا لمواجهة الخطر الروسي والنمساوي من جهة، وإجراء سلسلة من الإصلاحات من شانها إعادة هيكلة مؤسسات الدولة وفق النموذج الغربي من جهة أخرى.

في حين اشتمل الفصل الثالث على عدة محاور تضمن مفهوم الترتيب الجديد في عدة أراء، والخطوات التي اتخذها السلطان سليم الثالث تجاه دعاة الإصلاح، وأبرز الإصلاحات التي انتهجها السلطان في مختلف المجالات؛ إدارياً، عسكرياً، اقتصادياً، اجتماعياً، ومن ثمَّ إيضاح مكنون هذه الإصلاحات عن طريق عرض سلسلة من النتائج في مختلف المجالات، كذلك أُشيرَ إلى أبرز المآخذ التي وصفت السلطان سليم الثالث بعدة أوصاف أذنت بأن توغر صدور المحافظين بالتآمر عليه.

وتضمن الفصل الرابع المشاكل التي واجهت السلطان بعد إصداره الترتيب الجديد على الصعيدين الداخلي والخارجي، أما على الصعيد الداخلي فقد أُشيرَ إلى أبرز الثورات المحلية التي حدثت في مطلع القرن التاسع عشر، كذلك بعض ثورات الانكشارية في الولايات العثمانية، بينما المشاكل الخارجية فقد اشتمل الفصل الأخير أيضاً على عدة مشاكل أهمها حملة نابليون بونابرت على مصر(1213- 1216هـ/1798- 1801م) وكيف أسهمت هذه الحملة في فتور العلاقات العثمانية الفرنسية، كذلك وعودة العلاقات الدبلوماسية من جديد بعد الجلاء عن مصر من جهة

أخرى، ثم الحديث عن التحالف الروسي الانجليزي ضد الدولة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر، ومن ثمَّ انتصار الانكشارية ورجال الدين ونهاية حكم السلطان سليم الثالث ومقتله.

اشتملت الخاتمة على مجموعة من النتائج تم رصدها في نهاية الدراسة، ومن ثم أُرفِقَتْ الدراسة بمجموعة من الملاحق وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: السلطان العثماني سليم الثالث، الاصلاحات، الدولة العثمانية، الترتيب الجديد، النظام الجديد.

قائمة المختصرات العربية:

- ت : تاريخ الوفاة
- ج : الجزء
- د. ت: بدون تاريخ.
- د. ن: بدون ناشر
- د. ط: بدون طبعة.
- ص : صفحة.
- ط : طبعة.

المختصرات الأجنبية:

Cilt	C
Türk Tarih Kurumu	TTK
University Press	U P
Volume	Vol
Başbakanlık Osmanlı Arşivi	BOA

hicri aylar	الشهور الهجرية	اختصار الشهر في الوثائق العثمانية
Muharrem	محرم	M
Sefer	صفر	S
Rebi elevvel	ربيع الأول	Ra
Rebi ulahir	ربيع الآخر	R
Cemaziy elevvel	جماد الأول	Ca
Cenaziy elahir	جماد الآخر	C
Receb	رجب	B
Şaban	شعبان	ş
Ramazan	رمضان	N
Şevval	شوال	L
Zilkada	ذوالقعدة	Za
Zilhicce	ذوالحجة	Z

المقـــدمـــة:

تُمثل الدراسات المتعلقة بالتاريخ العثماني جزءاً مهماً في التاريخ الحديث والمعاصر؛ لما لها من أهمية واضحة في الكشف عن أحوال الدولة العثمانية في مجالات شتى، وما اكتنفها من جوانب الضعف خلال القرون الأخيرة من طور تاريخها، وبما أن الأمم تتعايش في طي التاريخ بدوراتٍ تتأرجح بين التقدم والتخلف، فقد مرت الدولة العثمانية بمراحل من القوة والتقدم على النقيض مما حدث في أوروبا التي مرت بحقبة مظلمة، وما تلاها من رواسب الإقطاع والفرسان، وفشل الكنيسة في أداء رسالتها وما نتج عنها من حروب دينية، وفي مطلع العصور الحديثة استفاقت أوروبا تدريجياً من غفوتها؛ بعد أن أخذت بأسباب التقدم والتطور لتصبح دولها متقدمة؛ والسبب معزو في ذلك إلى التفاتها لعوامل النهضة الحقيقية التي ضربت أصداءها في أوروبا على مراحل مختلفة وخاصة بعد الثورة الفرنسية والثورة الصناعية منها، في حين تراجعت الدولةُ العثمانية خلال تلك الفترة.

ومن هذا المنطلق فقد شهدت الدولة العثمانية في القرون الثلاثة الأخيرة حالة من التراجع على الصعيدين الداخلي والخارجي، مما دفع بعض السلاطين للقيام بمحاولات لإصلاح الخلل المتمثل بالفساد الإداري والعسكري، وخاصة بعد أن تبين أن وراء هذا الخلل السياسة التقليدية التي أنتهجتها الدولة العثمانية، ومؤسساتها الإدارية العاجزة عن إصلاح الفساد بشتى أشكاله كتوقف الفتوحات، وتحكم الحريم، وفساد نظام التيمار، وفشل المؤسسة العسكرية الانكشارية في أداء واجبها، وظهور الحكومات المحلية من جهة، والهزائم العسكرية من جهةٍ أخرى.

كما ظهر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تحولٌ حاسم في تاريخ الدولة العثمانية، بظهور تيار جديد يدعو إلى ضرورة إصلاح الدولة وتطويرها، ورغم أن عددًا من المؤرخين يعود

بجذور الإصلاحات العثمانية إلى القرن السادس عشر فأن فترة حكم السلاطين؛ المُشرع سليمان القانوني(926 -974هـ/1520 -1566م) ومراد الرابع (1032 -1050هـ/1623 -1640م) وأحمد الثالث (1115- 1143هـ/1703- 1730م) ثم محمود الأول (1143- 1168هـ/1730- 1754م) ومصطفى الثالث (1170- 1188هـ/ 1757–1774م) وعبد الحميد الأول (1187- 1203هـ/1774 -1789م)اعتبر عهدهم منطلقاً جديداً في تاريخ الدولة العثمانية؛ فقد ظهرت فيهم بوادر إصلاح الجيش والمالية، ومن ثم جاءت مرحلة أكثر جدية مما سبقت، متمثلة بالسلطان سليم الثالث (1203 - 1223هـ/1789 -1808م)، وهو الاتجاه المعروف عند العثمانيين "بالترتيب الجديد"؛ من أجل إصلاح الدولة وفق النظم الأوروبية وخاصة الجانب الإداري والعسكري منها، في حين وجد السلطان سليم الثالث نفسه بين فريقين؛ جانب مؤيد لمشروعهِ الجديد، وجانب معارض تمثل؛ بالعلماء والشيوخ (رجال الدين) والمؤسسة العسكرية التقليدية "الانكشارية"، إذ شكلوا حجر عثرة أمام حركة الإصلاح التي أسفرت عن إفشال هذا النظام والزجّ بالسلطان سليم الثالث في السجن ثم قتله؛ وذلك لتعارض مشروعهِ مع المصالح التقليدية لهذه الفئات.

- **أهميـة الدراســـــــة:**

تنبثق أهمية الدراسة من عدة اعتبارات:

١. جاءت الدراسة لتغطي مرحلة من مراحل التاريخ الإصلاحي للدولة العثمانية، إذ تمثلت بالسلطان سليم الثالث والترتيب الجديد خلال الفترة (1203- 1223هـ/1789- 1808م).
٢. تُعد هذه الدراسة - بحدود علم الباحث- الدراسة العربية الأولى التي اختصت بالجانب الإصلاحي للسلطان سليم الثالث (الترتيب الجديد)، وإنْ أشار بعض الباحثين عن إصلاحات

سليم الثالث في بعض الأبحاث التي مرت مرور الكرام دون تمحيص وتدقيق لهذه الإصلاحات.

٣. تقديم صورة واضحة عن الفساد الإداري والعسكري، وأثره في عرقلة مساعي السلطان سليم الثالث لتطبيق البرنامج الإصلاحي وخاصة الترتيب الجديد في زمن اتسم بالفتن والقلاقل.

٤. الكشف عن الأساليب التي أنتهجها السلطان سليم الثالث لإنقاذ الدولة العثمانية من المطامع التي تهدد كيانها، كالأطماع الداخلية والخارجية.

٥. تكمن أهمية هذه الدراسة في تشابك الأحداث فيها على الصعيد الداخلي للدولة العثمانية، والخارجي للولايات التابعة لها؛ إذ تناولت مفهوم الترتيب الجديد، ومشكلة الانكشارية ورفضهم للإصلاح على النمط الأوروبي وفق الترتيب الجديد، ثم المشاكل المتكررة من قبل روسيا والنمسا للاستحواذ على المناطق التابعة للدولة العثمانية، وقدوم الحملة الفرنسية على مصر(1213 – 1216هـ/ 1789- 1801م)، والمشاكل المتلاحقة في الولايات العربية للانفصال عن الدولة العثمانية...الخ

٦. يمكن أن تفيد هذه الدراسة المسؤولين والباحثين وذلك باطلاعهم على النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة لاستخلاص العبرة والفائدة.

– **أهـداف الدراســـــــة:**

تتمثل أهداف الدراسة بما يلي:

١. تهدف الدراسة في الكشف عن الأوضاع العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، من خلال التطرق لأسباب الضعف التي أصابت الدولة العثمانية.

٢. إبراز جذور الإصلاحات التي قام بها السلاطين العثمانيون قُبيل إصلاحات السلطان سليم الثالث خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

٣. التعريف بشخصية السلطان سليم الثالث، وبرنامجهِ الإصلاحي الذي طبقهُ في مجالات شتى؛ لتلاشي حالة الضعف التي أصابت الدولة العثمانية من جهة، والتخلص من الفساد الإداري والعسكري من جهةٍ أخرى.

٤. دراسة التأثيرات التي خلّفتها الإصلاحات العثمانية السابقة على النهج الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث، وخاصة الترتيب الجديد المقتبس من النظم الأوروبية.

٥. الإشارة إلى العلاقات الخارجية للسلطان سليم الثالث مع أوروبا لا سيما فرنسا والسويد التي جعل من قالبها الإصلاحي نواة الترتيب الجديد.

٦. التعرف على أثر الثورة الفرنسية في تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث.

٧. معرفة طبيعة الإصلاحات والمشاكل التي واجهها السلطان سليم الثالث إبَّان إصدار الترتيب الجديد وبعده في كافة المجالات.

- <u>**أسئلـــــــة الدراســـــــة:**</u>

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة عن السؤال الرئيس الآتي:

- **من هو السلطان سليم الثالث، وما أهمية البرنامج الإصلاحي الذي سُمِّي بالترتيب الجديد.؟**

وينبثق عن هذا السؤال الرئيس الأسئلة الفرعية الآتية موزعة حسب فصول الرسالة:

١. ما طبيعة الأوضاع العامة للدولة العثمانية إبَّانَ القرنين السابع عشر والثامن عشر من حيث أسباب الضعف الذي أصابها على الصعيد الداخلي الخارجي؟

٢. ما هي الخطوات الإصلاحية التي قام بها سلاطين بني عثمان خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر قُبيل اعتلاء السلطان سليم الثالث سُدَّة الحكم؟

٣. ما موقف الدولة العثمانية من الخطر الداخلي والخارجي الذي لازم السلطان سليم الثالث عند اعتلاء العرش؟

٤. هل للثورة الفرنسية دور في تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث؟

٥. ما هو الترتيب الجديد الذي نادى به السلطان سليم الثالث وفق برنامجه الإصلاحي الجديد؟

٦. ما المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهت السلطان سليم الثالث عند إصداره هذا النظام؟

٧. كيف ساهمت حركة الإصلاح في تطوير النظم الإدارية والعسكرية، والاقتصادية والتعليمية والاجتماعية في الدولة العثمانية؟

٨. ما النتائج التي تربت على حركة الإصلاح في الدولة العثمانية؟

٩. ما هي المآخذ التي أخذت على السلطان سليم حتى أصبح غير مرغوب فيه بين شعبه؟

١٠. ما هي المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهت السلطان سليم الثالث بعد إصداره الترتيب الجديد؟

١١. هل اعتبر الترتيب الجديد الفصل الأخير الذي كتب نهاية حياة السلطان سليم؟

أما الصعوبات التي واجهت الباحث أثناء جمع المادة العلمية فهي ما يلي:

- مشقة الرحلة التي تكبدها الباحث أثناء السفر إلى تركيا والوصول إلى أرشيف مجلس الوزراء العثماني في اسطنبول.
- صعوبة موازنة أوقات دوام الباحث في المدرسة مع ساعات انتهاء دوام المكتبات الجامعية.

- ندرة الوثائق التي تتحدث عن السلطان سليم الثالث وبرنامجه الترتيب الجديد في مكتبات الجامعات الأردنية.
- تعدد المصادر والمراجع وسعتها وغزارتها من جهة، وتناثر بعضها وصعوبة الوصول إلى أجزاء أخرى أو فقدان جزء منها من جهة أخرى.
- ضعف معرفة الباحث باللغة العثمانية، واللغات الأجنبية؛ لتشابك أحداث تلك الفترة مع فترة حكم السلطان سليم الثالث.
- ندرة المترجمين المختصين باللغة العثمانية، كما أن بعض الأعلام والأماكن لم يتوفر لها ترجمة للتعريف بها.

❖ **كما اتبع الباحث المنهج التاريخي في عرض المعلومات ومقارنتها.**

❖ **أما الحدود الدراسية للبحث فقسمت إلى حدين:**

- **<u>الحدود المكانية</u>**: تشابكت أحداث الدولة العثمانية خلال حكم السلطان سليم الثالث على النطاق المكاني الآتي: الأناضول، والروملي وشمال أفريقيا وجزر بحر سفيد (البحر المتوسط)، وروسيا وبعض الدول الأوروبية المستقلة كفرنسا والنمسا، والسويد،...الخ
- **<u>الحدود الزمانية للدراسة</u>**: جاءت الدراسة لتغطي مرحلة الإصلاح وفق الترتيب الجديد خلال الفترة (1203 - 1223هـ/1789- 1808م)، علماً بأن فترة حكم السلطان سليم الثالث انتهت في تموز عام 1807م، في حين تم إنهاء فترة الدراسة عام 1808م، العام الذي قتل فيه السلطان سليم الثالث.

– هيكلـــة الدراســـة:

اشتملت هذه الدراسة على الهيكل التنظيمي الآتي والذي تضمن مقدمة واربعة فصول وخاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع والملاحق.

- تناول الفصل الأول عرضاً سريعاً عن الأحوال العامة للدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مُسلّطاً الضوء على بعض المشكلات الداخلية في تلك الفترة: أبرزهن ضعف السلاطين وتوقف الفتوحات وتراجع الخدمة العسكرية في الدولة، وفساد نظم ومؤسسات الدولة؛ كنظام التيمار ونظام الدِّوشيرمة، وضعف النظام الاقتصادي والإداري كذلك موقف الكنسية من هذه الصراعات في اسطنبول.

- أما الأوضاع الخارجية: فقد تم الإشارة إلى أبرز المشاكل التي واجهت الدولة العثمانية ومنها العائلات المتنفذة والتمردات المحلية، مثل: مشكلة آل العظم في الشام والحركة الوهابية في الجزيرة العربية والمماليك في العراق ومصر. كذلك تم التطرق إلى أبرز الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. ومنها؛ هزيمة العثمانيين أمام النمسا في بلاد البلقان، وهزيمة العثمانيين أمام روسيا.

- تناولت الدراسة أهم المحطات الإصلاحية التي قام بها السلاطين العثمانيون قُبيل إصلاحات السلطان سليم الثالث، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ إذ تم التطرق إلى إصلاحات السلطان مراد الرابع، محمود الأول ، مصطفى الثالث وعبد الحميد الأول ، لا سيما الإشارة إلى المشاكل الداخلية والخارجية التي واجهت برنامجهم الإصلاحي.

- **تناول الفصل الثاني** : اعتلاء السلطان سليم الثالث العرش ثم تم الإشارة إلى جانب من شخصية السلطان، والمشاكل التي واجهتهُ خلال فترة حكمه على الصعيدين الداخلي المتمثل: بفساد المؤسسات الإدارية والعسكرية، ثم مشاكل في الجانب الاقتصادية والاجتماعي.

- أما على الصعيد الخارجي: فقد واجه السلطان سليم الثالث سلسلة من المشاكل تمثلت بالصراع مع روسيا والنمسا.
- كذلك تم الحديث عن أبرز نتائج المعارك العسكرية والتي رافقت الحرب العثمانية النمساوية والروسية في ضوء معاهدتي: زشتوى (1205هـ/1791م) وياش (1206هـ/1792م).
- كذلك تم الإشارة إلى أثر الثورة الفرنسية في تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث، من خلال التعرف على طبيعة تلك الثورة ومدى تأثر السلطان بنتائجها.

- **تمحور الفصل الثالث:** حول دور السلطان سليم الثالث في إصدارهِ للترتيب الجديد كمرحلة إصلاحية تنظيمية، وأبرز الإصلاحات التي قام بها على مختلف المجالات والنتائج التي ترتبت عليها.

– التعريف بالترتيب الجديد.
– الحديث عن الإصلاحات التي رافقت الترتيب الجديد في جانب المؤسسات: الإدارية، والعسكرية، والاقتصادية، والاجتماعية، والتعليمية.
– تناول هذا المبحث عن نتائج الإصلاحات التي قام بها السلطان في مختلف المجالات.

- **تناول الفصل الرابع:** المشاكل التي واجهت السلطان بعد إصداره للترتيب الجديد على الصعيدين: الداخلي والخارجي، حتى نهاية حكم السلطان سليم الثالث.

– أولاً: المشاكل الداخلية: الثورات المحلية، وفساد الانكشارية.

- ثانيا: المشاكل الخارجية: التي واجهها السلطان بعد إصداره "للترتيب الجديد" وخاصة حملة نابليون بونابرت على مصر(1213 -1216هـ/1798- 1801م) وأثرها على فتور العلاقات العثمانية الفرنسية، والصراع الروسي النمساوي.
- ثم التطرق إلى المرحلة الأخيرة وهي عزل السلطان سليم الثالث ثم التآمر على لقتله.

- **تحليل مصادر الدراسة**

اعتمدت هذه الدراسة على بعض الوثائق والمصادر الأصيلة التي عايش أصحابُها تلك الفترة؛ لاسيما الدراسات التي تناولت موضوع الإصلاحات العثمانية على فترات متلاحقة، لذا جاءت هذه الدراسة لتكون حلقة وصل ما بين النظام الإصلاحي القديم والترتيب الجديد. ومن هذه المصادر ما يلي:

١- الوثائق العثمانية:

على الرغم من المشقة التي عانى منها الباحث في سفره إلى مركز الأرشيف العثماني في إسطنبول **Başbakanlık Osmanlı Arşivi**، إلا أنها قدمت للباحث العديد من الوثائق القيمة التي تم استخدامها في متن هذه الدراسة، وقد أفرد لها عنوان خاص في بداية قائمة المصادر والمراجع.

أما سير الرحلة إلى اسطنبول فيعود جذورها إلى المرحلة الأولى لإعداد المخطط الاولي للدراسة، فقد تم الإشتراط علي من قبل اعضاء لجنة الدراسات العليا في قسم التاريخ، بضرورة الذهاب إلى مركز الأرشيف العثماني في إسطنبول **Başbakanlık Osmanlı Arşivi**، ولله الحمد بعد ان اتممت مرحلة الجمع والتفتيش عن المصادر والمراجع في مكتابات الجامعات الاردنية، انتقلت إلى المرحلة التالية بأن اسافر إلى اسطنبول للبحث عن الوثائق التي تخدم دراستي

وتدعم افكاري، وفي تاريخ (٢٠١٧/٧/٣٠م) قمتُ بزيارة إلى السفارة التركية في عمان، وارشدوني بضرورة احضار كتاب تسهيل مهمة من وزارة الخارجية، وفعلاً حصلت على كتاب موقع ومختوم لتسهيل مهمتي في اسطنبول، وفي تاريخ (٢٠١٧/٨/١م) رحلت عن وطني فجرًا وأسئل ذاتي هل تم وقت الرحيل؟ وها أنا انطلقت في رحلتي إلى بلد غريب سمعت عنهُ في القصص ونشرات الأخبار، وأخذتُ وأنا على متن الطائرة افكر بين الحين والأخرى وأطرح على نفسي الاسئلة، كيف سأتكلم اللغة وانا لا اجيدها؟ كيف سأتحمل تلك الغربة؟ وكيف لي أن أجد هذا الأرشيف الذي خرجت من اجله؟ كانت تلك الساعتين التي قضيتها وأنا على متن الطائرة من أصعب الأوقات التي رسمت طريقي وجعلتهُ افضل في ما بعد، نزلت في احد الفنادق في احياء اسطنبول، وفي اليوم التالي ذهبت صباحاً اتجول وأبحث عن منطقة تدعى "Kağıt Hane" _أرشدني لها مشرفي وأنا في الأردن_، وبعد عناء استطعت من الوصول اليها عبر حافلة الأوتوبيس، فنزلت بالقرب منها وأرشدني سائق الحافلة اليها، وفعلاً دخلت مركز الأرشيف بعد ان مررت بحراسة مشددة عبر بوابات الأرشيف، وللآمانة حظيت بترحيب من قبل العاملين في مركز الارشيف هناك، وقد أطلعتهم على هدف زيارتي، فرحبوا في وجلبوا لي أحد الموظفين من يتكلم العربية لكنهُ من اصول تركية، فقد ارشدني كيف لي ان اتصفح الوثائق وأستخرجها عبر جهاز الكومبيوتر، وفعلاً مكثتُ على هذا النحو طيلة فترة جلوسي في الارشيف من (التاسعة صباحاً وحتى السابعة مسائاً)، فالتقيت الكثير من العرب هناك من العراق ومصر وسوريا، وصادقت من الأتراك الطيبين، وكنا نتسامر ونساعد بعضنا البعض، كانت هذه التجربة من أجمل الأيام التي قضيتها في حياتي، وأبوح لكل من يقرأ كلماتي انهُ واللهِ "شعرت بدعاء امي طيلة فترة غربتي"، تذكرت ان الله بعون كل من يلتمس طريق العلم، وبعد فترة (١٠ ايام اي في ٢٠١٧/٨/١٠م) استطعت بأن أحصل على ما يقارب (5000) وثيقة تتعلق بفترة دراستي، استخدمت منها ما يقارب (75) وثيقة في متن الدراسة، كما تعلمت

الكثير عن هذا الشعب الطيب، وعن كرم ضيافتهم وعن طبيعة وروعة مناطقهم، وجمال مضيقهم وروعة بحرهم وحسن اهتمامهم بتاريخهم ومساجد وقصور سلاطينهم، والذي ادهشني ان احد رفاقي من الاصول التركية قال لي:"رغم صغر مدينة اسطنبول الا أن كثافة السكان عاليةٌ جداً، قد تصل إلى (5 ملايين نسمة) من الوطنيين والسياح والنازحين من سوريا الشقيقة وهذه يدل على روعة وجمال ومكانة اسطنبول في العالم.

٢- المصادر العثمانية والدراسات التركية:

استندت هذه الدراسة على بعض المصادر الرئيسية والدراسات التركية التي أفادت الباحث إلى حدٍ كبير ومنها: دراسات إسماعيل حقي أوزون جارشلي (I.Hakki Uzuncarsili) والذي استقى منه معلومات حول نشأت الدولة العثمانية ، كما تم الاعتماد على بعض المصادر كتاريخ جودت باشا والذي أرخ لفترة السلطان سليم الثالث وخاصة الجزء الخامس والسادس والسابع، وعاصم أفندي في كتابه تاريخ عاصم في الجزء الأول : إذ تضمن العديد من القضايا التي أشارت إلى بعض أوجه الإصلاح العسكري الذي أقامه السلطان، وأحمد لطفي في كتابه تاريخ لطفي والذي قدم صورة شمولية حول أوضاع الدولة العثمانية وجانب من إصلاحات السلطان سليم الثالث، وتاريخ "هامر Hammer" والذي أرَّخَ لفترة السلاطين العثمانيين خلال القرون الأولى وخاصة خلال القرن السابع عشر، وراسم أحمد أفندي في كتابه عثمانلي تاريخي فقد تناول الجزء الثالث حول فترة السلطان سليم الثالث ونظم الإصلاح في عهدة، أما محمود رئيف أفندي فقد تضمن كتابهُ حول التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية والذي تناول أوجه الإصلاحات التي عني السلطان سليم الثالث بترتيبها، في حين أشار السيد مصطفى في كتابه الموسوم بالإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر حول "نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م"

والذي تضمن معلومات جمة حول فن التحصينات العسكرية ونقد الحالة العسكرية بين القديم والجديد، وغيرها من الكتب الأخرى...

٣- **المصادر العربية المعربة.**

اشتملت هذه الدراسة على بعض المراجع العربية والمعربة ومن أهم هذه الدراسات تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار للجبرتي الذي أسهب في الحديث عن الحملة الفرنسية وفترة السلطان سليم الثالث، وفي كتابه الآخر مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس أيضاً، ومحمد فريد بك المحامي في كتابة "تاريخ الدولة العلية العثمانية" والذي قدم صورة شمولية عن أوضاع الدولة العثمانية، وتفاصيل حول سلاطين بنو عثمان، في حين قدم شكيب أرسلان في كتابه التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي: تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية، والذي تضمن بعض القضايا التي دفعت القوى الإستعمارية للسيطرة على مقدرات الدولة العثمانية، كذلك كتاب (يلماز اوزتونا) في تاريخ الدولة العثمانية، فقد تضمن المجلد الأول الكثير من المعلومات القيمة حول أوضاع الدولة العثمانية منذ النشأة، كما عالج إلى حد كبير فترة السلطان سليم الثالث وعهد التنظيمات،...الخ

في حين تطرقت هذه الدراسة لبعض المراجع المعربة والتي تطرق لها الباحث لاستقاء مادتهِ منها: يوسف أفندي آصاف في كتابه تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، وكتاب كارل بروكلمان الأتراك العثمانيون وحضارتهم، وتاريخ الدولة العثمانية الجزء الثاني تحرير روبير مانتران ودونالد كواترت في كتابه الدولة العثمانية، وأحمد آق كوندز وسعيد اوزتورك في كتابهما الدولة العثمانية 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وكتاب الدولة العثمانية تاريخ وحضارة تحرير أكمل الدين إحسان اوغلى ، وغيرهما من المصادر والمراجع التي تم الإشارة لها في متن هذه الدراسة، ومن ثم في قائمة المصادر والمراجع في نهاية الدراسة.

٤- **المراجع العربية:**

ومن المراجع العربية التي أرخت للدولة العثمانية في الجوانب السياسية والحضارية والعسكرية والتنظيمات الإصلاحية وغيرها فهي كثيرة وحصرها ليس بالأمر السهل ومن هذه الكتب التي ستفيد الدراسة: جمال عبد الهادي في كتابه أخطاء يجب أن تصحح في تاريخ الدولة العثمانية، خالد زيادة في كتابه اكتشاف التقدم الأوروبي، و الاستاذ المشرف وليد العريض في كتابه تاريخ الدولة العثمانية ودراسته التي افادتني بالدرجة الأولى في معرفة أهم المصادر والدراسات في تاريخ الدولة العثمانية خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، كما قدم صورة تحليلية لمفهوم الظلم وتاريخ الامتيازات، كما ساعدني الكتاب في تعريف الكثير من المصطلحات التاريخية والرجوع إلى مصادرها الاصلية، كما تم التطرق إلى كتاب خالد زيادة في التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، وإبراهيم محمد حسنين في كتابه سلاطين الدولة العثمانية"عوامل النهوض وأسباب السقوط" وغيرها من المراجع التي تم الرجوع إليها.

- **الدراسات السابقة:**

على الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت موضوع الإصلاح العثماني في شتى المجالات، إلا أنهُ تندر الدراسات العربية المتعلقة بإصلاحات السلطان سليم الثالث، وهذا ما تبين للباحث في طور إعداده للمخطط الأولي، وبعد شروع الباحث بمرحلة الجمع والتفتيش تم العثور على بعض الدراسات العربية والأجنبية المتعلقة بفترة السلطان سليم الثالث أهمها:

- دراسة ناهد إبراهيم الدسوقى حول بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية وأثر الغرب الأوروبي فيها (1789- 1807م)

هذه الدراسة متوفرة في الجامعة الأردنية؛ تبلورت هذه الدراسة حول إصلاحات الدولة العثمانية زمن السلطان سليم الثالث، وقد أستندت الباحثة في متن هذه الدراسة على بعض الوثائق الفرنسية دون الوثائق العثمانية، وهذا ما ميز دراستي عنها والتي أستندت على بعض الوثائق والمصادر العثمانية، كما قدمت دسوقى صورة شمولية حول سير الأحداث التاريخية بطريقة تميل إلى الإسهاب والاسترسال في الكلام، في حين أختلفت معها في بعض القضايا التي أشارت لها وجاءت بعض الوثائق العثمانية لتصحح ما أوردته. لهذا من الممكن أن تكون هذه الدراسة مكملة لدراسة الدسوقى في استخدامها لبعض الوثائق العثمانية والمصادر الأصيلة التي لم تشر لها في متن دراستها.

- دراسة ستانفورد. ج .شو. بين القديم والجديد الدولة العثمانية في عهد السلطان سليم الثالث، 1789- 1807م.

Between old and new; The Ottoman Empire under Sultan Selim III, 1789-1807 .

هذه الدراسة غير مترجمة وهي باللغة الإنجليزية، أشارت بشكل مفصل حول السلطان سليم الثالث وبرنامجه الإصلاحي النظام الجديد، وقد قدمت لي الشيء الكثير حول برنامج السلطان، ووجه المفارقة بين النظام القديم والنظام الجديد، إلا أني اختلفت عن هذه الدراسة من حيث تفصيل مفهوم "الترتيب الجديد" و"النظام الجديد" وهذا ما سيشار له في نتاجات الدراسة، بالإضافة إلى إيراد بعض الوثائق التي لم يأتِ بها ج.شو.

- دراسة أخرى لتونجاي زورلو بعنوان الابتكار وإمبراطورية في تركيا، زمن السلطان سليم الثالث والتحديث العثماني في مجال البحرية:

"Innovation and Empire in Turkey Sultan Selim III and the modernization of the Ottoman Navy"

هذه الدراسة غير مترجمة وهي باللغة الإنجليزية أيضاً، تضمنت هذه الدراسة السُبل التي اتبعها السلطان سليم الثالث لإصلاح البحرية العثمانية، وهي من الدراسات القيمة التي أمدت الباحث بالكثير من المعلومات حول إصلاحات السلطان البحرية، بالإضافة إلى اشتمالها على العديد من الوثائق القيمة، فجاءت هذه الدراسة لاستكمال ما قدمه زورلو في مجال الإصلاح البحري.

- كذلك يوجد بعض الدراسات المتعلقة بفترة السلطان سليم الثالث لمؤلفها "أنور ضياء قرال Enver Ziya Karal," وهي دراسات باللغة التركية تضمنت هذه الدراسات حول مفهوم النظام الجديد، وسبل الإصلاح العثماني، والخطوات التي أنتهجها السلطان لتنظيم الدولة العثمانية وهي أقرب إلى دراسة ج.شو من حيث المضمون وقد تم تفصيلها في قائمة المصادر والمراجع.
- كذلك جاءت هذه الدراسة كحلقة وصل ربطت حركة الإصلاح العثماني مع دراسة أخرى للباحثة ليلى الرويلي تحت عنوان السلطان محمود الثاني وإصلاحاته (1808 - 1839م).

وختاماً أرجو الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في ما اجتهدت، ويبقى كل عمل علمي خاضع للنقد والتمحيص والتجديد من قبل أساتذتي أعضاء لجنة المناقشة، فلهم كل الشكر والتقدير على قبولهم لمناقشة هذه الدراسة، وستكون ملحوظاتهم محط الاحترام والتقدير، فأن أصبت فأسال الله العون في ما قدمت، وإن أخطأت فهو تقصير مني لا محال.

<u>الفصـل الأول:</u>

الأحوال العامة للدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

أولاً: الدولة العثمانية ما بين القوة والضعف خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

الأحوال الداخلية:

أ - ضعف السلاطين.

ب -توقف الفتوحات.

ج -تراجع الخدمة العسكرية في الدولة.

د- فساد نظم ومؤسسات الدولة؛ كنظام التيمار ونظام الدِّوشيرمة.

هـ -ضعف النظام الإقتصادي.

و - ضعف النظام الإداري.

ز - استغلال الكنيسة ضعف الدولة العثمانية.

١- **الأحوال الخارجية:**

أ- العائلات المتنفذة والتمردات المحلية، ومن أبرزها:

a. مشكلة آل العظم في الشام (1133 -1222هـ/1720 -1807م).

b. الحركة الوهابية في الجزيرة العربية.

ب- الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر. ومن أبرزها:

a. هزيمة العثمانيين أمام النمسا في بلاد البلقان (1095هـ/1683م).

b. هزيمة العثمانيين أمام روسيا.

ثانياً: جذور الإصلاحات التي قام بها بعض السلاطين العثمانيين قُبيل إصلاحات. السلطان سليم الثالث:

١. إصلاحات السلطان مراد الرابع (1033 -1050هـ/1623 -1640م، وأبرز دعاة الإصلاح خلال القرن السابع عشر.

٢. إصلاحات السلطان أحمد الثالث (1115 -114هـ/1703 -1730م).

٣. إصلاحات السلطان محمود الأول (1143 -1163هـ/1730 -1758م).

٤. إصلاحات السلطان مصطفى الثالث (1117 -1187هـ/1757 -1774م).

٥. إصلاحات السلطان عبد الحميد الأول (1187 -1203هـ/1774 -1789م).

أولاً: الدولة العثمانية ما بين القوة والضعف خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر والمشاكل الداخلية والخارجية.

١- الأحوال الداخلية:

استمرت الدولة العثمانية لفترة زمنية طويلة ناهزت الستة قرون، على أرضٍ شاسعة تمتد عبر قارات العالم القديم، والتي تفصلها المضائق والخلجان وبعض الأنهار والبحار،ويقطن برَّها وجزرها بعض الشعوب من مختلف الأجناس والأديان،(١) وقد بلغت الدولة العثمانية في نهاية القرن السادس عشر، درجة كبيرة من القوة والأتساع؛(٢) إذ شملت "الأناضول Anadolu"(٣) و"الروملي

(1) Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)'Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri (1789-1856), Türk Tarih Kurumu Basimevi, Ankara, 1994, S.1-2.

(٢) أحمد، علي خليل، الدولة العثمانية في سنوات المحنة (المقدمات، الوقائع، النتائج)، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، 1432هـ/2011م،ص173.

(٣) منطقة جغرافية تشمل آسيا الصغرى، يحيط بها بحر إيجة وبحر مرمره والبحر الأسود، ثم اصبح في العهد العثماني يطلق على جميع أراضي الدولة العثمانية في آسيا أناضول. المغلوث، سامي بن عبدالله، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، 1435هـ/2014م، ص45؛ صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض،1421 هـ / 2000 م، ص45.

Vucinich , wayne s, The ottoman empire (its record and legacy), D.van nostrand company ,INC Princeton, newjersey,1965, p.28.

"Rumeli"(٤) وشمال أفريقيا(ليبيا وتونس والجزائر)، و"جزر بحر سفيد Sefid Adaları Denizi"(٥) وجميع جزر بحر ايجه، والبحر الأحمر.(٦)

أعتمدت الدولة العثمانية على نظامها الإداري والعسكري منذ تأسيسها، فقد كانت تؤثر في مجرى السياسة العالمية، في حين أخذت بالتراجع في مطلع القرن السادس عشر على النقيض من القوى العظمى؛ كـ "بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا"،إذ بدأت هذه القوى تعتمد على سُبل التقدم والتطور إبَّان القرنين السابع عشر و الثامن عشر،(٧) ويعد هذان القرنان مرحلة جديدة من التاريخ العثماني، إذ أُطلق على هذه الفترة مرحلة الضعف والتراجع، وبدأت أمارة الشيخوخة تلوح في الأفق وتأخذ طريقها إلى جسد الدولة حتى نهايتها في الربع الأول من القرن العشرين.(٨)، ويرجع هذا التراجع لعدة أسباب جاءت على النحو الآتي:

---

(٤) اسم أطلقه العثمانيون على أراضي الدولة الواقعة في أوربا، وهي من كلمة "روم" أي الرومان (البيزنطيين) والشق الثاني: "لي" وهي لاحقة في باللغة التركية تستخدم في نهاية الكلمة لجعلها صفة، ومجمل الكلمة تعني "الرومية"، أي البلاد أو الأرض الرومية وكانت تضم هنغاريا Hangary، ترانسلفانيا Transylvenia بلغاريا ورومانيا وجزء من شمال اليونان ويوغسلافيا. المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص333؛ Vucinich wayne s , Ibid, p.27

Vucinich wayne s , Ibid, p.27.

(٥) جزر البحر الأبيض المتوسط (صقليا، كورسيكا، رودس، مالطا، سردينيا) للمزيد حول هذه الجزر وأسماء القائمين عليها انظر:

Salname- yi Vilâyet- i Cezair- i Bahr- i Sefid ("Yearbook of the Vilayet of Cezair- i Bahr- i Sefid"), Cezair- i Bahr- i Sefid vilâyet matbaası, Rodos [Greece], 1293 AH /1876M ,S.40- 42؛ Vucinich , wayne s, Op.Cit, P.28. انظر ملحق رقم(١)

(6) Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)'Nizam- ı Cedid ve Tanzimat Devirleri (1789- 1856), S.1.

(٧) العريض، وليد صبحي، تاريخ الدولة العثمانية: التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية، دار الفكر، عمان، 2012م، ص104.

(٨) جودت، أحمد، تاريخ جودت، تعريب: عبد القادر أفندي الدَّنا، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، الرياض، 1420هـ/1999م. ص27.

أ - **ضعف السلاطين:**

حكم بعض سلاطين الدولة العثمانية الدولة بمركزية مطلقة، وحدث هذا في الأيام الأخيرة لحكم السلطان "سليمان القانونيKanunni Süleyman،[٩] إذ تولى بعده بعض السلاطين الضعاف الذين خضعوا لجناح الحريم السلطاني، وأبرزهن خاصيكي سلطان Haseki Sultan[١٠] والسلطانة قوسم أو كوسم K?sem[١١] والدة السلطان "مراد الرابعMurad IV' (1041-1055هـ/1622-1631م)،[١٢] فقد تميزن بميلهم للترف والبذخ في البلاط، حتى غدت الدولة في

---

(٩) ولد سليمان خان الأول (Sultan Süleyman-I Han Evvel) في (6/تشرين ثاني/1494م)، وتوفي في (7 /أيلول/ 1566م)، وهو عاشر السلاطين العثمانيين، بلغت الدولة الإسلامية في عهده أقصى اتساع لها حتى أصبحت أقوى دولة في العالم في ذلك الوقت، وصاحب أطول فترة حكم خلفاً لأبيه السلطان سليم خان الأول ، وخلفه ابنه السلطان سليم الثاني. انظر: أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سلمان، مراجعة وتنقيح: محمود الأنصاري، مؤسسة فيصل للتمويل، اسطنبول، 1988م، ج1، ص 260-280؛ للمزيد انظر:

Ahmed, Sayed Z, Zinat Empire, Majd Suleiman Majnevent and Geoffer. A.E.R. Publicities, 2001؛ Atel, the reign of Sultan Suleiman the Great. Washington, DC: National Art Exhibition, 1987.

(١٠) هي زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني من اصل روسي، وتُعرف أيضاً باسمها الأصلي "روكسيلانا" (Roxelana)، وعند الولادة كانت تسمى بالكساندرا ليسوفسكا (Alexandra Anastasia Lisowska) توفيت في 17 أبريل 1558م بعمر (54) وقيل (56) عاماً، بقصر طوب قابي باسطنبول. سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، د.ت، ص250.

(١١) **كوسِم** (بالتركية: K?sem Sultan) وتُعرف أيضاً باسم **السلطانة مهبيكر**(Mahpeyker Sultan)، أو"خاصكي كوسِم ماه بيكر سلطان"، واسمها الحقيقي "أناستاسيا" من أصل يوناني، عاشت في الفترة (1590–1651م)، وهي واحدة من أقوى النساء في التاريخ العثماني وأكثرهن نفوذاً وتلقب "**بالسلطانة الأم**". انظر ملحق رقم: (٢)

Howard, Douglas Arthur, The official History of Turkey, Greenwood Press, 2001,p. 195; Akbar, M. J. The Shade of Swords: Jihad and the Conflict Between Islam and Christianity, Routledge, 2002,p. 89.

(١٢) مراد الرابع بن أحمد الأول، عاش بين عامي (1021 - 1049 هـ) (26/ تموز/ 1612 - 9 /شباط/ 1640م)، حكم (17) عاما، وكان عمره آنذاك (11 عامًا)، ضمت بغداد للدولة العثمانية في عهده عام 1693 م، كان يجيد العربية والفارسية بالإضافة إلى التركية، وكان يكتب القصائد تحت اسم مرادي، كما كان موسيقيًا مميزًا،

عهدهم مسرحاً للفوضى والفساد، إذا ما استثني بعض السلاطين مثل:"محمد الثالث Mohamed III"(١٣)، ومراد الرابع و"مصطفى الثالث Mustafa III".(١٤) كما كانت عادة قتل الاخوة رغم انها مظهر يتنافى مع الاخلاق الا انها مادة قانونية في قانون الفاتح وقد جوز أكثر العلماء ذلك بقولهم: من أجل "الحفاظ على نظام العالم".(١٥) وقد صَيَّرَ اغتيال السلطان؛ أو قتل الأخوة وريثة عرشِ السلطنة صبيةً قاصرين وفاقدي الشخصية؛ فمثلاً كان مراد الرابع حينما تولى العرش ابن (8) سنوات، ومحمد الرابع(١٦) ابن (6) سنوات؛ لصغر سنهم فقد تلاعب الحريم بهم. ومنهم كذلك:

وقد اعتبر مراد الرابع أحد أعظم سلاطين الدولة العثمانية بعد السلطان سليمان القانوني. هامر، فون، دولت عثمانية تاريخي، طقوزنجى جلد، ترجمة: محمد عطا، دار الخلافة العلية أوقاف إسلامية مطبعة سى، 1335هـ/1919م، ص9-14؛ السيد، محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص111؛ العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص102-109.

Encyclopaedia of Islam, First Edition 1913- 1936.

(١٣) السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث عاش بين عامي (974 - 1012هـ) (26/ أيار/1566م -21/كانون أول/1603م). حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية، عالم الكتب، بيروت، 2002م، ص33.

(١٤) جلس السلطان على العرش ويبلغ من العمر (40 عامًا)، وتوفي في (24/ رمضان سنة 1176هـ- 8/ نيسان/1762م) وعمره يزيد على (57 عام)، دفن في قبره الكائن في جامع لاله. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص618؛ المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٦، 1988م، ص329.

(١٥) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص177-178.

(١٦) جلس السلطان محمد الرابع على عرش الدولة في السابعة من عمره، فقد ولد في (29 رمضان/ 1051هـ - 1/ كانون الثاني/ 1642م)، وبعد توليه الحكم أستكمل فتح جزيرة كريت. وفي صغره تولت جدته "كوسم مهبيكر" نيابة السلطنة، واستمرت فترة نيابتها ثلاث سنوات وأصبحت مقاليد الأمور في يديها، ساءت فيها أحوال الدولة وازدادت سوءًا على سوء، واستبد الإنكشارية بالحكم، وسيطروا على شئون الدولة، وتدخلوا في تصريف أمورها، ولم تسلم مؤسسات الدولة من استفحال خطرهم، وقد أطلق المؤرخون على هذه الفترة "سلطنة الأغوات".عزل السلطان عن الحكم في (18/رجب/1058هـ - 8/آب/1648م). أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص ص548-554.

أحمد الأول Ahmed I،[١٧] وعثمان الثاني المعروف بـ كينج عثمان (Genc Osman) أي عثمان الشاب[١٨]، و"إبراهيم الأول Ibrahim I"[١٩]. كما طُبِّق نظام جديد أضعف هيبة بعض السلاطين وهو ما يعرف "بنظام القفص Kafes" وهو الإقامة الجبرية داخل القصر، ومنع ولي العهد من الإنخراط مع رجال السلطة وأصحاب القرار؛ كما فعل الفاتح مع ابنه "بايزيد الثاني Bayezid II"[٢٠] وكان من شأن هذا أن جعل وريث العرش في عزلة عن العالم الخارجي

---

(١٧) السلطان العثماني الرابع عشر تولى الحكم وعمره (14عام) ، كان شاعرا وله ديوان مطبوع، وصل إلى الحكم عام (1012 - 1026هـ/1603 - 1617م). كان عهده عهد حروب وتمردات وثورات. الحسن، عيسى، تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008م، ص579؛ للمزيد انظر:

B?rekçi, Günhan. Factions And Favorites At The Courts Of Sultan Ahmed I (1603-1617) And His Immediate Predexessors, 2010, pp.18- 83؛ Bosworth, Clifford Edmund ,The Encyclopaedia of Islam: Fascicules 111-112 : Masrah Mawlid" p.799. Books.google.com. Retrieved. 21/8/2017.

(١٨) عثمان الثاني بن أحمد الأول تولى الحكم (1618 – 1622م) يُعد أول سلطان عثماني يموت مقتولاً نتيجة ثورة داخلية، ومن كان قبله من السلاطين ماتوا إما لأسباب طبيعية أو قتلوا في معارك. عامر، محمود علي، تاريخ الدولة العثمانية، جامعة دمشق، دمشق، 2004م، ص266؛ السيد، محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م، ص111.

(١٩) إبراهيم الأول بن أحمد الأول (5/تشرين ثاني/1615م – 18/آب/1648م)، جلس السلطان على العرش بعد وفاة أخيه السلطان مراد الرابع، قضى فترة إمارته في عهد أخويه عثمان الثاني ومراد الرابع بعيداً عن أي مهام، لم يكمل تحصيله العلمي، ولم تتوافر له المهارة العسكرية بسبب العزلة التي فرضت عليه في القفص، وفي بداية حكمه حاول أن يكون مثل أخيه السلطان مراد الرابع، ولكن لم تكن له صفاته؛ فاضطربت أمور الدولة، ومال إلى اللهو والترف حتى سمي عصره بعصر " السمور" إذ بلغ الفساد ذروته في عهده، وتذكر المصادر انه أنجب أكثر من، 100 ولد. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص494-495؛ آصاف، يوسف أفندي، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م، ص88.

(٢٠) السلطان العثماني الثامن بايزيد خان الثاني بن محمد الفاتح، تقلد الحكم منذ عام (886-918هـ/1481–1512م)، عرف عنه أنه كان يؤلف الشعر، ويؤلف الموسيقى ويتقن فن الخط العربي: السلطان بايزيد الثاني على الرابط التالي /https://ar.wikipedia.org/wiki : 28 أغسطس 2017م، الساعة:6:15 PM.

وتحت حراسة مشددة؛[٢١] كالسلطان سليمان الثاني (1098-1103هـ/1687-1691م) إذ كان مولعاً بالطعام وتوزيع البخشيش، والسلطان أحمد الثاني(1103-1107هـ/1691-1695م) إذ وصف بأنه لم يكن رجلاً سوياً بعد أن خرج من الإقامة الجبرية فقد كان يعاني الإضطراب النفسي أثر العزلة التي فرضت عليه،[٢٢] و"عثمان الثالث OsmanIII'(1168-1171هـ/1754–1757م) إذ قضى طفولته وشبابه حبيس اقبية القصر، فجَبَلَ الخوفُ جوارح جسده، وخالط الرعب خوالج نفسه، الأمر الذي أثر في حدة طبعه وكدر مزاجه.[٢٣]

يبدو أن هذا النظام أضعف من هيبة السلاطين وجعلهم في حالة الترهل والضعف ونقص الخبرة الإدارية والتكتيك العسكري، فكيف لسلطان أن يقود دولة بكافة مؤسساتها دون الاطلاع على طبيعة شؤونها الداخلة والخارجية وهو سجين القفص.؟!

كما كان لحالة الضعف أن تعاقب على سُدَّة الحكم خمس سلاطين خلال مدة عشرون عاماً فقط؛ بسبب الصراع مع قوات "الانكشارية Yeniçeriler"،[٢٤] و"شيوخ الإسلام İslam'ın"

---

(٢١) الرويلي، ليلى دامس عقيل، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته 1808-1839م، رسالة جامعية (ماجستير) غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب (عمان، الأردن)، قسم التاريخ، 2013م، ص20.

(٢٢) يقال: عند خروج السلطان أحمد الثاني من السجن قال: "لا أريد مُلكاً ولا سلطاناً، أريد رؤية الشمس، والاستماع إلى الحكايات، والقصص الخرافية، ومجالسة النساء". للمزيد انظر: عامر، محمود علي، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، دار الصفدي، دمشق، 1424هـ/ 2003م، ص128 - 129.

(٢٣)، عامر، محمود علي، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، ص135.

(٢٤) "ينيچرى تعني: "الجنود الجدد" أو"الجيش الجديد" طائفة عسكرية من فرق المشاة يعود جذورها إلى السلطان اورخان، وقد قامت أساساً على الأسرى المسيحيين، والذين زادت أعدادهم نتيجة الفتوحات العسكرية التي قامت بها الدولة العثمانية في مناطق البلقان على حساب الأملاك البيزنطية، كما شكلوا تنظيم خاص بهم حيث كانت لهم امتيازاتهم الخاصة والثكنات والشارات العسكرية حتى غدوا أقوى فرق الجيش العثماني تكتيكاً ونفوذاً. عوض، محمد مؤنس أحمد، الأتراك العثمانيون تاريخهم وحضارتهم، دار العالم العربي، القاهرة، 2010م، ص56؛ ميلاد، سلوى علي، الوثائق العثمانية " دراسة أرشيفية وثائقية لسجلات محكمة الباب العالي"، دار الثقافة العلمية، الإسكندرية، 2008م، ص637، 644؛ بيتروسيان، إيرينا، الإنكشاريون في الإمبراطورية العثمانية، جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، 1427هـ/2006م، ص ص5-13.

büyükleri[٢٥] كصراع السلطان عثمان الثاني مع الانكشارية والذي انتهى بمقتله سنة (1623/1032م).[٢٦] كما سبق ذكره.

لقد فتح ضعف السلاطين باب الفساد في المؤسسات الإدارية والعسكرية، فانتشرت الرشوة والمحسوبية، وأخذ الجيش الانكشاري يستغل هذا الضعف لصالحهم، فأصبح السلاطين ألعوبة بأيديهم.

كما زاد من هوة الفساد أن بدأ تأثير الغرب في مجال بناء القصور والإسراف والبذخ في مؤسسات الدولة إلى حد كبير، وقد ظهر جلياً زمن السلطان أحمد الثالث.[٢٧]

ب - توقف الفتوحات:

تعد القرون الثلاثة الأولى لحكم الدولة العثمانية، فترة الجهاد والغزو والتي لم يجلس بها السلاطين في القصور، وإنما قضوا معظم وقتهم في ميادين المعارك، وأخذ دوي انتصاراتهم يطرق أبواب القاصي والداني في الأناضول الروملي وبلاد فارس والشام ومصر وشمال أفريقيا، إلا أن هذا

---

(٢٥) منصب ديني رفيع أطلق على مفتي العاصمة العثمانية في اسطنبول، كان محط ثقة ومشورة لدى السلطان والصدر الأعظم والوزراء، وقد حظي بمكانة بارزة للغاية كونه رئيس هيئة العلماء، وأكبر شخصية في الهيئة الإسلامية، وقد أشار بعض ساسة الغرب أن مكانة شيخ الإسلام فاقت مركز البابا زعيم العالم المسيحي. وقد تم إلغاء هذا المنصب عام 1922م. شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني -1341 828هـ/1425-1922م، دراسة تاريخية - وثائقية شاملة حول مؤسسة شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، عدد المجلدات 2، اربد، الأردن، 2002، ص ٨-١٢؛ الدارندلی، عزت حسن أفندي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني مخطوطة " ضياء نامه "، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1999م، ص478؛ عوض، محمد مؤنس أحمد، الأتراك العثمانيون تاريخهم وحضارتهم، ص58؛

Zeine, zeine N, the emergence of Arab nationalism (with a background study of Arab – Turkish relations in the near east), third edition, Lebanon by imprimerie catholique, 1973, P.34- 35.

(٢٦) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي: دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة، بيروت، 1981م، ص24.

(٢٧) حسنين، إبراهيم محمد، سلاطين الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2014م، ص372.

الدوي بدأ بالتراجع رويداً رويداً، وضعفت المعنويات العسكرية بتراجع السلاطين إلى القصور واعتكافهم بها، حتى عرف عن هؤلاء السلاطين لقب "السلاطين الذين لا يراهم أحد"؛[٢٨] لانغماسهم في المتع الجنسية فوقعوا تحت سلطة الحريم والعبيد، حتى غدوا ألعوبة تنتهي بالسلطان إما بالقتل أو الخلع.[٢٩] كما كان القصر السلطاني يعج بأجنحة الوصيفات والجواري والغلمان، مما زاد الإسراف واضعف شان السلطنة[٣٠]، فأصبح بعض السلاطين ذا سلطة رمزية لا تتعدى التوقيع على بعض القرارات والمراسيم من قبل رجال الدولة باسم السلطان،[٣١] فتراجعت الفتوحات العثمانية وأصبحت في حالة الدفاع أكثر من الهجوم.[٣٢]

ج -تراجع الخدمة العسكرية في الدولة:

كان الجيش الانكشاري مشهوراً بالطاعة في ظل قيادة قوية وسلاطين عظام خلال القرون الثلاثة الأولى من نشأة الدولة، في حين تراجعت مكانتهم وأصبحوا في ما بعد مرضاً تفشى في جسم الدولة، ففرضوا على السلاطين الأعطيات والهبات (باغشيش أو البخشيش Bahşiş)[٣٣] وإلا عزفوا عن التدريب، وتسلطوا على الرعية وطمعوا بالغالي والنفيس، حتى ثوراتهم لم يسلم منها

---

(٢٨) العزاوي، قيس جواد، الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط2، 2003م، ص35.

(٢٩) الرويلي، ليلى دامس عقيل، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته 1808- 1839م، ص13، ص18.

(٣٠) العزاوي، قيس جواد، الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ص35؛ عامر، محمود علي، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، ص128.

(٣١) كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، تعريب: أيمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، 1424هـ/2004م، ص97.

(٣٢) العريض، وليد صبحي، تاريخ الدولة العثمانية، 110.

(٣٣) كلمة تركية من مصدر فارسي بخشيدن، ثم انتقلت إلى اللغة العثمانية وجاءت من المصدر العثماني(باغشلامق) ويعني العطاء أو الإهداء وقد تداولت هذه الكلمة عبر القرون ولا يزال يعمل بها إلى اليوم؛ شقيرات، أحمد صدقي، معجم الكلمات والألفاظ العثمانية - التركية الدخيلة في اللهجة العامية الأردنية، (معجم لغوي – تراثي – تأصيلي) وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2017، ص94.

وزراء الدولة كذلك السلطان نفسه، فكان مظهر عصيانهم: إما الهرب عند احتدام المعارك، أو تنصيب قائد وعزل قائد دون علم السلطان ومشورته، فقد استطاع الانكشارية زمن السلطان محمد الثالث (1595–1603) عزل (13) من الصدور العظام،[٣٤] ومنهم من اعتلى الصدارة لأكثر من مرة، كما عزل (7) وزراء بين (1622 -1632م)، مما زاد من خطر الإنكشارية.[٣٥] كما واعتمد الجيش الانكشاري على الأموال والرواتب فزادت أعدادهم، وكثر طمعهم واستفحل خطرهم، فمنهم من باع مرتباته للتجار المرابين، فأصبحوا يدخلون الثكنات ويقبضونها عوضاً عنهم.[٣٦]

يبدو أن هذه الظروف التي انتابت الجيش العثماني أضعفت من عصب الدولة وأخذت تترنح وتلفظ أنفاسها المتقطعة.

د - فساد نظم ومؤسسات الدولة كـ "نظام التيمار timar"[٣٧] و"نظام الدِّوشيرمة أو الدِّفْشيرمة devşirme"[٣٨].

(٣٤) لقب أطلق على الوزير الأول في الدولة العثمانية، وحضي بمكانة بارزة زمن السلطان محمد الفاتح، وامتد سلطانه على الإدارة المركزية في الدولة، إلا انه كان تحت رحمة المؤامرات والدسائس التي كانت تحاك من قبل الحريم والخصيان. عوض، محمد مؤنس، الأتراك العثمانيون تاريخهم وحضارتهم، ص58 -59.

(٣٥) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج1، ص39 -43؛ زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص24؛ العريض، وليد، تاريخ الدول العثمانية، ص102؛ نجم، زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010م، ص272.

(٣٦) سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص250؛ محمود، سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، ص348؛ طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 698 - 1343هـ/1299 -1924م، بيروت المحروسة، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م، ص248 -249؛ للمزيد حول فساد الإنكشارية انظر: جميل، محمد، فلسفة التاريخ العثماني "كيف نشأت وارتقت السلطنة العثمانية وإلى أي حد بلغت عظمتها"، مكتبة صادر، بيروت 1334هـ – 1925م، ص147 -151.

(٣٧) هو أحد الأنظمة العسكرية التي قامت في الدولة العثمانية، والتيمار هي قطعة من أرض تمنح لشخص أو جماعة وخاصة (السباهيين Sepahe) ومفردها سباهي وهم صنف من جند الفرسان. ميلاد، سلوى علي، الوثائق العثمانية"، ص641؛ صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص 76؛ الرويلي، ليلى دامس عقيل، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته 1808- 1839م، ص21.

يُعد هذان النظامان على رأس النظم التي انتابها الفساد، الأمر الذي ترك أثره العميق في التغييرات التي طرأت على الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، فكان وراء تمردهم سوء توزيع الإقطاع عليهم بالعدل، وتوزيعه على الموظفين أصحاب الجاه والسلطة والحظوة، كما لعب سكان الأرياف دوراً بطرد "السباهيينSepahe" وعائلاتهم بطرق مختلفة من إقطاعاتهم، أضف إلى ذلك زيادة النزاع بين جند "القابي قول أو القبوقولوKapikulu"(٣٩) و(السباهيين) وخاصة في الولايات التابعة للدولة مما أسفر عن فقدان الأمن، وعم الاضطراب، وسادت الفوضى وبات الخراب.(٤٠) كما كان لزيادة مصاريف الدولة من الخزينة أنْ جعلها شبه خاوية مما دفع السلاطين إلى فرض ضرائب جديدة على الرعايا الأمر الذي دفعهم إلى هجر أراضيهم وخراب ضياعهم.(٤١)

---

(٣٨) تنبع هذه الممارسة من الرغبة بإنشاء طبقة عليا من المحاربين تكون موالية فقط للسلطان، لا للنبلاء العثمانيين إذ تجنّد أولاداً من عائلات مسيحية، يتم تحويلهم بعد ذلك إلى الإسلام ويدربون كجنود إنكشارية، وقسم منهم درّبوا للعمل في الوظائف الإدارية للإمبراطورية. محمود، سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، ص 348، 354 -355؛ للمزيد انظر:الأرناؤوط، محمد، دراسات ووثائق حول الدفشرمة، ترجمة محمد الأرناؤوط، اربد، الأردن، 1991م؛

Taneri, Aydın, Osmanlı İmparatorluğunun kurulduğu tarih vezir- i a'zamlık, 1299- 1453, Universite ve Tarih- Firmağrafya 'Fakültesi, Ankara, 1974 ; "Devsirme" in "Encyclopaedia of the Orient.

(٣٩) لفظ عثماني معناه من كلمتين قابي: الباب، قول: الجند ويعني جنود الباب العالي للجيش السلطاني في اسطنبول، دمجهم الكثيرون في فئة الجيش الانكشاري وهذا خطأ، فهم فرقة مستقلة تأخذ أوامرها من السلطان مباشرة وليس من قائد الجيش العثماني، مهمتها الأساسية حماية قصر السلطان وكل ممتلكاته أينما كانت. ادلبي، أحمد، معاني الألقاب الدمشقية، تاريخ النشر/2009/09/25 م على الرابط https://ahmadedilbi.com؛ العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص40.

(٤٠) سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص251؛ محمود، سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية، ص348.

(٤١) محمود، سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية، ص348؛ گوندز، أحمد آق التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة: فاضل مهدي بيات، لجنة تاريخ بلاد الشام ، عمان، الأردن، 2004م، ص23 -24.

يبدو أن هذا النزاع سيودي إلى خطر جديد، من شانه أن يضعف الدولة داخلياً ويستنزف قدرتها وحيويتها، وهذا ما سيشار لهُ لاحقاً عند الحديث عن التمردات المحلية وهي بمثابة أبر وخزت خاصرة الدولة وأضعفت من كينونتها وقدرتها نوعاً ما.

هـ -ضعف النظام الاقتصادي:

كانت الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر تعاني ضعفاً تجارياً، على النقيض من أوروبا والتي اتبعت سياسة استهدفت التحكم بحركة الاستيراد والتصدير، إذ مكنها من السيطرة على أسواق التجارة العالمية؛ مما جعلها في مضمار التفوق السياسي والإقتصادي والعسكري،[٤٢] في حين اعتبر هذان القرنان عصر العسرة الاقتصادي والمالي للدولة العثمانية؛ نتيجة تدني عائدات الضرائب وخاصة جراء الهزائم العسكرية التي مُنيت بها الدولة العثمانية في بلاد البلقان، وازدياد النشاط التجاري البحري في أوروبا بعد اكتشاف طرق جديدة، فضعفت التجارة البرمائية العثمانية التي كانت تصل من آسيا إلى أوروبا والعكس، كما كان لتحول صادرات الذهب والفضة بعد اكتشاف أمريكا، من الأسواق العثمانية إلى الأسواق الأوروبية(Price Revolution)، نتج عنه هبوط قيمة العملة العثمانية والتلاعب في أوزانها[٤٣]

كان لازدياد الضرائب أن تقهقرت الزراعة والحرف، فكانت البلاد العربية أولى الولايات المتضررة نتيجة تدهور اقتصادها، وفي سنة(1107هـ/1695م) أخذت الدولة بجباية الضرائب بطريقة غير مباشرة؛ وذلك من خلال بيع التزام جباية الضرائب لمنطقة معينة لقاء مبلغ نقدي يدفعهُ

---

(٤٢) النابلسي، شاكر، عصر التكايا والرعايا'وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني(1516-1918م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م، ص340؛ حسون، علي محمد، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، 1983، ص68؛ كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص95.

(٤٣) العزاوي، قيس جواد، الدولة العثمانية، ص33-34.

الملتزم لخزينة الدولة، وبحلول عام (1115هـ/1703م) أصبح هذا النظام شائعاً في كل من بلاد البلقان والأناضول والأقطار العربية،(٤٤) ويذكر العزاوي انه خلال قرن واحد من (1583-1681م) زادت الضرائب بمعدل ثلاثة عشر مرة.(٤٥) وهذا يدل على ما يلي:

١- مدى حاجة الدولة للأموال لسد النفقات.

٢- حجم الضرر الذي لحق بالدولة جراء تحول الطرق الجديدة.

٣- تكالب الغرب على ضرب المصالح الاقتصادية للدولة العثمانية.

٤- فتح هوة كبيرة على الدولة العثمانية من قبل عوام الشعب لكثرة الضرائب.

٥- فَقَدَ حُكام الولايات ثقتهم بالدولة العثمانية الأمر الذي دفعهم إلى إعلان العصيان والتمرد.

٦- قيام أوروبا بإستيراد هائل للمواد الخام والسلع الإستراتجية؛ كالقمح والصوف والمعادن من الدولة العثمانية بأزهد الأسعار، وإعادة بيعها للدولة بعد تصنيعها بأسعار مرتفعة الأمر الذي جعل اقتصاد الدولة تحت رحمة الغرب.(٤٦)

٧- كان لحجم النفقات الكبيرة أن جعلت الخزينة شبه خاوية، مما دفع بعض السلاطين للاستدانة من اليهود مقابل فوائد فاحشة كالسلطان "محمود الأول Mahmut I"(٤٧) وهذا من شأنه أضعف الدولة نتيجة تحكم اليهود باقتصاد الأخيرة.(٤٨)

و - : ضعف النظام الإداري:

---

(٤٤) كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص105.

(٤٥) العزاوي، قيس، الدولة العثمانية، ص34.

(٤٦) بكر، عبد الوهاب، الدولة العثمانية ومصر في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، دار المعارف، 1982، ص46.

(٤٧) عاش خلال الفترة (2/آب/1696م – 13/كانون أول/ 1754م) أحد سلاطين الدولة العثمانية، تولى الحكم بعد عمه أحمد الثالث ، وكان عمره آنذاك (34سنة)، توفي وكان عمره يتجاوز الـ (58). أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص607 - 608.

(٤٨) عامر، محمود علي، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، ص132 -133.

من الصعب فصل الأسباب التي تقف وراء ضعف الدولة العثمانية، فكل عامل يرتبط بالآخر، فالنظام الإداري الذي يبرز واجهة الدولة، انتابهُ الضعف والقصور خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، حتى النظام القضائي والإفتاء انتابه بعض التشويه؛ فقد طعن في منصب القضاء والإفتاء عام (1003هـ/1594م)إذ عزل القاضي علاء أفندي دون أي سبب، كما لجأ قضاة العسكر إلى موارة الحقيقة عن السلطان ليحفظوا مناصبهم وكسب صداقة الوزراء،[٤٩] حتى محضيي السلطان وجدوا الطريق أمام طموحاتهم مفتوح، وقد حضوا واغتصبوا العديد من "الزيعامات Ziemat" والتيمارات وأعطوها إلى خدامهم.[٥٠]، كما لعب الصراع بين أركان الشعب والسلطة الإدارية دوراً في تحفيز المشاكل الداخلة والخارجية.[٥١] في حين تعنت بعض العلماء، وتمسكوا بالتقاليد القديمة، وقاوموا الإصلاح والتجديد وفق النُظم الأوروبية.[٥٢]

ز - استغلال الكنيسة ضعف الدولة العثمانية:

انتهج العثمانيون سياسة تقضي بعدم التعرض لأهل الكتاب، وسُمِحَ لهم بممارسة شؤونهم الدينية الخاصة،[٥٣]وتعود صلة العثمانيين بالكنيسة بعد الفتح العثماني للقسطنطينية على يد السلطان الفاتح[٥٤]، إذ تمثل هذا بالتسامح الديني الذي دعا إليه السلطان، بأجراء انتخابات لاختيار

---

(٤٩) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص25 .

(٥٠) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص25 ؛ محمود، سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية، ص348.

(٥١) كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص99.

(٥٢) العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص110 -111.

(٥٣) كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص37.

(٥٤) فتح القسطنطينية؛ İstanbul'un Fethi، هو الاسمُ الذي يُطلق على أحد أبرز أحداث الفتح العسكري الإسلامي خلال القرن الخامس عشر، وهو سُقوط مدينة القسطنطينيَّة عاصمة الإمبراطوريَّة البيزنطيَّة الشرقيَّة، بعد حصارٍ دام من يوم (الجُمعة 26 ربيع الأول حتّى يوم الثُلاثاء 21 جمادى الأولى سنة 857هـ المُوافق فيه 5 نيسان حتّى 29 أيَّار سنة 1453م) وفق التقويم اليولياني، حينما انهارت دفاعات الروم ووقعت المدينة لُقمةً سائغة بيد العُثمانيين. العُمري، عبدُ العزيز بن إبراهيم بن سُليمان الفتوح الإسلاميَّة عبر العُصور، دراسة تاريخيَّة لحركة

بطريرك جديد لمنصب البطريركية وتم هذا الأمر ولقبه السلطان "برأس المِلَّةُ K?stebek" başkanı[٥٥]، إذ اعترف به الأخير على انه ذو كيان ديني مستقل، وله حق التحدث في الديوان، وفي أي وقت شاء، وفي أي موضوع يفضي لمصلحة أتباعه، كما لم تتدخل الدولة في الشؤون التعليمية الكنسية، ولعب البطريرك بفضل الامتيازات التي منحت له في كنف الدولة العثمانية، دورًا أكثر أهمية من الذي لَعِبَهُ في عهد الدولة البيزنطية.[٥٦]

يعد التسامح الديني مظهرًا من مظاهر احترام الأديان والتعايش السلمي، إلا أن هذا التسامح يبدو انهُ اضعف من هيبة الدولة، وحفز على إثارة الفتن والقلاقل وقد ظهر جلياً من خلال ما يأتي:

- تناسى البطريرك واجبه الروحي ولجأ إلى عمل السياسة.
- كان لسياسة التسامح الديني التي منحتها الدولة العثمانية لرعاياها المسيحيين، أن فتحت باب الولع للاستقلال والانفصال عن الدولة، بل والعمل على تجزئتها وإضعافها في شتى المجالات إذا ما سنحت لهم الفرصة لذلك.
- كان لجهل العثمانيين باللغة الرومية واللغات الأوروبية، أن جعل غالبية موظفين الدولة من العناصر التي تدين بالولاء للكنيسة، ولعبت أيديهم بالخفاء لإضعاف مؤسسات الدولة.
- لعبت البطريركية أموراً هامة لصالح أهدافها؛ إذ استغلت المدارس وأعدت جيل قادر على التخطيط المنظم للعمل الثوري في بلاد البلقان للاستقلال عن الدولة وإضعافها.

الجهاد الإسلاميّ من عصر الرسول ﷺ حتى أواخر العصر العثماني: مركز الدراسات والإعلام دار أشبيليا، الرياض، السعودية،(1418هـ -1997م)، ص ص358 -366.

(٥٥) لقب أطلقه السلطان على من يرعى شؤون المسيحيين في الدولة العثمانية و يعني الرياسة المدنية وإدارة الشؤون المدنية للنصارى المسيحيين. شاهين، ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ترجمة: محمد حرب، دار المنايرة، جدة، 1997م، ص25.

(٥٦) شاهين، ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ص27.

- لعب بعض المترجمين الأجانب التابعين للكنيسة دوراً خطيراً في إضعاف الدولة بحكم موقعهم إما في الديوان السلطاني أوفي الجيش العثماني، وقد ثبت أيضاً أن مترجم من أتباع الكنيسة كان يعمل جاسوساً لصالح الجيش الروسي، ضد الدولة العثمانية بحكم منصبه كترجمان الجيش العثماني.[٥٧]
- لم يكن الزواج من اليهوديات والقوميات الأخرى محظوراً على السلاطين، فكان جُلَّ انتقائهم الجمال والرقة، بصرف النظر عن القومية واللغة والدين، الأمر الذي أدى إلى اختلال النسيج الاجتماعي للقصر، والعمل على إثارة القلاقل والفتن.[٥٨]
- كان لعوامل التدخل العسكري والفكري في شؤون الدولة العثمانية؛ بحجة حماية الأقليات ظاهرياً، وفي الباطن القضاء على الإسلام وطرد الحاميات العثمانية من أوروبا.[٥٩]
- استغلال الماسونية الصهيونية اضطرابات الدولة وبدأت نشاطها في اسطنبول عام (1094هـ/1693م)؛ لتقوية مراكزهم ونفوذهم.[٦٠]

٢ - : الأحوال الخارجية:

أ - :العائلات المتنفذة والتمردات المحلية:

أدى ضعف السلطة المركزية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر إلى ظهور العائلات المتنفذة، والعصبيات المحلية،[٦١] وتشكلت من هذه العائلات سلطة محلية تحكم باسم السلطان

---

(٥٧) شاهين، ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ص 42-45.

(٥٨) عامر، محمود، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، ص129؛ نجم، زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ص274.

(٥٩) الوذيناني، خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية حتى عام 1327هـ/1909م، رسالة دكتوراه منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1996م، ص255.

(٦٠) الوذيناني، خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية حتى عام 1327هـ/1909م، ص270-271، 275.

(٦١) بكر، عبد الوهاب، الدولة العثمانية ومصر، ص27.

خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر؛ لامتلاكها القوة العسكرية والمادية، ومن أشهر هذه العائلات:

a) **آل العظم في الشام**،[٦٢] والقرمنليون في ليبيا[٦٣]، والحسينيون في تونس،[٦٤]و"الدايات 'Dayı' في الجزائر[٦٥]، والمماليك في العراق[٦٦] وعلي بك الكبير الذي استفحل خطره في مصر، إذ تَحَيِّنَ فرصة انشغال الدولة العثمانية بحربها مع الروس، فطالب الاعتراف به

(٦٢) أسرة عربيه حكمت بلاد الشام ما بين (1133-1222هـ)/(1720-1807م) تقريبًا ويمتد تاريخها لأكثر من (800 عام)، وقد سطع نجم آل العظم في القرن السابع عشر حينما تحقق لجدهم الأعلى إبراهيم العظم. للمزيد انظر:

Douwes, Dick, The Ottomans in Syria, a history of justice and oppression, I.B. Tauris, 2000, p.p.45-47,69.

(٦٣) هي أسرة حكمت ليبيا لمدة قرن وربع تقريباً. حيث قاد أحمد القرمانلي ثورة شعبية أطاحت بالوالي العثماني عام (1123هـ/ 1711م)، وأصبحت تنعم بنوع من الاستقلال عن الدولة العثمانية. للمزيد انظر:

McLachlan, K. S. "Tripoli and Tripolitania: Conflict and Cohesion during the Period of the Barbary Corsairs (1551-1850)." Transactions of the Institute of British Geographers,(1978),p.p 285-294.

(٦٤) سلالة من البايات حكمت في تونس سنوات (1117-1377هـ)/(1705-1957م). وتنحدر أصولها من كريت، مؤسس السلالة الحسين بن علي (1705 - 1735م). بيومي، زكريا سليمان، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية: التحالف الاستعماري اليهودي وتمزيق الدولة الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة، 2009م، ص119، 123؛ Vucinich , wayne s, Op.Cit, p.29.

(٦٥) هو عبارة عن لقب حمله حكام مجلس الوصاية على الجزائر أثناء فترة الحكم العثماني، في حين تعتبر فترة الدايات من أهم الفترات التي مرت بها الجزائر بعد عهد البايلربايات، والباشوات والآغات، حيث دامت مدة (159 عام) ويمكن أن نطلق على هذه المرحلة بمرحلة الاستقلال الحقيقي للجزائر عن الدولة العثمانية. بوزيفي، وهيبة، الجزائر في ظل الحكم التركي العثماني (1518 - 1830م)، تاريخ المقال الاثنين،2016/1/4م، تم الاطلاع عليه بتاريخ 2017/9/21م على الرابط: http://bouzifiwahiba.blogspot.com/2016/01/1518-1830.html؛ بيومي، زكريا، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية، ص119-120.

(٦٦) كان لتراجع مركزية السلطة العثمانية، وتكالب المصائب عليها، أن جعل أصحاب الأطماع يستفردون بولايتهم؛ إما بالاستقلال المحلي والتبعية الاسمية، أو بشق عصا الطاعة وإعلان العصيان والتمرد ضد الدولة. رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، ص236.

والياً على مصر لكن السلطان رفض ذلك، فأعلن علي بك التمرد(٦٧) وطرد أي والي يُعين من قبل السلطان، وزاد على ذلك أن سك النقود باسمه، وتحالف مع الروس إلى جانب ظاهر العمر لضم بلاد الشام، ولولا تمرد قائده أبي الذهب لتم مرادهُ، كما برز تمرد ظاهر العمر في فلسطين(٦٨)، والجليليون في الموصل.(٦٩) ومشكلة الأمير فخر الدين المعني الثاني(980 - 1044 هـ / 1572 - 1635م)، والذي بدوره تحالف مع ايطاليا عام(1023هـ/1614م).(٧٠)

---

(٦٧) لقب علي بك الكبير (بـ جن علي، وقبطان علي، وعلي بك القازوغلي) تولى مشيخة البلد سنة (1174هـ/1760م) واخضع أمورها الداخلية، وقد تم القضاء عليه من قبل الوالي أحمد باشا الجزار والي عكا سنة (1204هـ/1790م) بيومي، زكريا، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية، ص 121 -122.

(٦٨) هو عربي الأصل استطاع الحصول على التزام منطقة طبريا في فلسطين من باشا صيدا سنة (1147هـ/ 1733م) إذ استطاع من إثبات قدرته الإدارية فيها، فكان لسياسته أن استطاع ضم التزام صفد سنة (1147هـ/1739م) ثم أعاد تحصين عكا ضد أمراء الدروز وفي عام (1742م) ولما شكت الدولة العثمانية في نواياه تحالف مع علي بك الكبير شيخ البلد في مصر وساعده على غزو بلاد الشام ثم تحالف في العام التالي مع الأمير يوسف الدرزي وتمكن بمساعدة الأسطول الروسي من الاستيلاء على بيروت وطرد حاكمها أحمد باشا الجزار، كان لهذا الدور أن استفز الدولة العثمانية، فشعر ظاهر العمر بالخطر وخاصة بعد انقلاب محمد أبو الذهب احد قادة علي بك الكبير ضد سيده، الأمر الذي دفع الدولة العثمانية لاستغلال هذا الموقف والاستفراد بظاهر العمر وحدث ما أكنتهُ الدولة إذ استطاعت القوات العثمانية _بعد الانتهاء من حربها مع روسيا القيصرية_ من هزيمة ظاهر العمر وقتله سنة (1189هـ/1775م).بيومي، زكريا سليمان، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية، ص122 -123. أما صورة ظاهر العمر انظر ملحق رقم:(٣).

(٦٩) اعترف السلطان بآل الجليلي وخاصة حسن باشا وابنه أحمد باشا، وقد تعاقب على حكم بغداد أربعة وثلاثون والياً لم يبلغوا الشهرة التي حضي بها حسن باشا في الفترة الممتدة (1048 -1116هـ)/(1638 -1704م) والذي أصبح والياً عليها عام (1116هـ/ 1704م). الرويلي، ليلى، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته، ص23؛ رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، منشورات جامعة دمشق، دمشق، ط5، 1416 -1417هـ/ 1997- 1997م، ص236 -237.

(٧٠) هو أحد أمراء لبنان من آل معن الدروز الذين حكموا إمارة الشوف إذ وحد فخر الدين جميع إمارات الساحل الشامي. يُعتبر فخر الدين الثاني أعظم وأشهر أمراء بلاد الشام عموماً ولبنان خصوصاً، إذ أنه حكم المناطق الممتدة بين يافا وطرابلس باعتراف ورضا الدولة العثمانية، ثم أعلن فخر الدين تمرده على الدولة العثمانية بمساعدة أمير حلب علي باشا جنبلاط، والذي ثار الأخير في حلب معتمداً على قوات من المرتزقة من جموع السكان. للمزيد

يبدو أن رضوخ الدولة العثمانية لمطالب الولاة، يدل على حالة الضعف الذي لامس مؤسساتها، الأمر الذي دفع سلاطين القرن الثامن عشر تجنب الخوض في معارك مع الولاة؛ لانشغالهم بالخطر الأوروبي.

و تعرضت الدولة العثمانية لخطر ازدياد نفوذ البدو وغاراتهم، ويعود جذور هذا الصدام بعد احتلال العثمانيين لبلاد الشام عام (922هـ/1516م)، وبرز خطرهم في البقاع وعلى الطرق التي تربط حلب بدمشق وطرق الحج الشامي، فقد اتخذت الدولة العثمانية إزاء هذا الخطر كسب ود البدو من خلال شراء ولاءهم عن طريق المال، وقد تمكن السلطان مراد الرابع من إخضاعهم تحت سيطرته، إلا أن هذا التمرد عاد من جديد بعد وفاة الأخير.[٧١]

يبدو أن البدو بقوا حجر عثرة أمام الدولة، الأمر الذي خلق مشكلة محلية أخرى بسبب؛ فقدان الحجاج والتجار المحليين ثقتهم بالدولة، إذ كانوا يتعرضون لعمليات السطو والسلب والنهب اثر غارات البدو المحلية الأمر الذي اضعف من هيبة الدولة.

B) الحركة الوهابية في الجزيرة العربية:

كانت للحركة الوهابية[٧٢] في بلاد نجد والحجاز نصيب كبير في مضمار الدولة العثمانية، فكانت من الحركات المناهضة للعثمانيين في الجزيرة العربية، وإن كان الهدف المعلن العودة إلى الإسلام وصفائه الأول، إلا أن الهدف الخفي ظهر بمظهر التحدي السياسي للعثمانيين.[٧٣]

انظر: بهيج عثمان، وآخرون، المصور في التاريخ، الجزء السابع، دار العلم للملايين، ط6،1999؛ ص16؛ عامر، محمود علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص268.

(٧١) رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، ص231.

(٧٢) نشأت الحركة الوهابية بين سكان المدن على يد مؤسسها محمد بن عبد الوهاب ولد عام (1115هـ/1703م) وهو من أسرة قضاة حنابلة في منطقة (العيينة) نال العلم في الحجاز والبصرة، ونبذ مظاهر الوثنية" فنبذ لذلك وطرد من العيينة، ورحل إلى الدرعية حيث حضي بحماية ابن سعود، ونتيجة هذا التحالف انبثقت فكرة الدولة الوهابية السعودية، فتمكنوا من السيطرة على نجد عام (1202هـ/1787م) وبعض المناطق في الإحساء والبحرين

ب - **الهزائم العسكرية التي منيت بها الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.**

هزيمة الدولة العثمانية أمام البرتغاليين في الخليج العربي، الأمر الذي كان له الأثر على ازدياد النفوذ البرتغالي في مضيق باب المندب، وطرد السفن العثمانية من المحيط الهندي حتى عام (1060هـ/1650م.[٧٤]

حرب الدولة العثمانية مع الصفويين خلال القرن الثامن عشر: كان لهذا الخطر الدور البارز في إضعاف الدولة، الأمر الذي حفز الغرب لاستغلال موقف انشغال الدولة بحروبها مع الشرق، وعملوا على انتزاع أراضيها رويداً رويداً.[٧٥]

a - هزيمة العثمانيين أمام النمسا في البلقان عام (1095هـ/1683م) وفشل فتح فيينا للمرة الثانية، الأمر الذي جعل من النمسا العدو التقليدي للدولة خلال هذا القرنين.[٧٦]ومن هذه المعارك

ثم مكة المكرمة عام (1218هـ/1803م) والمدينة المنورة وعسير عام (1220هـ/1805م)، ثم انتشرت دعوتها بالقوة في العراق وبلاد الشام الجنوبية، إلا أنها فشلت بعد القضاء عليها عام(1818م) على يد محمد علي باشا والي مصر. ابن غنام، حسين، تاريخ نجد المسمى:" روضة الأفكار والإفهام لمرقاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام"، ج2، المكتبة الأهلية، نجد، الرياض، 1368هـ/1949م، ج1، ص8-11؛ العيسى، محمد فهد، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، تقديم: حمد الجاسر، مكتبة العبيكان، السعودية، 1415هـ/1965م،ص81-83؛ Zeine, zeine N, Op.Cit.p.10.

(٧٣) رافق، عبد الكريم، المشرق العربي في العهد العثماني، ص249-250.

(٧٤) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى انقلاب الخلافة، ص245.

(٧٥) كانت من أهم مراحل الحرب العثمانية الفارسية سنة (1143-1149هـ)/(1730-1735م) بين قوات الدولة الدولة العثمانية والدولة الصفوية بقيادة نادر شاه - (طهماسب قولي تعني خادم الشاه) - ثم بعد ذلك عَزَلَ الشاه الصفوي ونصب نفسه كشاه جديد- كان من نتيجة الحرب، أن أعادت السيطرة الفارسية على ما يقرب جميع أراضي القوقاز كما قام بإخراج القوات العثمانية من إيران وهذه مرحلة من مراحل الضعف العثماني في بلاد فارس.أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص603-604، 612؛ السيد، محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ص122؛ طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب، ص267؛
عطرجي، علوي بن حسن، الصفويون والدولة العثمانية، مراجعة: محمد حسن بن عقيل موسى، دار الأندلس الخضراء، جدة، 1994م، ص ص 27-53.

معركة زانطة (Zenta Muharebesi)[٧٧]أحدا أهم المعارك التي فقدت الدولة أجزاء من أراضيها بموجب معاهدة كارل لفيتش أو كارلوفجه(Carlufça) (1110هـ/1699م)[٧٨]وقد وصفها يلماز أوزتونا "بسنوات المصيبة"[٧٩]

b- **هزيمة العثمانيين أمام روسيا**: ازداد وضع الدولة العثمانية سوءًا خلال أوائل القرن الثامن عشر، وفي عهد السلطان أحمد الثالث[٨٠] تحديدًا، حيث طلبت السويد دعم العثمانيين لها في حربها ضد الروس، لكن العثمانيين رفضوا في بداية الأمر، فمالت كفة الميزان لصالح الروس إذ هزموا السويد وأرغموا ملكها على الفرار ملتجئً إلى بلاد الترك، وعندما قررت الدولة العثمانية خوض الحرب أخيرًا، سنحت لها الفرصة أن تقضي على القيصر بطرس الأكبر،[٨١] لكن الصدر

---

(٧٦) محمود، سيد محمد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، ص383.

(٧٧) سلطان، علي، تاريخ الدولة العثماني، ص253.

(٧٨) عقدت هذه المعاهدة في مدينة كارلوفجه على بعد (65 كم) شمال غرب بلغراد. بتوسط كل من انجلترا وهولندا، ووافق السلطان مصطفى الثاني على ذلك، ونصت هذه المعاهدة على تنازل الدولة العثمانية عن كافة بلاد المجر وإقليم ترانسلفانيا_ (إقليم في قلب رومانيا)_ للنمسا، وعن مناطق الآزاق لروسيا، وعن إقليم كامنيك لبولونيا وعن إقليم دالماسيا _(وهي منطقة على الساحل الشرقي من البحر الادرياتيكي، تقع معظمها في كرواتيا الحديثة)_، وقسماً من جزيرة المورة في بلاد اليونان للبندقية. للمزيد حول تفاصيل المعاهدة انظر :أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص578 -586؛ عامر، محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ص276 -279.

(٧٩) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص543.

(٨٠) أحمد الثالث بن محمد الرابع السلطان الرابع والعشرون للدولة العثمانية، حكم خلال (1115-1143هـ)/(1703 -1730م)، وكان عمره عند اعتلاء العرش آنذاك (32) سنة.

Beydili, Kemal, Büyük Friedrich ve Osmanlılar: XVIII. Yüzyılda Osmanlı-Prusya Münâsebetleri ,Istanbul, 1985, S.98 – 99.

(٨١) بطرس الأكبر أو بيتر العظيم أو بيتر الأول أو "بيوتر ألكسييفيتش رومانوف " Piotr Alexeyevich Romanov' حكم روسيا من عام (1093هـ/1682م) خلفا للقيصر فيودر الثالث وحتى وفاته عام (1138هـ/1725م)، يعتبر بيتر العظيم أحد أعظم من حكموا روسيا على مدار تاريخها، قاد سياسة تحديث وسياسة توسعيَّة حولت روسيا القيصرية إلى إمبراطورية، غدت إحدى أهم القوى على مستوى أوروبا خلفته زوجته الإمبراطورة كاثرين الأولى، كون بطرس قتل إخوته وهذا التقليد شبيه بالتقليد الذي اتبعته الدولة العثمانية، كما أجرى عدة إصلاحات في الإدارة والمالية والصناعة والمجتمع، زار إنجلترا وهولندا عندما كان شاباً وكان يتنكر أحياناً

الأعظم رفع الحصار عنه بعد تلقيه رشوة من خليلة القيصر كاترين. الأمر الذي أجبر العثمانيين على توقيع معاهدة أدرنه.(٨٢) ثم تبعتها معاهدة أضعفت من شأن الدولة وقلصت من أراضيها وهي معاهدة "بساروفتش Bsarovch"أو"باسروفجه Basrofjh"،(٨٣) ثم معاهدة "كوجك قاينارجه Küçük Kaynarca"(٨٤) وردت على ألفاظ عدة فتُكتب أحياناً "كوتشوك كاينارجي" أو"كوتشك كاينارجا"

ويعمل في بناء السفن ، فأسس جيشا حديثا وبنى أسطولاً بحريا عظيما لروسيا. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص596-598؛ ول ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت (ت:1402هـ/1981م)، قصة الحضارة، عدد الأجزاء: 42 وملحق عن عصر نابليون، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،1408 هـ - 1988م، ج30، ص147.

(٨٢) معاهدة بين الدولة العثمانية وروسيا، أنهت الحرب الروسية العثمانية (1123-1125هـ/1711-1713م)، وقضت بانسحاب الروس من بولندا، كما استعادت الدولة العثمانية ميناء آزوف، وحافظت على البحر الأسود كبحيرة عثمانية لمدة ستين عامًا أخرى، لم يتمكن خلالها الروس من الهبوط إلى المياه الدافئة.أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص596-598.

(٨٣) عدها بعض المؤرخين أن هذه المعاهدة هي معاهدة إذعان أخرى، بموجبها اضطرت الدولة العثمانية أن تستغني عن بلغراد، ومعظم بلاد الصرب وجزءًا من الأفلاق للنمسا، وأن تظل البندقية مسيطرة على سواحل دلماسيا، مقابل عودة بلاد المورة للعثمانيين، كما استرجعت الدولة العثمانية أيضًا بعض أراضيها التي فقدتها سابقًا لصالح الصفويين. للمزيد انظر: أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص 598-600؛ عامر، محمود، تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، ص282؛ أبو غنيمة، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ الدولة العثمانية والأتراك، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط2، 1406هـ/1986م، ص225-226.

(٨٤) نصت المعاهدة على منح الأفلاق والبغدان (رومانيا) الاستقلال الذاتي تحت السيادة العثمانية، مع إعطاء روسيا حق التدخل في اختيار حكامها، وأعطت المعاهدة لروسيا حق رعاية السكان الأرثوذكس الذين يعيشون في البلاد العثمانية وهي ذريعة اتخذتها روسيا للتدخل بالشؤون السياسية للدولة العثمانية بقالب الدين، كما ألزمت المعاهدة أن تدفع الدولة العثمانية غرامات الحرب لأول مرة في التاريخ، فدفعت (15000) كيس من الذهب للروس على فترة ثلاث سنوات. للمزيد حول بنود المعاهدة وأحداث تلك الفترة انظر: فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص343-358؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص628؛ أرسلان، شكيب(1869-1946م) التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي: تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية (1281-1913م)، تعليق وتقديم: محمد العبده، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1995م، ص135؛ أبو غنيمة، زياد، جوانب مضيئة في تاريخ الدولة العثمانية، ص229؛ مخلوف، ماجدة، بدايات اتجاه المسلمين إلى الغرب إصلاحات السلطان سليم الثالث (1789-1808)، المجلد 31، 2003م، ص249؛ بكر، عبد الوهاب، الدولة العثمانية في مصر، ص35.

أو"كوچوك كاينارجا" أو"كوجك قينارجة" وهي عبارة عن معاهدة سلام بين روسيا والدولة العثمانية عقدت في (13/ جمادى الأولى/ 1188هـ -21/تموز/1774م) في معسكر قرب قرية كيتشوك كاينارجي التي تقع في بلغاريا المعاصرة،(٨٥) جاءت تلك المعاهدة في (28 مادة ومادتين منفصلتين)، وبمقتضى هذه المعاهدة انفصلت خانية القرم عن الدولة العثمانية، وأصبحت دولة مستقلة، لا ترتبط بالدولة إلا بقيام" شيخ الإسلام İslam Şeyh"في اسطنبول بتنظيم الشؤون الدينية للقرم فقط،(٨٦) كما رفُعت روسيا جُملَةً واحدة إلى مصاف الدول القوية بعد إنجلترا وفرنسا، في حين تراجعت الدولة العثمانية من القمة إلى الهبوط، وانتهت سيطرة الدولة العثمانية على البحر الأسود باعتباره بحيرة عثمانية أنذآك.(٨٧)

هـ - وفي عام(1202هـ/1787م) ازداد الخطر الصليبي على كيان الدولة العثماني من خلال التحالف الذي عقدتهُ الإمبراطورة الروسية كاثرين الثانية(٨٨)، مع ملك بولونيا وإمبراطور النمسا خلال جولتها في بلاد القرم وأقيم لها احتفال وسِمَ بأقواس النصر كتب عليها " الطريق إلى بيزنطة."(٨٩) كان هذا التحالف الذي شكلتهُ روسيا لا يضمر للدولة العثمانية الخير، فهدف روسيا هو إعادة مهد الكنيسة الأرثوذوكسية الحلم الذي تحطم على يد الفاتح من جهة، والوصول إلى شريان التجارة العالمية بالسيطرة على المضائق؛ مثل: "البسفور Boğaz" و"الدردنيل Canakkale

(85) Beydili, Kemal, Op.Cit, S.98 – 99؛ Itskowitz, auyhor, ottoman empire and Islamic tradition, normun Itzkowitz, Princeton , newjersy,1978, p.108.

(86) Uzuncarsili, Ismail Hakkı, "Kaynarca Muahebesinden sonraki Durum Icabi Karadeniz Bogazinin taksimi" Belleten, 1980,S,511–533؛ Beydili, Kemal, Ibid, S.99.

(٨٧) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص629.

(٨٨) تعتبر شخصيَّة كاثرينا إحدى أبرز وأهم حُكَّام روسيا عبر التاريخ، حكمت البلاد الروسيَّة بقوة ، وهي من أطول النساء الحاكمات عهدًا، إذ امتدَّ عصرُها من سنة(1176هـ/ 1762م) حتَّى وفاتها سنة (1211هـ/ 1796م) عن عُمرٍ يُناهز (67) سنة. حسون، علي، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، ص73.

(٨٩) فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص361. حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية، ص261.

Boğazı" الممر المائي الذي يربط "بحر ايجهEge Denizi" "ببحر مرمره Marmara Denizi"، وحتى البحر الأبيض المتوسط؛ لتنعم بخيرات المياه الدافئة، والتحكم بخطوط التجارة البحرية في البحر الأبيض المتوسط.

يظهر مما سبق أن الدولة كانت في أَمَسِّ الحاجة للإصلاح وخاصة ما أصاب مؤسساتها في شتى المجالات من الناحية الداخلية، فحركة الإصلاح لم تكن وليدة الصدفة، بل جاءت على عدة مراحل لتعطي الدولة المزيد من الاستمرار والتقدم، لكن في جوهر هذا التقدم لازال الخلل موجودًا؛ كون الإصلاحات التي نودي بها للاستفادة من التقدم الأوروبي، واجهت عدة مشاكل من قبل التقليديين، كما أنها جاءت متأخرة خلال القرن الثامن عشر؛ الأمر الذي أفقد الدولة الكثير من مكانتها وقوتها. وللمزيد حول تفاصيل حركة الإصلاح العثماني لا بد من الإشارة إلى ما يلي:

ثانيا: جذور الإصلاحات التي قام بها بعض السلاطين العثمانيين قُبيل إصلاحات السلطان سليم الثالث خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر.

تعرضت الدولة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر لهجماتٍ شرسة من الشرق والغرب، وكان هذا جراء تراجع قوة الدولة وعدم الأخذ بسبل الإصلاح والتجديد وفق النهج الأوربي.

ولإدراك حركة الإصلاح العثماني خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، ينبغي رصد ما قدمه دعاة الإصلاح العثماني، والذي تزامن مع النهضة الأوروبية العلمية والصناعية ومن أبرزهم:

- ما قدمه "مصطفى كوچي بك Mustafa Koçi Bey (1061هـ/1650م)" أحد المستشارين المقربين من السلطان مراد الرابع (1033-1050هـ/1623 – 1640م) الذي شرح في رسالته المختصرة عن المجالات التي يظهر فيها الضعف ومواطن انتشار الفساد، ويقارن بين ما كانت

عليه الدولة من عوامل الاستقرار زمن السلطان سليمان القانوني، والخلل الذي أصاب مؤسسات الدولة في ما بعد.(٩٠)

- قدم أيضاً، "حاجي خليفة Haci Halife (1017-1068هـ/1608-1657م)" رسالة بعنوان "دستور العمل لإصلاح الخلل" ركز فيها على الجوانب الاقتصادية والإدارية التي يتفشى بها الخلل والفساد.(٩١)
- وكتب "حسين هزار فن" كتاباً بعنوان "تلخيص البيان في قوانين آل عثمان" حمل فيه بقسوة على أولئك الذين يخرقون النظام ويفسدون، ولم ينج من نقده واتهامه علية القوم من رجال السلطة والإدارة".(٩٢) وكان حسين على علاقة طيبة مع الأوروبيين ومنهم المستشرق أنطوان غالان.(٩٣)

١ - اصلاحات السلطان مراد الرابع:

تجاسر بعض السلاطين للقيام بحركة إصلاح بعد أن شعروا بأفول مجد الدولة، ومنهم السلطان مراد الرابع فقد قام بإجراء إصلاحات عدة، وخاصة في جانب الجيش والإدارة على

---

(٩٠) نشرت الرسالة لأول مرة في اسطنبول عام (1040هـ/1630م)، وترجمت لعدة لغات؛ تناولت رسالته خمس فصول في الأربعة الأولى حول السلطان وحاشيته وكبار الضباط، والتيمارات وعدد الجنود قديماً وحديثاً، وفي الفصل الخامس حول أسباب الضعف الذي يعوز به إلى الفساد الإداري والعسكري للمزيد انظر: طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب، ص255؛ محمود، السيد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، ص346-347؛ زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص20.

(٩١) العلامة الشيخ مصطفى بن عبد الله الحنفي الأسطنبولي، وهو معروف بين العلماء بلقب (كاتب جلبي) ، وبين زملائه الكتاب بلقب (حاجي خليفة)، لقبوه بذلك بعد أن حج وترقى بين الكتاب. للمزيد انظر:
David Thomas and John Chesworth, Middle East and Islamic Studies, Encyclopaedia of Islam, Second Edition.

(٩٢) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص33.

(٩٣) أنطوان غالان (1055-1127هـ/ 1646 - 1715 م) مستشرق فرنسي يشتهر بترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة.

الصعيد الداخلي، في حين حاول إخماد تمردات الخطر الصفوي في العراق على الصعيد الخارجي.(٩٤)

- قدم الصدر الأعظم "قره مصطفى باشا Kara Mustafa Paşa"(٩٥) إصلاحات عدة في مجال السكة، وتقليص حرية الحريم والانكشارية، الأمر الذي دفعهم إلى الثورة عليه وقتله سنة (1057هـ/1644م).(٩٦)
- قدمت "أسرة آل كوبرللي Copruluوتكتب "K?prülü"(1032-1069هـ/1622-1658م)(٩٧) دفعة ايجابية في هذا المضمار، ونجحت في معالجة مظاهر الضعف نوعاً ما، في حين فشلت في القضاء على جذور الخلل نهائياً. ومن أبرز مصلحي هذه الأسرة الصدر الأعظم "محمد باشا كوبرللي K?prülü Mehmet Paşa"(٩٨) (1066هـ/1656م) الذي اشترط عند اعتلائه

---

(٩٤) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب، ص254؛ حسان ، عبد الله حسان، الإصلاح المعرفي والتغريب في العالم الإسلامي، مجلة المسلم المعاصر، منشور في العدد 152، لبنان، الثلاثاء، 19 آب/أغسطس 2014م. على الرابط: http://almuslimalmuaser.org/index.php?option.com.

(٩٥) ولد في مدينة ميرزفون الألبانية، ينسب لأسرة آل كوبرولو بزواجه من ابنة محمد باشا آل كوبريلي. وخدم في عهد السلطان محمد الرابع، عين وزيراً في ديوان الدولة، ثم رقّيَ قائداً للبحرية العثمانية في عام(1073هـ/1663م). حول مصدر المعلومة وصورة قره مصطفى: انظر ملحق رقم:(٤).

Alastair Hamilton, Alexander, H. de Groot and Maurits H. van den Boogert, 'Friends and Rivals in the Eas't: Studies in Anglo-Dutch Relations in the Levant from the Seventeenth to the Early Nineteenth Century, Leiden, Brill, 2000, p67؛ Uzunçarşılı, İsmail Hakkı, Osmanlı Tarihi III. Cilt:2. Kısım, XVI, Yüzyıl Ortalarından XVII, Yüzyıl Sonuna kadar, Türk Tarih Kurumu, Altıncı Baskı, Ankara, 2011, S.423.

(٩٦) بروكلمان، كارل، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1949، ص145.

(97) G?kbilgin, Tayyip, 'K?prülüler" maddesi; Kaynak:Turkiye Cumhuriyeti Maarif Bakanlığı, İslam Ansiklopedisi, Cilt VI.P.802-908.

(٩٨) هاجر من البانيا ودخل القصر كأحد أفراد الغلمان ولكنه لم يلبث إلا أن تحول من الخدمة الدنيا في البلاط، إلى خدمة الدولة كخازن للصدر الأعظم، ثم أصبح والي الشام على دمشق وطرابلس والقدس، ثم استدعي كصدر أعظم وحصل على سلطات واسعة ومطلقة بأمر من السلطان، فقام بالإشراف على جميع المناصب والدوائر،

الصدارة أن تعاد السلطات المطلقة للسلطان، وعدم التدخل بقراراته الصادرة، فعمل على إصلاح الانكشارية، وتطهير الإدارة من الفاسدين والعلماء المعارضين، لكن جهود هذه الأسرة باءت بالفشل؛ كون الفساد قد استحكم في مختلف مؤسسات الدولة ووظائفها، وأخذت القوى الطامعة تفتعل الدسائس والفتن للقضاء عليهم.(٩٩)

٢ - اصلاحات السلطان أحمد الثالث Ahmed III

ابتدأ القرن الثامن عشر بمرحلة جديدة تمثلت بإنتباه بعض السلاطين لسوء الأوضاع، إذ توجهت أنظار السلاطين نحو الإصلاح التدريجي المقتبس وفق النظم الأوروبية، ويعد السلطان "أحمد الثالث Ahmed III(1115-1143هـ/1703-1730م)"(١٠٠) أول مسئوول عثماني يقر بضرورة التعرف على نهج الإصلاح الأوروبي، كما حصل على بعض المساعدة من قبل الموظفين المثقفين، وحدد برنامجه الإصلاحي من خلال ما يلي:

– مزج الثقافة العلمانية الغربية بالثقافة الإسلامية.

واستأصل روح المقاومة والثورات المناهضة، وعقد سلسلة أوامر بالقتل الجماعي لمقربي السلطان، كما أنعش خزينة الدولة، وحل الأوقاف والأموال الخاصة برجال الدين، وترك المجال من بعده لابنه أحمد لاستكمال حركة الإصلاح، فرفض الصلح مع النمسا والبندقية، وسار على رأس جيش لقتال النمسا وتمكن من فتح أعظم قلعة شرقي فيينا وهي قلعة (نوهزل Nohazel) في (27/صفر/1074هـ -28/تشرين أول/1663م) وبوفاة أحمد كوبرللي ضعف النظام العثماني من جديد. للمزيد انظر: بروكلمان، كارل، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ص147؛ نجم، زين العابدين، تاريخ الدولة العثمانية، ص287.

(٩٩) للمزيد انظر: الصمادي، إيناس زكريا، صدارة آل كوبرولي في العهد العثماني (1656- 1702م)، رسالة جامعية (ماجستير) غير منشورة، إشراف: وليد العريض، جامعة اليرموك، (اربد الأردن)، قسم التاريخ، 2002م.
Vahid, Cabuk, K?prülüler, Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, 1. Baskı, İstanbul, 1988, S. 1-2. See more:
Altınay, Ahmet Refik, K?prülüler, Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, Eylül 2001.

(١٠٠) ابن السلطان الغازي محمد الرابع المولود في (3/رمضان/1083هـ)/(23 /كانون أول/1673م) وعند تعيينه وزع الأعطيات على الانكشارية وسلم لهم في قتل المفتي فيض الله أفندي لمقاومته لهم في أعمالهم. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص593 -594؛
Encyclopaedia of Islam, THREE,Date: 2017-11-16.

- توسيع النشاط الدبلوماسي بين الجانبين الغربي والعثماني.

- إرسال السفراء العثمانيين للغرب؛ للإطلاع على المنجزات الحضارية واقتباس ما يصح تطبيقه في مؤسسات الدولة، ومن ابرز السفراء العثمانيين السفير (محمد شلبيMehmet Celebi) الذي أُرسِلَ إلى فرنسا عام (1132هـ/1720م) وعاد بتقريره حول رحلته.(١٠١)

يظهر مما سبق أن هذه الفترة اعتبرت بداية اليقظة النوعية لانفتاح العثمانيين على الغرب، وخاصة بعد أن أخذت الحركة العلمية الغربية تنتشر بين المثقفين العثمانيين، وتجلت هذه المظاهر من خلال السماح بإنشاء "مطبعة متفرقة"(١٠٢)، وتم الاستعانة بمجري دخل الإسلام وحمل اسم (إبراهيم متفرقة İbrahim Müteferrika).(١٠٣) ولما دخلت المطبعة أفتت مشيخة الإسلام وعلى رأسهم شيخ الإسلام "عبدالله أفنديAbdullah Efendi" سنة (1129هـ/1716م) بجواز

(١٠١) للمزيد حول هذا التقرير المفصل والذي لا يخلو من التفاصيل الدقيقة حول وصف مدن فرنسا، ولمصانعها، والعلاقات الاجتماعية فيها، والاستعراضات العسكرية انظر: خط سير الرحلة منذ الخروج من اسطنبول، وحتى الوصول إلى باريس والعودة. زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص34-35؛ حسنين، إبراهيم محمد، سلاطين الدولة العثمانية، ص372.

(١٠٢) تعتبر مطبعة إبراهيم متفرقة أول مطبعة أسست في العالم الإسلامي سنة (1129هـ/1726م) إلا أن الناظر إلى تاريخ تطور الطباعة سيجد أن ظهور الطباعة في العالم كان ذلك في ألمانيا عام(839هـ/1436م) على يد الألماني "جونتبرك" "Johannes Gutenberg" وثم في روما عام(869هـ/1465م) وباريس عام (874هـ/1470م)، وفي اسبانيا عام (924هـ/1518م) وهكذا حتى انتشرت في العالم اجمع. للمزيد انظر: أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص602-603؛ صابان، خليل، تاريخ الطباعة في الشرق العربي، دار المعارف، القاهرة، 1958.

Sajdi, dana, ottoman tulips , ottoman coffee leisure and lifestyle in the eighteenth century, Tauris academic studies , London , new York, 2007, p.1-2.

(١٠٣) ولد إبراهيم متفرقة سنة (1674 - 1744) وهو دبلوماسي وناشر وخبير اقتصادي، وأديب وفلكي ومؤرخ وعالم إسلامي، منشئ أوَّل آلة للطباعة بالحرف العربي في الدولة الإسلامية. الوذيناني، خلف، الدولة العثمانية حتى عام 1909م، ص94-95؛ زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص38،41-43.

Erginbas, Vefa, Forerunner Of The Ottoman Enlightenment: Ibrahim Muteferrika and His Intellectual Landscape,Sabancı University, 2005, p.1 & 46-47

استعمالها، شريطة عدم طبع المصحف الشريف، وكتب الحديث والتفسير والفقه؛ لتخوفهم من التحريف أو التصحيف.(١٠٤) يبدو أن العثمانيين قد تأخروا كثيراً عن الغرب في نيلهم وانتهازهم أهمية الطباعة، الأمر الذي جعلهم في عزلة ثقافية نوعاً ما عن سبل التطور والتقدم؛ لتسربلهم غطاء الإصلاح التقليدي.

٣ - اصلاحات السلطان محمود الأول I.Mahmut

كان لتنامي حركة الضعف داخل الدولة العثمانية واستمرار التفوق المادي الأوروبي وخاصة في المجال العسكري، دورٌ في دفع السلطان محمود الأول I.Mahmut(١٠٥) للقيام بخطوة جريئة من خلال استقطاب الفنيين العسكريين، وأبرزهم المستشار الفرنسي للشؤون العسكرية (الكونت الكسندر دي بونفال Aleksandre de Bouneval)،(١٠٦) والذي أسند إليه مهمة إحياء فرقة المدفعية، وإدخال أنظمة جديدة للخدمة العسكرية وفق الخطوط الفرنسية والنمساوية، كما رتب أمور المدفعية، وركز على صناعة المدافع والبارود والبنادق وعربات المدافع والألغام، وعمل على

---

(١٠٤) الخطاط، محمد طاهر بن عبد القادر الكردي المكي الشافعي (ت:1400/1979م)، تاريخ القرآن الكريم، ملتزم طبعه ونشره: مصطفى محمد يغمور بمكة مطبعة الفتح بجدة – الحجاز، 1365هـ و1946م، ص187.

(١٠٥) جلس على العرش وعمره (34) سنة (1143-1168هـ/1730-1758م) ويعرف بلقب "غازي" والدته تدعى صالحة سبقتى. مسعود، جمال عبد الهادي، وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط2، 1995، ص77.

P. Bearman, Th. Bianquis, C.E. Bosworth,And others, Encyclopaedia of Islam, Second Edition.

(١٠٦) أعلن إسلامه وتلقب بأحمد باشا ومنح رتبة "بكلر بكي" أي "أمير الأمراء" أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص607-608؛ عامر، محمود علي، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، ص138؛

Heper, metin, turkey and the west changing political and cultural identities, ayse ?ncü and Heinz Kramer, I.B.Tauris & Co LTD publishers, London, new York,1993, p.21.

بناء مدرسة للهندسة العسكرية إلى جانب مصنع للورق، في حين واجهت حركة الإصلاح تحديات جسام تمثلت بالانكشاريين، حتى تم إفشالها.(١٠٧)

٤ - اصلاحات السلطان مصطفى الثالث III.Mustafa

ثم جاء السلطان مصطفى الثالث III.Mustafa(١٠٨) واستأنف حركة الإصلاح، وأخذت دراية العثمانيين تتسع بأهمية الإصلاح والأخذ بنموذج التحديث الغربي، وخاصة بعد زيادة الخطر الروسي، قام السلطان بتعيين الوزير(كوچا راغب باشا Koca Ragib Pasa)(١٠٩) صدرًا أعظمًا وهو على دراية تامة بأحوال البلاد، فاجتهد راغب باشا في تنشيط التجارة البرية والبحرية؛ لدفع عجلة التبادل التجاري بين ولايات الدولة العثمانية، ولمنع الغلاء والمجاعات في بعض الولايات الفقيرة، وحكم على اصلاحاته بالتوقف لانتهاء اجله عام(1176هـ/1763م).(١١٠)

و أنشأ راغب باشا مكتبة عمومية من مصاريفه الخاصة، وأقام مستشفيات عديدة ومنها طبق نظام الحجر الصحي؛ لحماية الولايات الحدودية العثمانية من الأوبئة التي كانت منتشرة في

(١٠٧) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص607-610؛ حسنين، إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية، ص372-373؛ سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص255.

(١٠٨) السلطان مصطفى أحمد الثالث بن محمد الرابع (1129- 1187هـ / 1717 – 1774م) أحد خلفاء الدولة العثمانية. تولى الحكم بعد ابن عمه عثمان الثالث وكان عمره حينذاك 42 عاما، أمه مهرشاه قادين أفندي. المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص329؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص616-617.

(١٠٩) محمد راغب باشا (1110 - 1176 هـ / 1698 - 1763 م) الصدر الأعظم لدولة العثمانية في عهد السلطانين عثمان الثالث ومصطفى الثالث، وتزوج بصالحه سلطان أخت السلطان مصطفى، عرف عنهُ بسعة اطلاعه وخبرته بشؤون البلاد، وكان يتقن العربية إلى جانب العثمانية والفارسية، وجمع مكتبة حافلة تعرف باسمه، ودفن إلى جوارها (بالأستانة). العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص118.

(110) Beydili, Kemal, Op.Cit, S. 78 - 79

شرق أوروبا في تلك الأيام كالطاعون.[١١١]، وعمل على إصدار مجموعة من المراسيم أغضب بها غير المسلمين منها: تحريم بيع النبيذ، وخروج النساء إلى الحدائق العامة، وألزم غير المسلمين بسربال خاص بهم.[١١٢]

كان السلطان مصطفى الثالث يرى أن الخطر الداهم على الدولة يتمثل في قوة روسيا المتصاعدة، لذا فقد عمل على إصلاح الجيش العثماني، وعقد إتفاقية عسكرية مع بروسيا لمساعدة العثمانيين عند الحاجة في حال إندلاع الحرب مع النمسا أو روسيا،[١١٣] كما أسس مدرسة جديدة تخرج المهندسين وسميت (مهندسخانة همايونMühendis Hane Humayun) تحت إشراف خبراء من الأجانب ومنهم المهندس المجري (البارون دي توت Baron de Toot)[١١٤]والذي عمل مبعوثاً للسفارة الفرنسية منذ(1168هـ/1755م) لمدة عشر سنوات، عينه السلطان مستشاراً للإصلاحات العسكرية، وقد كلف بإنشاء فرقة مدفعية سريعة الطلقات تضم (250جندياً)، وقد ساعدته السفارة الفرنسية في اسطنبول بالمال وبعض المدافع الخفيفة، ثم قام بتدريب هذه الفرقة

---

(١١١) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص329؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص 617-616؛ محمد حسنين، إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية، ص374 -375؛ زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص47.

(١١٢) العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص118.

(١١٣) مسعود، جمال عبد الهادي، وفاء محمد، صفحات مطوية من تاريخ وحضارة الدولة العثمانية منذ عام (699 - 1334هـ/1299 -1924م)، عدد الأجزاء2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الإسكندرية، مصر، 2009م، ج1، ص252.

(١١٤) ارستقراطي وعسكري فرنسي من أصل مجري ولد عام 1733م وتوفي عام 1797م. كرستوفر هيرولد، بونابرت في مصر، ترجمة: فؤاد أندراوس، مراجعة: محمد أحمد أنيس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986م، ص15؛ المنصور، ميمونة حمزة، تاريخ الدولة العثمانية، دار الحامد، عمان، 2007م،ص107.للمزيد انظر: Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, Volume 1, p.251؛ Tott, François, baron de, 1733- 1793; Mémoires du baron de Tott, Volume:3 ,Amsterdam, americana,1784.

على الأساليب الحديثة، كما أنشاء مدرسة للرياضيات الحديثة إلى جانب مدرستين سبق إعدادهما للخدمة وهما:[١١٥]

- مهندسخانة بري همايون"Mühandeshane-ı Berri-i Hümayun" وتعني مدرسة الهندسة البرية الهمايونية.

- مهندسخانة بحري همايون"Mühandeshane-ı Bahri Hümayun": وتعني مدرسة الهندسة البحرية الهمايونية.[١١٦]

يبدو أن دي توت فتح نافذة جديدة لدخول المؤثرات الأوروبية في اسطنبول، فقد تأثر الضباط العثمانيون بفن الهندسة العسكرية، وأصبحوا على دراية بعلم المثلثات والمساحات،بالإضافة إلى الاهتمام بجانب الهندسة البحرية؛ لتنشئة الملاحين بالعلوم البحرية، وميلهم لانتهازها بشغف.[١١٧]

كانت هذه المدارس تخرج ضباطًا للاستحكامات الدفاعية " الطوبجية Topçu"[١١٨]، كما كانت تدرب ضباط الخيالة والمشاة في معسكرات الجيش البري والبحري، في حين لم يتجاسر

---

(١١٥) أورتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ص619؛ مسعود، جمال عبد الهادي، وفاء محمد، صفحات مطوية من تاريخ وحضارة الدولة العثمانية، ص254؛ سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص256؛ زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص48.

(116) Heper, metin, Op.Cit, p.22-23.

(117) Beydilli, Kemal,Türk Bilim ve Matbaacılık Tarihinde Mühendishane Matbaası ve Kütüphanesi (1776-1826), İstanbul, Eren, 1995, S.24-25.

(١١٨) يعود جذر هذه الكلمة إلى كلمة توب وتعني كرة جي وتعني مدفع أي كرة المدفع ،استحدث هذا النظام لسبك المدافع وصناعة القذائف، وكان اكبر مراتب هذا السلاح هو طوبجي باشاTopçu Paşa. محمود، السيد، تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، ص427.

السلطان في التدخل بصنف المشاة الانكشارية.(١١٩) الأمر الذي يدل على مدى خطورة هذه الموقف فقد تودي بالسلطان إما قتله أو عزله.

٥ - اصلاحات السلطان"عبد الحميد الأول I.Abdulhamid

خلف السلطان مصطفى الثالث السلطان "عبد الحميد الأول I.Abdulhamid"(١٢٠) كان محباً للجندية، لازمهُ المرض طوال فترة حكمه، تجدد الخطر النمساوي في عهده وبات يلوح في الأفق وأشعل فتيل الثورات في بلاد البلقان، كذلك الخطر الروسي على بلاد القرم، والذي اخذ بالتوغل في أراضي الدولة العثمانية غير مبالين ببنود معاهدة قينارجه، الأمر الذي حفز من جديد إشعال فتيل الحرب العثمانية الصفوية سنة (1188هـ/1775م) من جهة.(١٢١)، وحرب التحالف الروسي النمساوي الموجه صوب الدولة العثمانية من جهة أخرى.(١٢٢)

حاول السلطان أن يسير على خُطى أسلافه في جانب الإصلاحات، فقام بإلغاء تشكيلات عساكر "اللوندية Leventler"، والتي كانت تمثل مصدر فساد في الأناضول، كما قام كل من الصدر الأعظم "قره محمد باشاKara Mehmet Paşa (1193-1195هـ /1779-1781م)"

---

(١١٩) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية ، ص 618-619 ؛ Heper, Op.Cit, P.23.

(١٢٠) أحد سلاطين الدولة العثمانية ولد سنة (1137 هـ / 1725م وتوفي سنة 1203 هـ / 1789م) وهو أصغر أبناء أحمد الثالث، بقي حبيس القصر مدة حكم أخيه مصطفى الثالث، حتى اعتلى العرش عام (1187 هـ/ 1774م) وكان عمره (50) عام، يقال انهُ بقي (45) سنة وهو حبيس القصر، فكيف لسلطان أن يقود دولة ويجري عليها إصلاحات وجُل حياته داخ القفص؟! أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص633؛ حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية، ص259؛ عامر، محمود علي، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، 139-140؛ آصاف، يوسف أفندي، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، ص110-111.

(١٢١) للمزيد حول هذه المشاكل انظر: حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية، ص 259-262؛ العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص 120-121؛ مسعود، جمال عبد الهادي، وفاء محمد، صفحات مطوية من تاريخ وحضارة الدولة العثمانية، ص259.

(١٢٢) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص 359-362؛ حسنين، إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية، ص380.

والصدر الأعظم الذي تلاه "خليل حامد باشا Halil Hamid Paşa" (1196-1199هـ/1782-1785م) بالعمل على توسيع حلقة الانفتاح على الغرب،(١٢٣) فقاما باستدعاء خبراء فرنسيين كـ "شوازل غوفييه Choiseul Gouffier"(١٢٤) لإجراء إصلاحات في جانب المدفعية "Topcular" وحفر الأنفاق "Lağmacilar Ocaği"،(١٢٥) وفي جانب التحصينات العسكرية على طول سواحل الدولة، كما جرى الإصلاح على جند السباهية والإنكشارية،(١٢٦) وأعيد بناء الأسطول العثماني، كما أعيد عمل مطبعة متفرقة سنة(1196هـ/1782م)، والتي لعبت بدورها في ترجمة عدة كتب من الفرنسية إلى التركية حول الفنون العسكرية،إلى جانب مطبعة السفارة الفرنسية في اسطنبول.(١٢٧)

كان لوفاة السلطان عبد الحميد الأول الأثر الكبير في زعزعة أركان الدولة، فقد وهنت عزيمة الجيش، وتغلغل اليأس في نفوسهم، فتكالب التحالف الروسي النمساوي وانتصروا على العثمانيين سنة (1203هـ /1789م)؛ فقد استولى الروس على مدينة بندر، واحتلوا معظم بلاد

(123) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-ı Cedit- Ankara, Türk Tarih Kurumu Basımevi, 1988, S.13.

(١٢٤) ولد سنة (27 سبتمبر 1752وتوفي في 20 يونيو1817م) عين سفيراً لفرنسا لدى الباب العالي عام(1198هـ/1784م) جاء إلى اسطنبول ببعثة مكونة من الخبراء والضباط والأطباء والطبوغرافيين، والشعراء والعمال، والذين أسهموا في تقديم بعض الإصلاحات لكن بقالب يستكن إلى المصالح. زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص49؛ مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م، تحقيق: خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1979م، ص20-21؛ عامر، محمود علي، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان 91-92، أيلول - كانون أول، 2005م، ص116.

(125) AE.SSLM.III, 24, 1383, 1211, Z, 29.

(126) el-Leithy,Tamer, Military costume of the Ottoman Empire, introduction by Zeitouna, Cairo, Egypt, 2000, p.60.

(١٢٧) إحسان اوغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 1999م، ص505-506،667؛ زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص49.

الأفلاق Eflak(١٢٨) والبغدانAlbgdan، وبسارابياBesarabya(١٢٩)، في حين استحوذ النمساويون على بلغراد وبلاد الصرب.(١٣٠) وبهذا انتقل مسرح الأحداث إلى عهد السلطان سليم الثالث.

كان لهذه المعارك الأثر الكبير في إخفاق الدولة العثمانية في جانب الإصلاحات، الأمر الذي يفسر حالة الضعف الذي تغلغل في مؤسساتها من جهة، وتركيز السلاطين على الإصلاحات العسكرية دون الاهتمام المباشر بمواطن الضعف الأخرى من جهة ثانية، لذا كان القرن الثامن عشر عصر الإصلاح التدريجي والانفتاح على الغرب لكن بحذرٍ شديد؛ كون هذا الخط الإصلاحي وصف بالبدعة، بل تجاوز الأمر وكفره بعض العلماء والمتنفذين والجماعات الإسلامية في الدولة،(١٣١) فليس من الغريب أن يكون هناك مهندسون أجانب يخدمون في كنف الدولة ويعلنوا إسلامهم، ويكنوا أنفسهم بأسماء تلقى القبول لدى جماعة التقليديين، ومع ذلك لم يلقَ وجودهم

(١٢٨) هي منطقة في رومانيا، تقع في الشمال من نهر الدانوب، أطلق على المنطقة اسم الأفلاق في العهد العثماني.

(١٢٩) المصطلح يشير إلى ما سمته الإمبراطورية الروسية شرق مولدافيا، وهي منطقة جغرافية تقع في أوروبا الشرقية يحدها من الشرق نهر الدنستير ومن الغرب نهر بروت. انظر ويكبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki/.

(١٣٠) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص635-638؛ الهاشمي، عبد المنعم عبد الراضي، الخلافة العثمانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004م، ص402.

(١٣١) ترى الجماعات الإسلامية أن سبب انحطاط المسلمين في الدولة، يعود إلى انحلال الدين، والأخلاق والمثل العليا للشريعة والقيم الإسلامية، وانه لا سبيل للتقدم إلا بالتمسك بمنهج الدين الحنيف، ولهذا يذكر دونالد كواترت" انه نشأت حركات إصلاحية منها الفرقة الصوفية "التيجانية" والتي تنتسب إلى أبو العباس أحمد التيجاني في شمال أفريقيا، والحركة السنوسية التي حملت قالب الدعوة الصوفية في طور نشأتها على يد محمد بن علي السنوسي (1201-1275هـ/1787-1859م)، والحركة السلفية في الجزيرة العربية، والحركة الفكرية التي تزعمها الفقيه المسلم شاه ولي الله الدهلوي (1114-1175هـ/1703-1762م) في دلهي الهندية" يبدو أن هذه الحركات طرحت فكرة الإصلاح من منظور ديني، دون التطرق إلى أسباب الخلل الذي يقف وراءه تأخر تطوير مؤسسات الدولة بما يساير التطور الغربي، كما كانت هذه الحركات ذات طابع ديني عادت على الدولة بأفكار جديدة، حفزت من تعنت الرجعيين من تقبل فكرة الإصلاح المقتبس وفق النظم الأوروبية. كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص108؛ حول التيجاينة انظر: رضا، محمد رشيد ، مجلة المنار أنشئت سنة (1315 هـ/1897م)، عدد11.ج1، ص423. على المكتبة الشاملة؛ حول تلك الحركات انظر: النابلسي، شاكر، عصر التكايا والرعايا، ص 363.

صدى ترحيب وخاصة من قِبَل الانكشاريين، لهذا كانت حركة الاصطلاح متأرجحة، ما أن تتقدم رويداً حتى تلقى مصيرها بالفشل؛ كون جدية الإصلاح لم تتخذ الطابع التام لجميع المؤسسات في الدولة، فكان غالبية الإصلاح ينصب على الناحية العسكرية وبعض الأمور الإدارية، بالإضافة إلى بعض الإصلاحات في مجال الطب، والتعليم المقتبس، وهذا ما لمسه السلطان سليم الثالث خلال فترة حياته في كنف والده مصطفى الثالث وعمه عبد الحميد الأول .

لكن قبل الحديث عن إصلاحات السلطان سليم الثالث لابد من الإشارة إلى جانب من حياته، وأبرز المشاكل التي عاصرها، وأثرها على سياسته الإصلاحية

الفصل الثاني :

اعتلاء السلطان سليم الثالث العرش

أولاً: سيرة حياة السلطان سليم الثالث قُبيل اعتلائه سُدة الحكم، وأبرز المؤيدين له.

ثانياً: اعتلاء السلطان سليم الثالث العرش، والمشاكل التي واجهتهُ في بداية حكمهِ (الداخلية والخارجية).

١- **المشاكل الداخلية:**

أ- مشكلة المؤسسة الإدارية والعسكرية.

ب- مشاكل في الجانب الإقتصادي والإجتماعي.

٢- **المشاكل الخارجية:**

أ- الحرب العثمانية ضد التحالف الروسي والنمساوي.

ب - نتائج المعارك العسكرية:

a - معاهدة زشتوى (1205هـ/1791م).

b - معاهدة ياش (1206هـ/1792م).

ثالثاً: اثر الثورة الفرنسية على تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث.

أولاً : سيرة حياة السلطان سليم الثالث قُبيل اعتلائه سُدة الحكم، وأبرز المؤيدين له.

ولد السلطان سليم الثالث في(26 / جمادى الأول /1175هـ)/(24/ كانون أول/1761م) وهو ابن السلطان مصطفى الثالث من السلطانة "مهر شاه Mihrişah Valide Sultan'،[١٣٢] وقد وصف بالملامح الرقيقة، وأنه ذو مشاعر حساسة أخذت سمة الخجل، وكان صاحب عينين لوزيتين ووجه طويل يميل للطابع الجدي،[١٣٣] كان عالماً في العلوم الإسلامية وشاعراً، تقاسم مع جده حب الموسيقى،[١٣٤] وكان ماهراً في الخط والفنون الجميلة،[١٣٥] وقد تعلم الأمير سليم خلال السنوات الخمس الأولى، على يد علماء من حفظة القرآن وعلوم التفسير والحديث.[١٣٦]

(١٣٢) ولدت السلطانة في جنوة عام (1158هـ/1745م) وهي زوجة السلطان العثماني مصطفى الثالث ووالدة ابنه السلطان سليم الثالث توفيت في (20/رجب/1220م)/(16/أكتوبر/1805). كانت ابنة لقس أرثوذكسي جورجي، يقال إن اسمها الأصلي كان "أغنيسا" قبل أن يُغير اسمها إلى "مهر شاه". لُقبت لجمالها الفاتن (بالجميلة الجورجية Gürcü güzeli).

Y.İzzettin Barış, Osmanlı padişahlarının yaşamlarından kesitler, hastalıkları ve ?lüm sebepleri. Bilimsel Tıp Yayınevi, 2002, p.184.

(133) Barber, noel, the sultans, Simon and Schuster, new York, 1973.p.122- 123.

(134) Salzmann, Ariel, Tocqueville in The Ottoman Empire and its heritage Includes bibliographical references and index. Leiden; Boston: Brill, 2004, p.182.

(١٣٥) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص المحامي، فريد محمد، تاريخ الدولة العلية، ص363؛ حليم، إبراهيم بك، الدولة العثمانية العلية، ص267؛ مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م، ص21؛ دسوقى، ناهد إبراهيم، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية وأثر الغرب الأوروبي فيها (1789-1807م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2006م، ص97.

Faroqhi, suraiya, fıkret A danir, the ottomans and the Balkans (a discussion of historiography), brill Leiden, Boston, K?ln, 2002.p.139.

(136) Shaw, Stanford J, Between old and new; the Ottoman Empire under Sultan Selim III, 1807- 1789 Harvard University Press, Cambridge, Mass., 1971, p.12.

و عرف عنه انه فطيناً نبيهاً يقظًا وعلى ثقافة واسعة شغوفاً بالأدب، فكان يجيد اللغتين العربية والفارسية.[١٣٧]

و كان محباً للتجديد والتنقل من قصر لآخر، وشغفه بالمناظر الطبيعية، وإقامة الحفلات، وخاصة ركوب الخيل والقوارب، فكانت لهذه الوسائل الأثر الكبير في صقل شخصية الأمير المتحررة، من حيث حياته التي تتميز بالهدوء والنعومة من جهة، وميل فكره إلى مسائل ثقافية وحب التعلم والاستطلاع من جهةٍ أخرى، فكان شغفه بالفن والرسم على اللوحات الزيتية.[١٣٨] كذلك عُرِفَ عنهُ سماع الموسيقى لا العثمانية فحسب، بل الأوروبية أيضاً، حتى وصل إلى درجة الحس الفني الرفيع،[١٣٩] كما أدخل السلطان سليم الثالث الفن المسرحي إلى القصر؛ كمسرحية خيال الظل في عام (7/ربيع الآخر/1207م)/(21/تشرين الثاني/1792م).[١٤٠]

وخلال طفولة السلطان سليم الثالث ذكر أنه أصيب بمرض الجدري[١٤١]، وقد أوشك على الهلاك إلا أنه نجا بعد الرعاية المكثفة التي قدمها لهُ الطبيب (Gobbis الألماني) في كنف عمه عبد الحميد الأول ؛ لأنه كان يريد من سليم أن يكون وريث العرش، وتذكر دسوقى: أن السلطان

---

(١٣٧) الهاشمي، عبد المنعم عبد الراضي، الخلافة العثمانية، ص422.

(١٣٨) دسوقى، ناهد إبراهيم، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص98.

(139) Davis, Fanny, (1904- 1984), The Ottoman lady : a social history from 1718 to 1918 ,Contributions in women's studies, p.158.

(١٤٠) هذا الفن يعتمد على دمى من الجلود المجففة ذات الألوان المتباينة، تتراوح أطوالها بين ثلاثين وخمسين سنتيمتراً، ويتم تحريكها بعصا وراء ستار من القماش الأبيض المسلط عليه الضوء، مما يجعل ظلها هو الذي يبرز للمشاهدين. وكان محرك الدمى، محترف، يعرف باسم "مخايلي " أو "محرك الشخوص. Davis, Ibid, p.163

(١٤١) بثور مستديرة تظهر على البدن ويظهر طفح على جلد المريض، ثم تتكون قشرة على البثور ما تلبث أن تسقط تاركة ندبة في مكانها، وقد وصف هذا المرض بالخطر الذي يداهم الجسد، وغالباً ما يودي بحياة المصاب إلى الموت. الكركي، أبو الفرج أمين الدولة بن يعقوب ابن القف، العمدة في صناعة الجراحة (680هـ/1281م)، تحقيق وتقديم: سامي خلف الحمارنة، نشر من قبل وزارة الثقافة، 2015م، ص241.

عبد الحميد أنفق المال الكثير على الفقراء؛ ليرفعوا الدعاء لنجاة الأمير سليم.(١٤٢) لعل هذا الأمر ساهم بعطف الأمير على الفقراء والمحتاجين بعد اعتلائه سُدَّة الحكم، فتذكر وثيقة أن السلطان أحسن إلى الفقراء أثناء خروجه من الجامع،(١٤٣) وخاصة بعد أداء صلاة الجمعة (١٤٤) والتراويح من شهر رمضان.(١٤٥)

وقد ذكر"betül" أن"المُنجّم Münescim başı Ismail Cınarı" تحدث عن السلطان سليم الثالث انه سيكون الفاتح العالمي كالسلطان الفاتح وسليم الأول Yavuz Sultan Selim Hanı.(١٤٦) حتى وإن صح إدعاء المنجم فلا يؤخذ بأقواله، فحقيقة الغيب أمر لا يعلمه سوى الله _ عز وجل_.

توفي السلطان مصطفى الثالث بعد الهزيمة التي مني بها العثمانيون على يد الروس سنة (1187هـ/1774م)، وكان الأمير سليم الثالث عمره آنذاك (13عام)، فتعلم جيداً كونه أميراً بشكل استثنائي؛ فقد كان يحظر اجتماعات مجالس الإمبراطورية،(١٤٧) وتفتيش الجاهزية العسكري مع والده؛ استعداداً لمستقبله المهني سلطاناً عثمانياً،(١٤٨) بالإضافة إلى حصوله على بعض الحرية من الإقامة الجبرية داخل القصر،(١٤٩) وسمح لهُ عمه السلطان عبد الحميد الأول بالخروج في بعض

---

(١٤٢) دسوقي، ناهد إبراهيم، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص97-98.

(143) BOA, TS.MA.d, 24420006, 1211, C, 29 .

(١٤٤) انظر ملحق رقم:(٥).

(145) BOA, TS.MA.d, 24420009, 1211, N, 29 .

(146) Basaran, betül, selim III, social control and policing in Istanbul at the end of the eighteenth century, between crisis and order, Boston, brill, 1983, P.92.

(١٤٧) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1227.

(148) Basaran, Ibid, P.73

(149) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.14.

المناسبات،[١٥٠] وبفضل ذلك التقى مع عدد من رجالات الدولة الذين أسهموا في إنارة الفكر الإصلاحي لديه، كالوزير "خليل حميد باشا Halil Hamid Pasha" وشيخ الإسلام عطاالله أفندي"Ataullah Efendi"[١٥١]،كما ترعرع الأمير سليم بين مجموعة من خدام القصر السلطاني، الذين شاركوا سليم أفكارهم التحررية، وعلموا خوالج نفسه وما يضمر لمستقبل سلطنته، فكان الأمير يستشف نقاط الضعف في الدولة،[١٥٢] وخاصة الهزائم العسكرية التي شاهدها بأم عينيه، أو طرقت مسامع أُذنيه،[١٥٣] فكان لهؤلاء الرجال الأثر في تنامي الفكر الإصلاحي لدى الأمير سليم، وخاصة في كنف عمه عبد الحميد الأول ، بعد أن تعرف على أوجه الاختلاف بين فيالق الجيش التقليدي والجيش المدرب من قبل الضباط، مثل: دي توت (de Toot) والفرنسي (Aubert) والاسكتلندي (Kampbell) الذي تحول إلى الإسلام وحمل اسم مصطفى الرجل الانجليزي.[١٥٤]

أدرك السلطان سليم الثالث واقتنع بضرورة إحداث تغييرات تنقل أحوال الدولة من طور الضعف إلى حال القوة وذلك؛ عن طريق توسيع علاقاته داخل القصر وخارجه، وربط أهدافه الإصلاحية مع مؤيديه.[١٥٥]

---

(150) Edib, Halide Adivar, the middle east collection (turkey face west), ARNO, press, new York times company, new York,1973,P.64.

(151) Basaran, Ibid, p.74.

(١٥٢) ناهد إبراهيم، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص98.

(153) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.11- 12.

(154) Shaw, Stanford , history of the ottoman empire and modern turkey, Volume 1 : empire of the Gazis ; the rise and decline of the ottoman empire (1280- 1808)p.250- 252.

(١٥٥) مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م، ص21- 22.

كان للسلطانة الأم الدور البارز في التأثير على شخصية السلطان سليم الثالث، وخاصة بعد توليه العرش، فكانت المحرك الذي ساعد السلطان في تدبير شؤون السياسة الداخلية، حتى الأمير سليم عند توليه العرش جعل لها غرفة خاصة بالقرب منه، وكانت تدعوه في أغلب الأحيان "أسدي Erslanim" و"نمري Kaplanım".(١٥٦)

في حين كان لشخصية ايميه دوبوك الفرنسية(Aimée Dubucq deRivery) (١٥٧)_والدة السلطان "محمود الثانيII.mahmut" (1223-1255هـ/1808-1839م)_، الدور البارز في صقل شخصية الأمير سليم الثالث وميله لفرنسا، فكان يُجالسها لفترات طويلة، ويستمع لها وهي تقرأ لهُ عن الثقافة الفرنسية، فتعجب للباقتها وثقافتها التي تعبر عن حبها لفرنسا.(١٥٨)

ومن الشخصيات الأخرى التي تركت الأثر لدى الأمير سليم الثالث وخاصة عند اعتلائه العرش (القبودان(١٥٩) أو القبطان غازي حسن باشا Gazi Hassan PaşhaCapitano)(١٦٠) فقد

---

(156) Davis, Fanny (1904-1984), The Ottoman lady : a social history from 1718 to 1918, Contributions in women's studies ;Greenwood Press, Westport, Conn, 1986, P.11.

(١٥٧) دخلت "ايميه" القصر كهدية جلبت إلى السلطان عبد الحميد الأول من فرنسا، عن طريق بعض القراصنة الجزائريين، فكانت ذات مظهر جميل بعيون زرقاء، وشعر أشقر ذهبي، فنالت إعجاب عبد الحميد واتخذها زوجة له، فأنجبت له محمود الثاني وأصبح أخ لمصطفى الثالث من أم أخرى، وقضت حياتها بين حريم القصر، ويقال بنت عم جوزفين زوجة نابليون بونابرت. للمزيد انظر:

Barber, noel, Op.Cit, p.116-118.

(158) Barber, Ibid, p.122.

(١٥٩) لقب القائد الأعلى للأسطول العثماني، وهو من أصحاب الجاه والمكانة في الديوان السلطاني.الدارندلي، عزت حسن أفندي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني مخطوطة " ضياء نامه "، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1999، ص481.

(160) Süreyya, Mehmet, Sicill-i Osmanî, Beşiktaş, Istanbul: Türkiye Kültür Bakanlığı and Türkiye Ekonomik ve Toplumsal Tarih Vakfı,1996, S. 829 ؛Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, Volume 1.S.259.

كان من ذوي الخبرة في الشؤون الإدارية، كما تمتع بفكر متحرر وانفتاح، فتلاقت أفكاره مع أفكار الأمير سليم،(١٦١) واستصدره للصدارة العظمى بعد اعتلائه سُدة الحكم.(١٦٢)

ولكن كيف تَسرَّبت أفكار الإصلاح إلى الأمير سليم الثالث في الوقت الذي كان فيه الأمير في عزلة داخل القصر.؟

للإجابة على هذا السؤال يتطلب معرفة الخُطط التي أستند عليها السلطان سليم الثالث للتعرف على النظم الفرنسية. لقد كانت لهذه الخطط والتي تستمد جذورها من القالب الفرنسي محفزًا لسليم الثالث بأن يبني سنداً يتكئ عليه إذا ما اعتلى سُدَّة الحكم، فلم يستند على الدعم الداخلي فقط، بل وسع نطاق فكره التنويري، وتواصل مع الدول الغربية وخاصة فرنسا التي لعبت بدورها النواة الأولى لإصلاحات الدولة، فكان هناك عدة من المتنورين الذين سربوا هذه الأفكار لعقلية سليم الثالث وعملوا على إيصالها بشتى المجالات ومنهم:

- الطبيبان (جوبيس الألماني Jubis ولورنزو الايطالي Lorenzo) كانا يعملان في بلاط السلطان عبد الحميد الأول ، ساهما في إقناع سليم نفسه بضرورة الإصلاح إذا ما سنحت له الفرصة لذلك،(١٦٣) وقد لعب لورنزو الدور البارز إذ كان بمثابة جسر التواصل الذي كان يربط السفيران الفرنسيان (سان بريست Saint Priest وشوازيل جوفيه Choiseul Gouffir)(١٦٤)

---

(161) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.16- 17.

(١٦٢) مخلوف، ماجدة، بدايات اتجاه المسلمين إلى الغرب إصلاحات السلطان سليم الثالث 1808-1789م، المجلد 31، 2003، ص 257؛

Shaw, Stanford, Between old and new, p.12- 14

(١٦٣) الوذيناني، خلف بن دبلان بن خضر، الدولة العثمانية حتى عام 1327هـ/1909م، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة ام القرى، مكة المكرمة، 1996م، ص297.

(164) Shaw, Stanford, Between old and new, p.13؛Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.P257؛ Gabrielle F. Marie, Choiseul- Guvre Comt Devioug Pettorsque de la Grace, Paris: 1782.p.p

بالأمير سليم،[١٦٥] ولم يقف على هذا الحد بل كان "لورنزو Lorenzo" يحضر للأمير الكتب والأوراق ويقدم لهُ صورة عن العالم الخارجي وعن فرنسا.[١٦٦]

يبدو أن لورنزو رسم في مخيلة سليم أن فرنسا هي ملاذ الإصلاح، وهذا يعود بدوافع أهمها؛ كره لورنزو واتجاهه السياسي المعادي للنمساويين والروس، وفرش الطريق المستقبلي أمام الأمير سليم الثالث لعقد روابط الود والصداقة مع فرنسا كحليف استراتيجي من شأنه الحصول على امتيازات التجارة في البحر الأبيض المتوسط من جهة، وضرب المصالح النمساوية الروسية وخاصة الانجليزية من جهةٍ أخرى.

- دور "إسحاق أغا İshak Ağa" في تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث، فقد كان إسحاق احد المقيمين في فرنسا عام (1200هـ/1786م)، وعمل على تسليم رسائل إلى الملك الفرنسي "لويس السادس عشر Louis XVI"[١٦٧]؛حول إقامة علاقات ودية من شأنها أن تنشئ

(١٦٥) الزبيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي العصر العثماني 1516-1916م، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م، ص245.

(166) Shaw, Stanford, Between old and new, p.14.

(١٦٧) الملك لويس السادس عشر (23/آب/1754م - 21/كانون الثاني/1793م) آخر ملوك فرنسا إبَّان الثورة الفرنسية، في عهده قامت الثورة وأدت إلى الإطاحة بالحكم المطلق، تزوج من ماري أنطوانيت وهو في عمر الخامسة عشر، والأخيرة تصغره بقرابة العام. وأنجب منها لويس السابع عشر الذي مات صغيرا. حاول لويس السادس عشر الفرار من فرنسا برفقة زوجته ماري أنطوانيت، ولكن أُلقي القبض عليهما وتم إعدامهما عبر المقصلة في باريس. للمزيد انظر: البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1971، ص339؛ ولنفس المؤلفان؛ التاريخ المعاصر أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1973م، ص 20-21؛ انظر أيضاً: Mignet, François Auguste, 'History of the French Revolution from 1789 to 1814". Project Gutenberg. See Chapter, VI,(1824)؛ "The National Convention, for more details on the king's trial and execution".

تحالف ثابت بالملك المستنير،(١٦٨) فقد أعرب الأمير سليم عن رغبته في إعادة بناء الجيش العثماني، واستعادة الأراضي التي فقدتها الدولة من الجانب الروسي والنمساوي، وتذكر المصادر أن السلطان "مصطفى الثالث III.Mustafa" ترك لابنه وصية حول توطيد علاقته بفرنسا، والوقوف على مواطن الخلل، ولزوم تداركها إذا ما اعتلى سُدَّةُ الحكم.(١٦٩)

كان إسحاق آغا شخصية مرنة عشقت الحضارة الفرنسية وجذبت عاطفته، شعر وكأنه مواطن من ذاك المجتمع، فقد كان الأخير على علاقة بوزير الخارجية لفرنسا (فرجين Vergennes) والذي أصبح سفيراً لفرنسا في استانبول خلال سنة (1169-1178هـ/1755-1764م) في عهد السلطان مصطفى الثالث،(١٧٠) وكان على علاقة بالمستشرق الفرنسي (بيير روفان Pierre Ruffin)(١٧١) فقد نشأت بينه وبين اسحق أغا صداقة متينة، مكنته العيش كمواطن طوال فترة مكوثه في فرنسا، وخلال فترة مكوثه اخذ إسحاق أغا بالتنقل بين المؤسسات العسكرية والبحرية الفرنسية، وتعرف على العديد من الضباط والقادة العسكريين وعن مدى استعدادهم للعمل في الدولة العثمانية مقابل المرتبات العالية، وكتب تقارير تضمن مدى إعجابه بالتقدم العسكري الفرنسي، وقدمها على شكل رسائل للأمير سليم الثالث حول ما شاهده وعاينه، من أجل استئناف عجلة الإصلاح وفق النموذج الفرنسي.(١٧٢)

---

(168) Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.P259-260.

(169) Karl, Enver Ziya، Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit ,S.12؛ Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.32.

(170) Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1 .P. 261.

(١٧١) ولد بير روفان عام (1188هـ/1747م) وعمل في اسطنبول إثناء الحملة الفرنسية على مصر سنة (1213هـ/1798م) بمنصب القائم بالأعمال في السفارة الفرنسية، توفي عام (1240هـ/1824م). دسوقي، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص103.

(172) Shaw, Stanford, Between old and new, p.12-14؛

ثانياً: اعتلاء السلطان سليم الثالث العرش والمشاكل التي واجهتهُ في بداية حكمهِ (الداخلية والخارجية).

ارتقى السلطان سليم الثالث العرش في(11/رجب/1203هـ/ نيسان 1789م)، بعد وفاة عمه عبد الحميد الأول أثر أزمة قلبية حادة،(١٧٣) كان السلطان سليم الثالث عندها يناهز (27عامًا) وهو السلطان الثامن والعشرين من سلسلة السلاطين العثمانيين،(١٧٤)اعتلى صهوة جوادهِ وتقلد سيف السلطنة من مسجد (أبو أيوب الأنصاري Eyüp Sultan Camii)،(١٧٥) وأقيمت بشائر الاحتفالات عند توليه العرش وسط جمع غفير من الناس، فوزع قطع النقد الفضي عليهم قدرت بـ (15ألف) قرص فضي،(١٧٦) كما يبين دفتر سجل الخزينة عند اعتلاء السلطان سليم سدة الحكم انه قدم الأعطيات للانكشارية على نهج السلاطين السابقين، كذلك قدم المجوهرات والملابس والأحذية للحريم السلطاني،(١٧٧) كما قدم الأموال للعبيد والخصيان وخصصت لهم أموال من اجل

---

(173) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 9, 230 ,1203, Ş, 20.

(١٧٤) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص643؛ سرهنك، المير ألاي إسماعيل بن عبدالله (1854 - 1924)، تاريخ الدولة العثمانية، المطبعة الأميرية، بولاق مصر، 1988م، ص640-639.

(١٧٥) مسجد عثماني قديم موجود في منطقة أيوب في الجانب الأوروبي من مدينة إسطنبول، بالقرب من منطقة القرن الذهبي، خارج أسوار القسطنطينية، بني عام 1458، وهو أول مسجد بناه العثمانيون في إسطنبول بعد فتح القسطنطينية على يد الفاتح عام 1453.

(176) İbrahim, Artuk - Cevriye Artuk, İstanbul Arkeoloji Müzeleri Teşhirdeki İslami Sikkeler Kataloğu (Cilt II), İstanbul Arkeoloji Müzeleri Nümizmatları, İstanbul, 1974, C.II.P.666-668.

(177) BOA, TS.MA.d, 24340008, 1203, B, 29.

التعليم،[١٧٨]وقد وُصِفَ سليم بالسلطان المصلح المتحمس، نال إعجاب الشعب لمزاياه، فرحبوا بولايته، وأخذ على عاتقة نقل الدولة من حالة الضعف نحو التطور والتقدم، وإعادة أمجادها من خلال اقتباس النظم الأوروبية.[١٧٩]

أمر السلطان بإعلان خبر وفاة عمه عبد الحميد الأول في جميع مناطق الدولة.[١٨٠] وقبل أن يشتد ساعد السلطان توجه بزيارة إلى قبر عمه المتوفى عبد الحميد في مقبرة أبو أيوب الأنصاري، وتذكر وثيقة انه قدم الأموال كما سبق ذكره للانكشارية لمنعهم من إطلاق النيران.[١٨١] وهذا يدل على مدى الفساد الذي تفشى في مؤسسة الانكشارية.

لم يتجاسر السلطان سليم في البداية بإعلان ما تطمح لهُ نفسه؛ لأن المشاكل قد انهالت عليه من كل صوب، فالمشاكل الداخلية التي أعاقت عجلة الإصلاح من جهة، والمشاكل الخارجية التي انهالت على الدولة من قبل روسيا والنمسا لازالت متواترة من جهة أخرى.[١٨٢]

- **المشاكل الداخلية التي واجهت السلطان سليم عند اعتلاء العرش:**

- **مشكلة المؤسسة الإدارية والعسكرية.**

ورث السلطان سليم الثالث دولة تعاني بعض المشاكل الداخلية استفحل أثرها وزادت من ضعف الدولة،وعلى الرغم من الإصلاحات التي تبناها بعض السلاطين للحد من هذه المشاكل، إلا

---

(178) BOA, TS.MA.d, 24340028, 1203, B, 29.

(179) Miller, William, the ottoman empire and its successors (1801 – 1927), frank cass & co .LTD, London, fourth edition (new impression), 1966.p.18 ؛ Barber, noel, Op.Cit, p.122.

(180) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 9, 232 ,1203, N, 20.

(181) BOA, TS.MA.d, 24340118, 1203, B, 29.

(١٨٢) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص641؛ المحامي، محمد فريد، تاريخ الدولة العلية، ص363.

أن طبيعة الهيكل المؤسسي كان مجزأً نوعاً ما؛[١٨٣] فمنهم من أوعز هذا الضعف إلى الجيش الانكشاري الذي جهل سُبل التحديث وقاطع فكرة الإصلاح وفق النموذج الغربي، ويذكر جودت في كتابه أنه خلال المعارك العسكرية مع روسيا، اجتاح ثمانية آلاف جندي روسي "نهر الطونة Tuna Nehri'_ نهر الدانوب بالتركية_.[١٨٤] وقضوا على مائة وعشرين ألفاً من جند الانكشارية، وذكر الصدر الأعظم يوسف باشا أن سبب هذه الهزيمة؛ جهل غالبية الجند العثمانيين بالتكتيك العسكري الحديث أمام التفوق العسكري النظامي لروسيا، وقال: "إذا استمر حالنا على هذا النحو فلن نرى النصر أبدا حتى تقوم الساعة"[١٨٥]

يبدو أن السلطان سليم أدرك مدى حالة الوهن والترهل التي وصل لها الجيش، وأدرك انهُ لا بدَّ من وضع حلول من شأنها حل هذا التراجع.

- **مشاكل في الجانب الإقتصادي والإجتماعي.**

رافق هذا الضعف بعض المشاكل الاقتصادية التي تناقلتها الدولة خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، إذ لمس السلطان سليم الثالث عند اعتلاء العرش بعض هذه المشاكل التي أضعفت من شأن الدولة نوعاً ما، وخاصة بعد التطور الاقتصادي العالمي والانتقال نحو الآلة والمكنكة، والتي بدت منتجاتها تعبر الدولة العثمانية؛ الأمر الذي أضعف من الصناعات المحلية

---

(183) Gürpınar, doğan, ottoman imperial diplomacy (apolitical, social cultural history),I.B.Tauris, London New York, 2014,p.60.

(١٨٤) لا يمكن فصل أسباب الضعف الأخرى التي أحلت بالدولة كالإدارية والاقتصادية عن سبب الخسائر التي مُنيت بها الدولة العثمانية. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة لعثمانية، ج1، ص641؛ جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص5؛

Karl, Enver Ziya، Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, p.50.

(١٨٥) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص5.

التي اعتمدت على القوة البدنية،[١٨٦] كما ساهم في اعتماد الدولة على عملية الاستيراد بدل الإنتاج الأمر الذي اضطرت به الدولة إلى دفع كميات كبيرة من الذهب العثماني مقابل الحصول على منتجات الغرب، وخاصة بعد تراجع حرفة التعدين والتنقيب في المناجم،فلم يعد يكفي ما هو داخل هذه المناجم لسد حاجات ونفقات الدولة،[١٨٧] مما أدى إلى هبوط كبير في العملة العثمانية، وتراجع قيمة القرص بمقدار الثلث خلال(1201 -1206هـ/ 1787 -1792م).[١٨٨]

وكان لسوء الأوضاع الاقتصادية دورٌ، في دفع الحاشية المقربة من السلطان إلى تقديم ما لديها لرفد الخزينة بالأموال، وتذكر وثيقة أن "رقية خانم Rukiaye Hanım'ın" تبرعت بكافة أموالها للدولة عام (1203هـ/1789م)؛ لدعم الخزينة جراء الحروب التي ألمت بها.[١٨٩]

رافق هذا الأمر أيضاً فرض أعباء مالية جديدة على الولايات العثمانية في الأناضول والروملي، واشتط بعض الولاة في ماهية تحصيل هذه الأموال، لذا ورث السلطان سليم الثالث بعض المشاكل الاجتماعية من عوام الشعب بسبب الضرائب التي أرهقت كاهلهم ودفعت بهم لهجران أراضيهم.[١٩٠]

رافق ذلك أيضاً دفع الجزية في الولايات العثمانية لخزينة الدولة دون تمييز في الدين أو الجنس،[١٩١] حتى أن أفراد الشعب في اسطنبول عانوا من تردي الأوضاع الاقتصادية، وبعض

---

(186) Karl, Ibid, p.104- 105.

(187) Karl, Enver Ziya، Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, p.104- 105.

(188) Pamuk, Sevket, Monetary History of the Ottoman Empire, Cambridge University, Press, 2000, p.170.

(189) BOA, TS.MA.e, 727, 1, 1203, L, 10.

(١٩٠) كان سبب ذلك؛ التكاليف العالية للمعارك العسكرية التي خاضتها الدولة العثمانية مع روسيا والنمسا مخلوف، ماجدة، بدايات اتجاه المسلمين إلى الغرب إصلاحات السلطان سليم الثالث (1789 -1808)، م31، ص255.

(١٩١) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص107.

المشاكل في توفير مادة الخبز، فتنبه سليم الثالث لهذا الأمر وعمل على إصدار المراسيم لحل مثل هذه المشاكل.(١٩٢) وتشير بعض الروايات انه خلال فصل الشتاء في عام (1789-1790م) حصلت بعض أعمال الشغب في العاصمة اسطنبول حول حدوث غش بمادة الذرة والدخان والشعير، ووصول شحنات من الدانوب غير كافية لجموع السكان، وخاصة تحويل هذه المستوردات للاستخدام العسكري في الجيش، الأمر الذي أدى إلى بعض الثورات وخاصة من قبل الخبازين الذي أصبحوا غير قادرين على دفع ثمن هذه الحبوب لارتفاع الأسعار.(١٩٣)

كذلك واجه السلطان سليم الثالث بعض المشاكل المتعلقة بالمهاجرين الوافدين؛ من مناطق روسيا وبلاد البلقان، إذ زادت أعداد السكان بشكل ملفت جراء الهجرات القصرية التي دفعت بعض السكان للهرب، رافق ذلك عدم الانسجام الاجتماعي، الأمر الذي ولد بعض المشاكل بين فئات المجتمع الأصلي والمجتمع الوافد إلى اسطنبول.(١٩٤)

- **المشاكل الخارجية التي واجهت السلطان سليم عند اعتلاء العرش:**

كانت للحروب المتكررة مع روسيا والنمسا الأثر الكبير في زيادة الأعباء الاقتصادية على الدولة العثمانية، مما أدى إلى ضعف الدولة داخليا وخارجياً، وعندما انتقلت مجريات الأحداث إلى السلطان سليم الثالث (1203هـ/1789م) بدت جبهات القتال سيئة جداً؛ كون المعارك كانت مشتعلة بكل ضراوتها في الجبهات الروسية والنمساوية،(١٩٥) كذلك على الحدود الكردية بإيران

(192) Akson, ziya Nur, Osmanlı Tarihi (6 cilt) Siltli: Osmanlı İmparatorluğunun İncelemesi, Tinkidli Siyasi Tarihi, ? tüken Nisriyat, İstanbul, 1994,c3.s.38-39.

(193) Basaran,betül, Op.Cit, P.92.

(194) Basaran, Ibid, P.93.

(١٩٥) سنو، عبد الرؤوف، العلاقات الروسية العثمانية 1687-1878م، مجلة تاريخ العرب والعالم، العددان 76-75، بيروت، 1985م، ص39-40.

ببروز بقايا الدولة الصفوية وهم "الكاجار Kaçar"[١٩٦] فسعى السلطان سليم إلى تقوية الجيوش وإرسال المؤن والذخائر،في الوقت الذي كان فيه اليأس قد استولى على الجنود، وغادر الكثير منهم مراكزهم القتالية.[١٩٧] ولبيان خط سير هذه المعارك نوجزها على النحو الآتي:

- الحرب العثمانية ضد التحالف الروسي والنمساوي:

استؤنفت الحرب الروسية العثمانية من جديد،[١٩٨] ولعب (الأمير بوتمكين Potemkin)[١٩٩] وجنده البالغ عددهم (80000 ألف) مقاتل الدور البارز في هذه الحرب، وقد أحرزوا انتصارات على العثمانيين في منطقة البحر الأسود، ثم احتلوا قلعة "zü ? أو zi ?" ويشار لها بالمصادر الروسية"ocszakov"[٢٠٠] في (19/ربيع الأول / 1203هـ -1788/12/17م) وقد ارتكب الجند الروس مذبحة كبيرة بحق الجيش العثماني في تلك المنطقة، قدرها المؤرخ أوزتونا

---

(196) Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.182 ؛Faroqhi, Suraiya and halil Inalcik, The Ottoman Empire and Its Heritage, Politics, Society and Economy, v28, Brill Leiden Boston, 1983, p.23.

(197) Palmer, Alan, The decline and fall of the Ottoman Empire, John Murray, London, 1993, p.53.

(198) BOA, TS.MA.e, 243, 5,1203, B, 10.

(١٩٩) آر جريجوري ألكساندروفيتش المعروف بـ "بوتيومكين" تافريتشيسكي؛ ولد في (24/أيلول/1739م وتوفي في 16/أكتوبر/1791م) عن عمر يناهز (52 سنة) كان رجلاً من رجال الدولة ونبيلاً وقائدًا عسكريًا روسيًا، كما كان مفضلاً عند الإمبراطورة كاثرين. توفي أثناء مفاوضات معاهدة جاسي، التي وضعت نهاية للحرب التي شهدها مع الإمبراطورية العثمانية. انظر:

Pascu, Giorge, Călători străiniîn Moldova si Muntenia în secolul XVIII: Carra, Bauer si Struve Iaşi: Institutul de Arte Grafice "Bravo",1940, P.P.126- 133.

Soloveytchik, George, Potemkin, Soldier, Statesman, Lover and Consort of Catherine of Russia W.W. Norton, 1947.

(٢٠٠) شمال غرب البحر الأسود: أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص640.

Fikri, Soysal, Tarihi Olaylar Işiğinda :Rumeli Olay Türküleri, 2012,P.53

بـ(25000) منهم ومن الأطفال والنساء،(٢٠١) ثم شكل القائد الروسي (Suvarov) تحالف جديد مع قائد الجيوش النمساوي(Sachsen Koburg)ضد الوزير العثماني "كمانكاش مصطفى باشا"(Kemankeş Mustafa Paşa)وجرت معركة في منطقة(فوقشانى أو فوكشاني Foçşani)(٢٠٢) في (9/من ذي القعدة/1203هـ - 1/آب/1789م) أحرز فيها العثمانيين انتصار على هذا التحالف،(٢٠٣) ثم تتابعت سير الأحداث وفي(22/أيلول/1789م) تم هزيمة الجيش العثماني من جديد في معركة " بوزا أو بوزاوفBuzău"(٢٠٤) استشهد على أثرها(23000) ألف جندي عثماني مع خسارة كبيرة في العتاد.(٢٠٥)وفي خضم تلك الأحداث بينما كانت القوات الروسية تحتل مدينة" ياش Iaşi"(٢٠٦) كانت القوات النمساوية تحتل "بوخارست Bucureşti"(٢٠٧) وفي(محرم/1204هـ - أكتوبر/1789م) اتخذ السلطان سليم الثالث إزاء هذا الموقف خطوات؛ إذ كتب السلطان سليم الثالث خط همايوني للجنود العثمانيين،ذكرهم فيه بروح الجهاد، ورفع الروح المعنوية لجنوده وشعبه، واستنهضهم لدخول الحرب ضد الأعداء، ولاطف الانكشارية بأمجادهم السابقة وانتصاراتهم المتلاحقة، وطلب من جنده أن يتمسكوا بسبل القوة والمنعة، متخذين من الإسلام شعار لهم ومن الله نصيراً لقوتهم.(٢٠٨)

---

(٢٠١) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص640؛ حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية، ص 269-268.

(٢٠٢) تقع في جهة الجنوب الغربي من رومانيا. فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص337.

(٢٠٣) تعتبر أكبر مدينة من مقاطعة فرنتشيا في مولدافيا وهي من فرع Siret للطونة بين الافلاق والبغدان. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص661.

(٢٠٤) المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية،

(٢٠٥) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية،ج1، ص641.

(٢٠٦) هي واحدة من أكبر مدن رومانيا تقع في منطقة مولدوفيا كانت عاصمة البغدان. أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية،ج1، ص641.

(٢٠٧) تقع جنوب شرقي رومانيا على ضفاف نهر ديمبوفيتسا(Dâmboviţa).

(208)Shaw, Stanford, Between old and new, p.33

لم يتوقف السلطان سليم الثالث على الدعم المعنوي للجيش، بل قدم الأموال للجنود لتشجيعهم، كما عمل على كسب ود العلماء وتأييدهم إذ عيَّنَ شيخ الإسلام محمد شريف أفندي(Mehmet Şerif Efendi) بدلاً من محمد كامل أفندي (Mehmet Kamil Efendi)، وعزل غازي حسن باشا(Gazi Hasan Paşa) من منصب القبودان،[٢٠٩]وأَحَلَّ مكانه جريتلى حسين باشا (Gretely Hüseyin Paşa)؛[٢١٠] لقيادة العمليات الحربية للأسطول العثماني البحري الذي يرابط في البحر الأسود عبر البوغاز (Boğaz) والدردنيل.[٢١١]

استغل السلطان سليم الثالث الصراع الروسي السويدي وعقد تحالف مع الأخيرة مقابل (2000) كيس سنويا ولمدة عشر سنوات[٢١٢] شريطة أن تقوم السويد بتجديد المعارك العسكرية في

---

(٢٠٩) كان سبب عزل غازي حسن باشا لعدة أسباب منها؛ أن غازي كان زعيم الفريق المناهض ضد السلطان، كما كان لجريتلى حسن باشا المكانة المرموقة لدى السلطان سليم وصديقة قبل توليه العرش لذا ليس بالغريب أن يتولى هذا المنصب؛ كون السلطان سليم الثالث يضمر في نفسه برنامج بحاجة إلى مؤيدين ثقة، وحتى يبقى على صلة بتأييد حسن باشا اسند له حكم مدينة إسماعيل، وقائد للجيوش العثمانية براً في مولدافيا، وكلف بمهمة استعادة اوجزاكوف "Ogzakov" ومن ثم القرم.

Shaw, Stanford, Between old and new, p.36.

(٢١٠) الجنرال الكبير أو الأدميرال قاد الأسطول العثماني خلال (1792/3/11–1803/7/1م) وأجرا عليه بعض التحديثات. للمزيد انظر: .

Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.p.263

(٢١١) سرهنك، المير ألاي، تاريخ الدولة العثمانية، ص640.

(٢١٢) يحوي هذا الكيس على كمية معينة من المال ما يعادل 500 قرش عثماني، عندها بلغت كمية الأموال التي قدمتها الدولة من اجل توثيق عرى هذا التحالف ب (10 x 2000 =20,000 قرش سنوياً)، وهذا المبلغ ليس بالسهل على دولة زادت نفقاتها بشكل كبير جراء الحروب، إلا انه لم يكتب لهذا التحالف بالاستمرار. دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص113.

الشمال ضد الروس براً وبحراً في (18/شوال/1203هـ -11/يوليو/1789م)،[٢١٣]في حين كانت السويد تعمل على استعادة "فنلنداFinland"[٢١٤].

يبدو أن هذه الخطوة التي أتخذها السلطان سليم جريئة في ظل الظروف الصعبة التي تحدق بالدولة، والتي يُستشف من خلالها إطلاع السلطان سليم الثالث على مجريات الأمور على الصعيد العالمي.

ومع أن القوات العثمانية استطاعت التغلب على القوات النمساوية في منطقة" يركوى "Giurgiu' - التابعة للافلاق في رومانيا- ، إلا أنها اضطرت للانسحاب إلى جنوب نهر الدانوب"Tuna Nehri".[٢١٥]كما استطاعت القوات الروسية على الرغم من بعض هزائمها الاستيلاء على المراكز الدفاعية للجيش العثماني الممتدة بين "بساربياBsarbaa' وبين " دوبرجهDobergh'في حين أن الاتفاقية التي عقدتها الدولة العثمانية مع السويد لم تُجْدِ نفعاً.[٢١٦]

- **نتائج تلك الهزائم:**

كانت عاقبة تلك الانتصارات استيلاء الروس على مدينة بندر "Bandaralı Şehir' الحصينة، واحتلوا معظم بلاد الفلاخ والبغدان وبساربيا، ودخل النمساويون مدينة بلغراد وفتحوا بلاد

---

(213) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 35 ,1204, B, 5.

(٢١٤)هي بلد شمالي تقع في منطقة شمال أوروبا. يحدها من الغرب السويد، والنرويج من الشمال وروسيا في الشرق، بينما تقع استونيا إلى الجنوب عبر خليج فنلندا.الجابري، محمد، موسوعة دول العالم "حقائق وأرقام" مجموعة النيل العربية، 2003م، ص188؛

Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.p.259.

(٢١٥) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة لعثمانية، ج1، ص641؛

(216)Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.p259-260.

الصرب، وقد تمخض عن هذا النزاع عقد معاهدتين وإن كانت من مصلحة الدولة العثمانية إلا أنها خسرت بموجبهما المزيد من أراضيها وهما:

معاهدتي"زشتوى Zvıştovı"،[(٢١٧)] ومعاهدة"جاسي Jassy" أو"ياش Iaşi"[(٢١٨)]:

- معاهدة"زشتوىZvıştovı"

كان من طالع حسن حظ السلطان سليم الثالث توتر الشؤون الداخلية في فرنسا، إذ اندلعت في ذلك الوقت الثورة الفرنسية ضد الملك الفرنسي لويس السادس عشر، فلولاها لكانت الدولة العثمانية في خطر كبير، لو أستمر التحالف الروسي النمساوي لفترة أطول، لفقدت الدولة العثمانية أغلب أملاكها من جهة البحر الأسود وبلاد البلقان، أضف إلى ذلك وفاة إمبراطور النمسا "جوزيف الثانيII.Yousef (1204هـ/1790م)" وخلفه "ليوبولد الثاني II.Leopold"[(٢١٩)]الذي شغلته الثورة الفرنسية؛خشية امتداد أفكارها ومبادئها التحررية لدولته، لذا تهافتت دول أوروبا وسعت في مصالحة الدولة العثمانية بتوسط كل من انكلترا وبروسيا وهولندا، وأمضى ليوبولد مع العثمانيين معاهدة صلح ابتدائية في (محرم/1204هـ - أيلول /1790م) وغدت نهائية في (23/ذو الحجة

---

(٢١٧) مدينة تقع إلى شمال من بلغاريا على نهر الدانوب إلى الشرق من مدينة نيقوبول (نيقوبوليس)، في هذه المدينة عقدت معاهدة في(23/ذوالحجة/1205هـ -22 آب/1791م) التي أنهت الحروب بين الدولة العثمانية وإمبراطورية النمسا. للمزيد انظر: راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، عدد المجلدات:4، د.ت، د.م، 1908، م3، ص، 1211؛ المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية،364 -370؛

Shaw, Stanford, Between old and new, p.62- 63.

(٢١٨) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1211؛

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V.1, p.259.

(٢١٩) محافظة، علي، شخصيات من التاريخ: سير وتراجم موجزة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2009م، ص242.

/1205هـ -22/ آب/ 1791م) بمدينة "ستووا أو زشتوى" بلغت بنود هذه المعاهدة (14 بنداً)، جاءت بعد حرب استمرت (3 سنوات و5 أشهر و26 يوم) وأهم ما تضمنتهُ نصوصها ما يلي:(٢٢٠)

١. ترد النمسا بلاد الصرب ومدينة بلغراد وجميع فتوحاتها تقريبا.

٢. أن يكون الصلح من الآن وإلى الأبد صلحا ابدياً براً وبحراً.

٣. أن يمنع التعدي والإهانة على كلا الطرفين، ويعفو عن من اشترك في الحرب من رعايا أحد الطرفين ضد الآخر.

٤. العمل بجميع المعاهدات التي تم عقدها بين كلا البلدين، وعلى الباب العالي تنفيذ ما جاء في الاتفاقيات السابقة من حماية جميع المراكب الألمانية (النمساوية) وحرية التجارة أمام موانئ الدولة العثمانية مع مراعاة حقوق التجار النمساويين.

٦. تتعهد إمبراطورية النمسا برد كل ما استولت عليه من أملاك الباب العالي؛ من مدن وقلاع وحصون؛ حتى تعود الحالة لما قبل نشوب الحرب كناية على المحبة والعدالة.

٧. أما قلعة "شوتيم Showtime" وإقليمها فأنها ستسلم بكل ممتلكاتها إلى الدولة العثمانية، ولكن عقب التوقيع الرسمي على المعاهدة، والاتفاق مع روسيا وإنهاء الحرب.(٢٢١)

٨. بعد مبادلة التصديق على المعاهدة يتبادل الطرفين تسليم ما اتفقا عليه طبقا لتلك المعاهدة،ثم تحرر نسختين متطابقتين من هذه المعاهدة، إحداهما باللغة الفرنسية التي استعملت لسهولة التفاهم، وتوقع من قبل مندوبي ملك النمسا وإمبراطور ألمانيا، والثانية باللغة التركية توقع

---

(٢٢٠)عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، عدد الأجزاء2 يقع في مجلد واحد، حوادث مطبعة اسطنبول تركيا، 1918م، ج1، ص21 -23؛ راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1211.

(٢٢١) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص642.

من مندوبي السلطان سليم الثالث ثم يتم مبادلتهما بمعرفة مندوبي كلا الدولتان وبعد ثلاثين يوما يتم تنفيذ ماتم الاتفاق عليه.(٢٢٢)

يبدو أن هذه الحرب اعتبرت آخر حرب في التاريخ بين الدولة العثمانية والنمسا، بعد أن سعت الأخيرة إلى إزالة أسباب البرودة والخصام التي نجمت عن هذه الحرب،(٢٢٣) حتى أنها أصبحت حليف عسكري إبَّان الحرب العالمية الأولى.(٢٢٤)

- أما ابرز ما اشتملت عليه معاهدة "ياش/جاسي'Jassy'(14/ جمادى الأولى/ 1206هـ -8/كانون ثاني/1792):(٢٢٥)

إن الناظر إلى الخط الزمني لتلك المعارك سيجد أن المفارقة الزمنية لعقد الصلح مع روسيا جاء متأخراً، فلم تتبع روسيا طريق الصلح بل استأنفت معاركها العسكرية، وقام القائد الروسي "سوواروف Suvarov' بالاستيلاء على مدينة إسماعيل في (16/ ربيع الآخر/1205م22 -/كانون أول/1790م)عنوة،(٢٢٦) وارتكب فيها من الأعمال الوحشية ما تقشعر له الأبدان من قتل وفتك وسبي،لم يرحموا النساء ولا الأطفال قدرهم أوزتونا بـ(30,000) قتيل من المسلمين، ولما وصل خبر

---

(222) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 9, 247 ,1205, Z, 12.

(٢٢٣) جودت، أحمد، تاريخ الدولة العثماني، ج6، ص165.

(224) Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.p.259.

(٢٢٥) عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص 25-31؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص642.

(226) Black, Jeremy, European warfare 1453 – 1815 , USA , st.martin's press , INC , New York, 1999, p.233.

سقوط هذه المدينة إلى الأستانة (اسطنبول)، هاج الشعب ضد"حسن باشا البحري Hasan Paşha Bahri"الذي كان مكلفا بحمايتها، وطلبوا من السلطان قتله فأمر بذلك.(٢٢٧)

ثم مالت روسيا نحو السلم وتوسطت انجلترا وبروسيا وهولندا بين الدولة العثمانية وروسيا،ودارت المفاوضات حتى تم الصلح بين الطرفين في(15/ جمادى الأولى/1206هـ - 9/كانون ثاني/1792م) إذ كانت معاهدة "كوجك قينارجةKüçük Kaynarca" هي الأساس لبنود معاهدة ياش مع ضم بلاد القرم وجورجيا،(٢٢٨)ونصت المعاهدة بموجب وثيقة تضمنت (13مادة) لإنهاء الحرب العثمانية الروسية نشير إلى أهم بنودها على ما يلي:(٢٢٩)

١- تمتلك روسيا بلاد القرم نهائيا وجزء من بلاد القوبان وبسارابيا والأقاليم الواقعة بين نهري"البوغBug" و"دينسترDniester أو الدنيبرDinyeper" بحيث يكون الأخير فاصلا بين كلتا الدولتين.(٢٣٠)

٢- تتنازل الدولة العثمانية عن مدينة "أوزى zü ?" (أو تشاكوف Oezakov)، وأمضيت بذلك هذه المعاهدة وتوقفت الحروب، وبدأت دول أوروبا تحتشد وتبحث عن السُبل لإيقاف أفكار الثورة الفرنسية وتداعياتها.(٢٣١)

---

(٢٢٧) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص642؛ إحسان اوغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص78.

(228) Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.p.259-260.

(229) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 9, 283 ,1206, Ca, 25.

(٢٣٠) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص642؛ المحامي، محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص370.

(231) Creasy, Edward Shepherd, Sir, 1812-1878, texts History of the Ottoman Turks: from the beginning of their empire to the present time, Ed London, V II, 1980, pp. 498-503

يتبادر السؤال هنا كيف استطاع السلطان سليم الثالث بلورة فكرهُ الإصلاحي في ضوء الثورة الفرنسية.؟ وكيف استفاد من أفكار الثورة لصالحه.؟ للإجابة على هذا السؤال لا بد من الإشارة إلى ما يلي:

ثالثاً: أثر الثورة الفرنسية على تنامي الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث.

لم يكن السلطان سليم الثالث قادرًا على القيام بأي إصلاح تجاه الدولة العثمانية خلال السنوات الثلاث الأولى من اعتلاء العرش؛ بسبب الحرب الروسية النمساوية تجاه الدولة العثمانية من جهة، واندلاع "الثورة الفرنسية Révolution française" وأثرها على الدولة العثمانية من جهة أخرى، فمجريات الأحداث العالمية أثرت على السياسة الداخلية والخارجية للدولة العثمانية، وأجبرت السلطان سليم على التريث[٢٣٢] والعمل على وضع حد لتلك الحروب للمضي في برنامجه الإصلاحي.[٢٣٣]

لكن قبل المضي في إصلاحات السلطان سليم الثالث ونقد برنامجه الإصلاحي، لابد من الإجابة على السؤال السابق هل لعبت أحداث الثورة الفرنسية دوراً في إنارة الفكر الإصلاحي لدى السلطان سليم الثالث.؟ عقد السلطان سليم الثالث مجلسًا تشريعيًا في (رمضان/1203هـ - أيار/1789م)، تضمن (200 عضوًا) من قضاة المقاطعات وإداريين وضباط عسكريين وعلماء...الخ، أسهموا في عملية صنع القرار، إذ تبادل السلطان معهم الآراء حول المشاكل وسُبل الحلول وإقامة العدل وانتهاكات الشريعة والفساد والرشوة والقوانين السلطانية، وأهم ما في الأمر أن

(٢٣٢) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، عربه وحققه وقدمه: خالد زيادة، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1985م، ص10.

(233) Palmer, Alan, Op.Cit, p.54؛ Shaw, Stanford, History of the ottoman empire and modern turkey,V,1.P. 260.

السلطان سليم الثالث قلص صلاحيات الصدر الأعظم بهذا المجلس بدل أن يكون صاحب سلطة مطلقة.(٢٣٤)

يبدو أن السلطان سليم الثالث أراد من هذا المجلس خطوة إدارية وفق نهج ديمقراطي يشرك بها مجمل أطياف المجتمع وطبقاته، فليس بالبعيد أن تكون هذه الخطوة مستوحاة من الفكر الإسلامي حول مفهوم الشورى لقوله تعالى:﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾(٢٣٥) من جهة، والفكر الفرنسي حول مفهوم الاجتماعات والمجالس التشريعية والطبقات من جهة أخرى.(٢٣٦)

تلخصت أفكار الثورة الفرنسية بثلاث كلمات لها معنى ومدلول كبيرين حول" الحرية، والأخاء، والمساواة" فلكل شخص حريته الخاصة شريطة عدم تجاوز حدود القانون، فقد ترك الله عز وجل لنا القرآن الكريم بمضمون السُوَرُ آيات جمة، دلت بمضامينها عن مفهوم الحرية في نسق التشريع الإسلامي منها كقوله تعالى:"

﴿ مَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها ولا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى وما كُنَّا مُعَذِّبينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾(٢٣٧)، وقوله تعالى ﴿ وأَنْ أَتْلُوَا الْقُرْآنَ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّما أَنَا مِنَ الْمُنْذِرين﴾(٢٣٨)، وقوله تعالى﴿ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّما أَضِلُّ عَلى نَفْسي وإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِما يُوحي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَميعٌ قَريب ﴾(٢٣٩)، وقوله تعالى ﴿ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ

---

(234) Basaran, betül, Op.Cit, P.81.

(٢٣٥) القران الكريم، سورة آل عمران، آية(159).

(٢٣٦) البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص381.

(٢٣٧) الإسراء : آية (15).

(٢٣٨) النمل : آية (92).

(٢٣٩) سبأ : آية (50).

فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ومَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفيظ ﴾.(٢٤٠) كذلك قوله تعالى ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَميعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.(٢٤١) وقوله تعالى ﴿ قُلْ يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدى فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ ومَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وما أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكيلٍ ﴾.(٢٤٢)

جاءت مضمون هذه الآيات بالمفهوم الإنسان المخيّر الذي يقف على مفترق طرق لكن بدلالة النهاية والعاقبة، في حين أن مفهوم الحرية المستوحاة من النموذج الفرنسي جاءت وفق القالب العلماني، - فنموذج السياسة والدولة مُقدم عن الدين- فمثلاً جاءت دلالة اللفظ لكلمة الحرية خلال القرن التاسع عشر على أنها "صرخة الحرب والنضال ضد المستعمر الأجنبي والطغيان الداخلي".(٢٤٣) كذلك المساواة التي نصت عليها المادة الأولى من إعلان وثيقة حقوق الإنسان بالفرنسية: "La Déclaration des droits de l'Homme et du citoyen" وبالتركية:"İnsan Hakları Belgesi" في الأول من (ذي الحجة عام 1203هـ/ آب/ 1789م)، تضمنت ما يلي "يولد الناس أحرارا ويظلون متساوين في الحقوق والفوارق الاجتماعية لا يمكن أن تتركز إلا على المنفعة المشتركة"(٢٤٤) ويعتبر هذا البند من البنود الأساسية وركناً من أركان الدساتير الحديثة التي تأثرت بالنموذج الفرنسي، وما انبثقت عنه من مصطلحات لم تكن متداولة "كالوطن Homeland" و"الأمة Nation".(٢٤٥) فجاءت كلمة الأمة والوطن في المصطلح الحديث

---

(٢٤٠) الأنعام : آية (104).

(٢٤١) المائدة : آية (105).

(٢٤٢) يونس : آية (108).

(٢٤٣) الدسوقي، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص232.

(٢٤٤) للمزيد انظر: البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص378 -379.

(245) Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, London,1961, P.55- 56.

على معانٍ مختلفة إبَّان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، أبرزها دلالة اللفظ لغوياً وتعني الوحدة الإقليمية والجنسية،(٢٤٦) بينما في الاصطلاح على أنهما المكان الذي ولد فيه الإنسان أو مسقط رأسه مع أبناء جنسه.(٢٤٧) في حين أن لفظة الأمة في المنهج الإسلامي جاءت على دلالات مختلفة حسب النسق القرآني. وكون القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان فليس بالغريب أن ينتهج العثمانيين دلالة تطور اللفظ وصياغته في ضوء السياسة الحديثة على أسس دينية، ومثال ذلك كما ورد في كتاب الله عز وجل.(٢٤٨)

تعني كلمة أمة الوقت والحين، كما في الآيتين التاليتين: {وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ}(٢٤٩) كذلك تعني كلمة أمة: الإمام الذي يعلم الخير ويهدي إلى الطريق الصحيح، كما في الآية التالية: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}(٢٥٠)،في حين جاءت كلمة أمة أي الطريقة المتبعة، كما في الآية التالية: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ}.(٢٥١) كذلك أشار القرآن الكريم بمفهوم الأمة على: جماعة من الناس على وجه الخصوص، كما في الآية: {وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ}،(٢٥٢) أوفي الآية

(٢٤٦) دسوقي، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص232.

(247) Lewis, Bernard, The Impact of the French Revolution in Turkey, Journal of World History, 1935, P. 107- 108.

(٢٤٨)نصار، ناصيف، مفهوم الأمة في القرآن، تاريخ المقال: في 18/ حزيران، 2014م، تم الإطلاع عليه في 2017/11/26م، الساعة 08:30 pm. على الرابط:https://islamonline.net/7617

(٢٤٩) سورة هود، آية: (8).

(٢٥٠) سورة النحل، آية: (120).

(٢٥١) سورة الزخرف، آية: (22).

(٢٥٢) سورة القصص، آية:(23).

الكريمة: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللهُ مُهْلِكُهُمْ}[٢٥٣]وهذا المعنى ينطبق على عدد كبير من الآيات التي وردت فيها لفظة الأمة.

ومن مبادئ الثورة الفرنسية كذلك "الإخاء kardeşlik " التي نودي بها من قبل الفرنسيين، إذ أطربت مسامع الشعب، ومثال ذلك قال تعالى: {وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً}[٢٥٤]، بمعنى أنّ الإخوّة التي نودي بها على اختلاف مذاهبهم وعقائدهم، تفضي بهم نحو الحرية، والتخلص من الأوضاع القاسية.[٢٥٥]

استفاد السلطان سليم الثالث من خلال علاقاته الدبلوماسية السرية مع فرنسا_ كما سبق ذكره_ في تدعيم فكره الإصلاحي، ومع اندلاع الثورة الفرنسية شاعت أفكار الثورة وبدت تتغلغل كالعدوى في البيئة المحيطة بفرنسا، بل بذل الفرنسيون جهوداً جمة في سبيل نشر أفكار ثورتهم بين العثمانيين أنفسهم، فقد قام قادة الثورة الفرنسيين بإرسال مبعوثين مثل "كروتا Cruta"[٢٥٦] من اجل الحصول على تأييد الحكومة العثمانية ودعم ثورتهم، وقد حقق الفرنسيون نجاحاً كبيراً في كسب ود وعطف العثمانيين عن طريق:[٢٥٧]

١. ضمان بقاء الدولة العثمانية على الحياد في الأوقات الحرجة كالحروب وما رافق ذلك.

٢. إرسال البعثات التبشيرية على نطاق واسع.

---

(٢٥٣) سورة الأعراف، آية: (164).

(٢٥٤) سورة النساء، آية: (23).

(255) Lewis, Bernard, The Impact of the French Revolution in Turkey,P.107.

(٢٥٦) القائم بالإعمال الفرنسية في استانبول، منح سلطة الاتصال المباشر مع الباب العالي، كان يعمل مترجماً في السفارة البريطانية، وكان على دراية كافية بأحوال الدولة العثمانية وباللغة التركية. دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص233 -234.

(257) Lewis, Bernard, The Impact of the French Revolution in Turkey,P.108.

٣. الحصول على مكاسب اقتصادية أمام التنافس الانجليزي في البحر المتوسط.(٢٥٨)

ونتيجة لهذه الجهود التي بذلها الفرنسيّون، تواجد في اسطنبول عدد غفير من المسلمين الذين تأثروا بأفكار الثورة الفرنسية، وبأهدافها المعلنة للوصول إلى بوتقة الحرية.(٢٥٩)

يبدو أن مبادئ الثورة الفرنسية وجدت آذانًا صاغية تناسبت مع الفكر العثماني، وخاصة المثقفين الذين اهتموا بمراحل الثورة وحيثياتها، واعتبروا شرعيتها منظمة بإستثناء موجة الإرهاب التي ميزت طابعها الدموي، وهذا ما يذكره"Ganem" بأن الشعب التركي قد أَلِفَ مثل هذه الجرائم على أيدي أفراد الانكشارية الثائرين.(٢٦٠)

على أية حال كان للثورة الفرنسية طابع ايجابي لدى السلطان سليم الثالث، إذ صرفت أحداث الثورة الفرنسية أنظار الغرب عن الدولة العثمانية لفترة مكنت السلطان سليم الثالث من وضع برنامجه الإصلاحي، فقد ذكر السكرتير الخاص بالسلطان سليم الثالث "أحمد أفندي Ahmed Efendi" في (جمادى الآخرة/1206هـ/ كانون الثاني /1792م) إذ قال: "ربما سبب الله قيام الثورة في فرنسا لتنتشر مثل الزهري بين أعداء الدولة العثمانية وتدفعهم إلى التنازع فيما بينهم وبذلك تتحقق الفائدة للدولة، اللهم آمين".(٢٦١) وهذا مثال واضح عن مدى رغبة العثمانيين بانشغال أوروبا بهذه الثورة،في حين واجهت أفكار الثورة الفرنسية لدى بعض العثمانيين الرفض

(٢٥٨) عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص165-169؛ الشوكاني، محمد بن علي، ذكريات الشوكاني، تحقيق: صالح رمضان محمود، دار العودة، بيروت، 1983م ص 29-28؛ برجاوي، سعيد أحمد، الإمبراطورية: تاريخها السياسي والعسكري، المؤسسة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، الأردن، 1993م، ص196؛ Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)'Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri, S.20-21.

(259) Driault, Edouard, (1864-1947), La question d'orient depuis ses origines jusqu'à la paix de Sèvres, Paris, 1921, p.71.

(260) Ganem, Halil, Les Sultans Ottomans, Paris, 1901, pp.177-178.

(261) Lewis, Bernard, The Emergence of Modern Turkey, p.65.

التام، وقد نظر لها البعض على أنها شيء داخلي ليست لها نتائج مؤثرة على العالم،(٢٦٢) في حين وصفها البعض بأنها الأداة التي اعتنقها أصحاب الشهوات المتجردين من سربال الإخلاص ليتعلموا السياسة واللغة من الفرنسيين،(٢٦٣) بل زاد الأمر أن حفزت أفكار الثورة بعض التمردات المحلية في الولايات التابعة للدولة العثمانية في بلاد اليونان،(٢٦٤) في حين واجهت أفكار التنوير التي تبناها المفكرون العسكريون في الجيش الفرنسي الرفض التام من قبل دول أوروبا، ووصفت بأنها تفاعل تعززه خيبة الأمل.(٢٦٥)

على الرغم من العلاقات الطيبة التي جمعت السلطان سليم الثالث بالملك الفرنسي لويس السادس عشر وزوجته خلال المراسلات السرية التي وصفت السلطان سليم الثالث "بالمستنير aydın"،(٢٦٦) إلا أن السلطان رحب بمبعوثين فرنسا الرسميين الذين جاءوا لشرح أهداف هذه الثورة؛ ومنهم"ماري ديكورش Marie Louis Henri Descorches"(٢٦٧) الذي قدم من اجل المحافظة على العلاقات الودية مع الدولة العثمانية، وتحسين الظروف بين كلا البلدين؛ بسبب التوترات التي

(٢٦٢) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص234.

(263) Swallow, Charles, The Sick Man of Europe: Ottoman Empire to Turkish Republic 1789- 1923, London & Tonbridge, 1973, p.15.

(264) Phillion, Christine M, biography of an empire (governing ottomans in an age of revolution), university of California press LTD, London , England, 2011, p.80- 81.

(265) Heper, metin, Op.Cit, p.2

(266) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.16- 17.

(٢٦٧) جند في الجيش الفرنسي، ووصل إلى رتبة عقيد في(1194هـ/ 1780م)، اعتمد اسم الثورة الفرنسية، وكان الممثل الفرنسي في بولندا سنة (1205 -1206هـ/1791 -1792م)، وللإمبراطورية العثمانية سنة (-1209 1207هـ/1793 -1795م) وهو أول مبعوث فرنسي وصل إلى اسطنبول بمهمة فوق العادة. دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص236.

أثارها "شوازيل جوفييه Choiseul Gouffier" المعادي للثورة والجمهورية، حتى ألصقت به تهمة الخيانة في (24/ ربيع الآخر /1207هـ - 28/كانون أول/1792م).[٢٦٨]

أتخذ السلطان سليم الثالث الحيطة والحذر من تداعيات الثورة الفرنسية، وخاصة بعد ما بلغهُ إعدام صديقهِ الملك" لويس السادس عشر Louis XVI"في(9/جمادى الآخرة/1207هـ - 21/كانون ثاني/1793م) وزوجته" ماري أنطوانيت Marie Antoinette"،[٢٦٩] فكان لهذه الثورة الدور البارز في تحفيز السلطان سليم الثالث لرسم البرنامج الإصلاحي الجديد، كون أفكار الثورة التي بدت تتسرب إلى الولايات العثمانية، لن تعود على السلطان ببشائر الخير،[٢٧٠] فمكنونها يحمل كيفية الغدر والعصيان والتمرد، وخاصة من قبل الجند الانكشارية إذا ما سنحت لهم الفرصة لذلك.[٢٧١]

استأنف السلطان سليم الثالث العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا، بعد أن تمكن "ديكورش Descorches" من الحصول على الاعتراف من قبل الباب العالي بالحكومة الجديدة أي الجمهورية الفرنسية،[٢٧٢] وعلى أثر ذلك قدم السفراء إلى اسطنبول، وعملوا على نشر أفكار الثورة حتى غدت السفارة الفرنسية في اسطنبول، مركزا لنشر مثل هذه الأفكار بين جموع الناس.[٢٧٣]

---

(٢٦٨) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص236 -237.

(٢٦٩) ولدت في (28/محرم/1188هـ وأعدمت في–11/ربيع الأول /1208هـ) الموافق (2/تشرين ثاني/1755م-16/تشرين أول/ 1793م). للمزيد حول أحداث الإعدام انظر: فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص379؛ راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1258 -1259؛ البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص 412.

(270) Palmer, Alan, Op.Cit, p.54- 55.

(271) Barber, noel, Op.Cit, P.122.

(٢٧٢) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، 240؛ البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص411.

(٢٧٣) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، 240؛

ومن أشهر الجمعيات التي لعبت دوراً في نشر أفكار الثورة " جمعية الجمهورية لأصدقاء الحرية والمساواة" و"الجمعية الشعبية الجمهورية".(٢٧٤) كما لعبت "ايميه دوبوكAimée Dubucq" ابنة عم جوزفين Joséphine_ زوجة نابليون بونابرتNapoléon Bonaparte'_(٢٧٥) على استئناف العلاقات الدبلوماسية بين السلطان سليم الثالث ونابليون بونابرت،(٢٧٦) ويذكر "Barber"أن السلطان سليم الثالث وصديقته "ايميه Aimée" كانا سعيدين عندما اظهر نابليون للسلطان حسن نواياه، في حين أبطن نابليون مراده وقال:" لا فائدة لنا من المحافظة على الإمبراطورية التركية سنشهد سقوطها في عصرنا".(٢٧٧)

وتذكر وثيقة رسمية أن نابليون بعث برسالة إلى السلطان سليم الثالث يطلب منه مشاركة رحلة السفير الفرنسي إلى اسطنبول، والسماح له بالإقامة فيها بشكل رسمي.(٢٧٨) والهدف إضمار أطماع سياسية يسعى لها بونابرت في المستقبل.

يبدو أن نابليون أراد من توثيق العلاقات الرسمية مع السلطان، للحصول على الدعم المعنوي من قبل الأخير أثناء حروبه في أوروبا وغزوه لايطاليا، فمشروع الوصول إلى القسطنطينية

Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)'Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri, S.21-25.

(٢٧٤) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص58.

(٢٧٥) في الأصل كان اسمها روز لكنها كانت تكره هذا الاسم بشدة لذلك أطلق عليها نابليون اسم "جوزفين" وكانت تكبره بحوالي (6) أعوام. كانت قصة الحب التي جمعت نابليون بجوزفين من أجمل القصص العاطفية في التاريخ وتذكر الروايات أن نابليون كتب لجوزفين عشرات الآلاف من خطابات الغرام والحب أثناء حروبه وحملاته. للمزيد انظر: وِل ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت، قصة الحضارة، ملحق نابليون بونابرت، ص ص230 -215.

Aronson, Theo. Napoleon and Josephine: A Love Story. St Martins, 1990 ؛Bruce, Evangeline, Napoleon and Josephine: An Improbable Marriage. NY: Scribner,1995.

(٢٧٦) حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية، ص269؛ راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1443 -1444.

(277) Barber, noel, Op.Cit, P.124.

(278) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 22 ,1204, B, 25.

استوجب من نابليون إظهار حسن نواياه تجاه السلطان، وزاد من توثيق عرى الصداقة أن وصلت سفينتان يدعيان:" Quatorze Juillet'من جمهورية فرنسا إلى اسطنبول، على متنها مواطنون فرنسيون، رست في مضيق البسفور وعلى مرأى الجميع إذ بدا العلم العثمانية بنجومه الثلاث(٢٧٩) والعلم الفرنسي بخطوطه الملونة يرفرفان جنباً إلى جنب، وبهذا الأمر الرمزي زُرعت شجرة الحرية على أرض الدولة العثمانية، وهي بمثابة أولى نجاح لأفكار الثورة الفرنسية في اسطنبول،(٢٨٠) ومن ثم مصر بعد جلاء الحملة الفرنسية.(٢٨١)

و زاد من تأثير الفرنسيين على العثمانيين من خلال إصدارهم للعديد من المنشورات التي ترجمت إلى للغة التركية، وجاء بها: أن الشعب الفرنسي هو شعب الإخاء والصداقة، وأنهم كالمسلمين لا يعرفون سوى عبادة إله واحد، وحطموا عبادة "الإيقوناتIcons' وقضوا على النبلاء.(٢٨٢)

يبدو أن هذه السياسة التي اتبعها الفرنسيون تجاه الدولة، تركت الأثر الكبير على السواد الأعظم من الناس، كون ظاهر الأفكار التي طُرحت تتناسب مع الفكر الإسلامي بعقلانيته، بينما

---

(٢٧٩) يعود تاريخ إضافة النجم إلى العلم العثماني زمن السلطان سليم الثالث، بعد أن كان علم احمر اللون وهلال ونجم أبيضين. للمزيد انظر:عبد الهادي، مهدي، تطور العلم العربي من الفتح الإسلامي إلى مطلع القرن العشرين،عمان، الأردن، ط2، 1986، ص11 -12؛ تيمور، أحمد، تاريخ العلم العثماني، المطبعة السلفية، القاهرة، 1347هـ/1923م، ص12.

(280) Palmer, Alan, Op.Cit, p.54- 55.

(٢٨١) سيتم الإشارة لها لاحقا حول أهدافها ومجرياتها وأثرها على الدولة العثمانية. راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1310.

(٢٨٢) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص242؛

Palmer, Alan, Op.Cit, p.63.

افتقر المترجمون العثمانيون قدرة التعبير عن هذه الأفكار بما تتناسب مع طبيعة المجتمع العثماني، فالأهداف التي طُرِحَتْ فَهِمَها العثمانيين بظاهر الأمور وليس بما تكنه فرنسا الجمهورية.[٢٨٣]

كذلك أمتد لهب الفكر الثوري الحر من خلال مؤيدي الثورة في اسطنبول، فقد دخلوا المقاهي ووزعوا كتيبات باللغة التركية والفرنسية، تضمنت المبادئ التي أرستها وثيقة حقوق الإنسان بدعم من سفراء فرنسا.[٢٨٤]

يبدو أن الثورة الفرنسية رسمت بداية نهاية المشروع الإصلاحي لدى السلطان سليم، والذي أتخذ من فرنسا الرديف الحقيقي لبرنامجه الإصلاحي، في حين وجدت فرنسا فرصة في الإنخراط مع السلطان، الأمر الذي يستوجب تعبئة الدعم العسكري العثماني ضد "أعداء الثورة"، ولذلك إن وجود المدربين الفرنسيين خدم المصالح الإستراتيجية الفرنسية في أوروبا، وهو بمثابة التذكير القوي بعودة مركزية الإمبراطورية في سياستها تجاه القوى الأوروبية.[٢٨٥]

على الرغم من الإنجازات العسكرية التي حضي بها العثمانيون إبّانِ الثورة الفرنسية، إلا انه من الصعب تقييمها في نتائجها المباشرة، ويمكن أن نرجح قول:"Pascal" ومن معه بوصفهم للثورة الفرنسية بأنها حجر الزاوية الذي يمكن أن تستند إليه جهود التحديث اللاحقة، والتأكيد على أوجه القصور التي ألمت بالإمبراطورية العثمانية خلال القرن الثامن عشر.[٢٨٦]

---

(283) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.260.
(284) Shaw, Ibid, V,1, p.266.
(285) Pascal W, Firges, Tobias P Graf, Christian Roth Gülay Tulasoğlu, Well-Connected Domains Towards an Entangled Ottoman History, Leiden, The Netherlands, 2014, p.167.
(286) Pascal W, Op.Cit, p.183.

وحتى نقف على النهج الإصلاحي ومجرياته وحيثياته، لا بد من الإشارة إلى مفهوم الترتيب الجديد، والخطوات الإصلاحية التي قام بها السلطان سليم الثالث للنهوض بالدولة العثمانية بكافة المجالات، وبيان ذلك ما يأتي من محاور الفصل الثاني.

الفصل الثالث

إصلاحات السلطان سليم الثالث ودورهِ في إصدار الترتيب الجديد ونتائج حركة الإصلاح.

أولاً: مفهوم الترتيب الجديد.

ثانياً: الخطوات التي اتخذها السلطان سليم الثالث تجاه دعاة الإصلاح.

ثالثاً: إصلاحات السلطان سليم الثالث.

١. الإصلاحات الإداريـــــة.

٢. الإصلاحات العسكــرية

٣. الإصلاحات الاقتصادية

٤. الإصلاحات التعليميـــة.

٥. الإصلاحات الاجتماعية.

ثانياً: نتائج حركة الإصلاح:

- إدارياً.
- عسكرياً.
- اقتصادياً.
- اجتماعياً.

أولاً: مفهوم الترتيب الجديد، وأثره على بروز الفكر الإصلاحي لدى السلطان.

كانت العلاقة التي ربطت السلطان سليم الثالث بفرنسا دافعاً لإرسال فنيين ومدربين إلى باريس للخدمة المؤقتة فيها، وتوسيع نطاق العلاقات الدبلوماسية بين كلا البلدين، وقد وضعت هذه البعثة تحت إشراف "لجنة السلامة العامة_ بالفرنسية_:Comité de salut public"[٢٨٧] التي أقرت بدورها السلامة العامة للمبعوثين خلال "عهد الإرهابL'ère du terrorisme"[٢٨٨]، كما أعطت اهتمامًا دقيقاً لطلبات السلطان من اجل إعدادهم وتنويرهم.[٢٨٩]

كان لهؤلاء المتنورين إلى جانب المقربين من السلطان الدور البارز في مساعدة السلطان في إعداد برنامجه الإصلاحي، والذي اصطلح عليه في ما بعد باسم "الترتيب الجديد Tertibi Cedid"،[٢٩٠] وهو بمثابة خطوة اتخذها السلطان للنهوض بمؤسسات الدولة بكافة المجالات وخاصة الجانب العسكري؛ من أجل تنظيم جيش جديد يواكب التقدم الأوروبي ويعود بولائه للسلطان مباشرة؛[٢٩١] سعيا إلى تساوي قدراتهم العسكرية بالتقدم الأوروبي.[٢٩٢]

---

(٢٨٧) أنشئت في (شعبان/1207هـ/ أيار/1793) من قبل المؤتمر الوطني الفرنسي.
Matusitz, Jonathan, Symbolism in Terrorism: Motivation, Communication, and Behavior, Rowman & Littlefield Publishers, Maryland, 2014, p.19- 20.

(٢٨٨) مصطلح يشير إلى فترة مليئة بالعنف شهدتها فرنسا بعد اندلاع الثورة الفرنسية سنة (1207هـ/1793م-1208هـ/1794م) بسبب الصراع بين الفصائل السياسية المتناحرة من الجيروند واليعاقبة. البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص 416-419.

(289) Palmer, Alan, Op.Cit, p.55.

(290) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.28.

(291) Barber, noel, Op.Cit, P.122 ؛ Faroqhi, suraiya, fıkret A danir, the ottomans and the Balkans a discussion of historiography, p.117.

(292) Itskowitz, auyhor, Op.Cit, p.109.

كما اصطلح على هذا النظام بأنه حركة تحديث راديكالية شملت مختلف مؤسسات الدولة؛(٢٩٣)للابتعاد عن التقليدية والاتجاه نحو نظام عصري تحكمه خطة عقلانية وتشريعات مناطة بالتقدم والتطور.(٢٩٤)

يعود أول ذكر لمصطلح "النظام الجديد Nizam- I Cedid" في الثلث الأول من القرن الثامن عشر عن طريق "إبراهيم متفرقةİbrahim Müteferrika" الذي وصف إصلاحات بطرس الأكبر في روسيا بالنظام الجديد، كذلك السلطان سليم الثالث الذي عبر عن التغيير الإداري الذي رافق أحداث الثورة الفرنسية باسم النظام الجديد،(٢٩٥) وإعادة السلطة المركزية للسلطان العثماني في اسطنبول وفق تشريعات القوانين والأنظمة.(٢٩٦)

بينما يشير "كينروس" إلى مصطلح الترتيب الجديد على الأنظمة المقتبسة من النظم الفرنسية في أعقاب الثورة، وجاء هذا المصطلح من خلال مراسلات لويس السادس عشر مع السلطان سليم.(٢٩٧)

---

(٢٩٣) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص645.

(294) Findley, carter v, bureaucratic reform in the ottoman empire (the sublime Porte ,1789 – 1922), Princeton university press / Princeton ,new Jersey, 1980,p.43.

(٢٩٥) مخلوف، ماجدة، بدايات اتجاه المسلمين إلى الغرب إصلاحات السلطان سليم الثالث 1808-1789م، م 31، ص259.

Karl, Enver Ziya ,Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.30.

(296) Basaran, betül, Op.Cit, p.80 ؛Findley, carter v, Op.Cit, p.63.

(٢٩٧) كينروس، جون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة وتعليق: ناهد إبراهيم دسوقى، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003م، ص472.

ثانيا: الخطوات التي اتخذها السلطان سليم الثالث تجاه دعاة الإصلاح.

قبل المضي في سياسة الإصلاح التي قام بها السلطان، لا بد من الإشارة إلى الخطوات التي اتخذها في سبيل وضع برنامجه الإصلاحي وهي على ما يلي:

طلب السلطان سليم الثالث عقد مجلس استشاري "Mejlis-ı Meshveret"(٢٩٨) في (صفر/1206هـ - تشرين أول/1791م)تضمن(19تركيًا) و(أجنبيين)_ (الأول فرنسي ويدعى Bettrand، والثاني أرمني ويدعى Mouradgea d'Ohsson)(٢٩٩) وهم من كبار الشخصيات العلمانية والثقافية،(٣٠٠)_ بأن يقدم كل واحد منهم "تقرير Rapor" حول أسباب تراجع قوة الإمبراطورية العثمانية،(٣٠١) مع اقتراح سبل الإصلاح التي يجب إجراؤها لاستعادة مكانتها،(٣٠٢) تمخضت مجمل التقارير(Raporlar 21) وقيل (22)(٣٠٣)حول علةٍ واحدة مردها فساد مؤسسات الدولة وخاصة الجانب العسكري منها،(٣٠٤) ولزوم إجراء إصلاحات لتلافي هذا الضعف، ولتمكينهم من مواجهة

---

(298) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.90- 91.

(٢٩٩) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص51.

(300) Palmer, Alan, Op.Cit, p54.

(301) BOA, HAT, 1241,48261, 1210, Z, 29.

(٣٠٢) عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص34-40؛ جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص3 وما بعده؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص644؛ گوندز، أحمد آق، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، تركيا، 2008م، ص371.

(٣٠٣) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص6-7؛

Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.90- 91.

Palmer, Alan, Op.Cit, p54.

(304) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.260.

الجيوش الأوروبية المتطورة.[٣٠٥] وفي خضم تلك الأحداث انقسم أصحاب التقارير إلى ثلاث جماعات هم:

١- المحافظون أو"التقليديون geleneksel": هم الذين قدموا حجتهم من خلال تمجيد الإمبراطورية العثمانية في الماضي، والمكانة التي حظيت بها كإمبراطورية عالمية، من الممكن أن تعود من خلال إعادة إصلاح مؤسساتها قدر المستطاع، والعودة إلى النهج الذي سلكه سلاطين الدولة الأوائل،[٣٠٦] مستندين إلى الدين الإسلامي الحنيف.[٣٠٧]

٢- الرومانطيقيون أو"المعتدلون ılımlı": هؤلاء الجماعة اعترفوا بالتقدم الأوربي واقترحوا على السلطان الأخذ من أوروبا مع الالتزام بنظام الدولة التقليدي.[٣٠٨]

٣- "الراديكاليون radikaller": وهم الجماعة الذين نادوا بتبديل النظام التقليدي القديم إلى نظام جديد مقتبس من النموذج الغربي،[٣٠٩] وانقسم بدورهم إلى ثلاثة أقسام حملت بين ثناياها أسباب الضعف والفشل:[٣١٠]

أ- قسم رجح بأفضلية كل شيء أوروبي، وأن كل شيء يعود بصلة للترك العثمانيين هو فاسد.

---

(٣٠٥) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص644.

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.260.

(٣٠٦) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص644-645؛ جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص6-7؛ للمزيد انظر:

Karl, Enver Ziya ,Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.38-39.

(307) Miller, William, Op.Cit, p.53.

(٣٠٨) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص644-645؛جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص6-7؛ للمزيد انظر:

Karl, Enver Ziya ,Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.38-39.

(309) Karl, Ibid, S.29-31.

(٣١٠) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص645-646.

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.261.

ب- قسم حريص جداً على النفوذ والثروة والسلطة، وهؤلاء جُل اهتمامهم المناصب والجاه تحت سربال الإصلاح والتظاهر بالنظام الجديد.

ج - قسم مخلص يريد الإصلاح والنهوض بمؤسسات الدولة.

يبدو أن الظروف التي أحاطت بالسلطان سليم الثالث خلال بداية حكمة، شجعتهُ لإنضاج المشروع الذي رسمه في مخيلته لتجديد عهد الإمبراطورية، فوجد من الخيار الثالث الذي اقترحه الراديكاليون ملاذ فكره الإصلاحي،لكن اتخذ في بداية الأمر خيارًا وفق به بين الأطراف للحفاظ على النظام القائم؛ كون الظروف لا تحتمل للمزيد من الثورات،(٣١١) فأوعز إلى وزرائه بضرورة الإصلاح والمضي نحو النهوض بمؤسسات الدولة وتحديثها تدريجياً،(٣١٢) حتى تجاسر السلطان سليم الثالث وطلب بإعداد نظام إصلاحي شامل اصطلح عليه باسم "الترتيب الجديد Tertibi Cedid".(٣١٣) وذلك بعد أن اتخذ السلطان سلسلة من الخطوات تجاه دعاة الإصلاح تمثلت بما يلي:

- لم يستند السلطان سليم الثالث على الإصلاح وفق الخطوط الفرنسية فقط، بل أرسل مبعوثهُ "أبو بكر راتب أفندي Abu Bekir Rateb Efendi" إلى "فيينا Vienna" سنة (1206هـ/ 1791م)؛ لدراسة سبل تقدم الحكومة النمساوية ومؤسساتها العسكرية.(٣١٤) وقد اشتمل تقريره

---

(٣١١) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص647؛ إحسان اوغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص80.

(٣١٢) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1223، مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م، ص70؛

Karl, Enver Ziya ,Selim III.’ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.65- 66.

(٣١٣) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص644 -645؛ حليم، إبراهيم بك، تاريخ الدولة العلية، ص269.

(314) Vucinich, wayne s, Op.Cit p.32 ؛Shaw, Stanford, Between old and new, p.90 ؛Findley, carter v, Op.Cit, P.118.

الذي قُدِمَ للسلطان على ما يقارب (500) صفحة، تناول فيها الشؤون العسكرية والإدارية في الإمبراطورية النمساوية،(٣١٥) كما اشتمل على تفاصيل جمة حول طبيعة عمل المؤسسات في شتى المجالات.(٣١٦)

- أرسل السلطان سليم مبعوثه إلى بروسيا "أحمد عزمي أفندي Ahmet Azmi Efendi"(٣١٧) والذي قدم بدوره صورة تنظيمية للمجتمع البروسي، تضمنت الجانب الاقتصادي والاجتماعي بشكل أكثر دقة من الجانب العسكري.(٣١٨)

- تعيين مقربيه من مؤيدي الإصلاح، فقام بعزل الصدر الأعظم" قوجة يوسف باشا Kouja Youssef Pasha" في 10/ذي القعدة/1094هـ -3/أكتوبر/1792م) وهو أحد المعارضين للإصلاح، وأحل مكانه "ملاك محمد باشا Mehmet Paşa Mlak" وبقي في هذا المنصب لغاية (26/ربيع الأول /1209هـ -20/أكتوبر/1794م)، لقب محمد باشا بالملاك؛ كونه كان يتمتع بشخصية مناسبة للقيادة، وقوة تحمل كبيرة رغم كبر سنة.(٣١٩)

- كما قام السلطان وعين "شلبي مصطفى رشيد أفنديChalabi Mustafa Rachid Efendi" نائب للصدر الأعظم، وأحد عبيد القصر وهو صاحب فكرة الإصلاح العسكري وفق النموذج الغربي، خدم في كنف السلطان واعتبره الملهم الحقيقي والصديق الوفي الموثوق به خلال

---

(315) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.31.

(٣١٦) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص11؛ راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1235 - 1236.

(٣١٧) لم تقف سفارة أحمد عزمي أفندي على بروسيا حسب، بل أرسله السلطان سليم إلى المغرب ليحصل على بعض المساعدات المادية لاسترجاع بلاد القرم. للمزيد انظر:

TURKAL, Merve Karaçay, "Ahmed Azmi Efendi'nin Fas Elçiliği," Mavi Atlas, 4/2015, S.26- 37. Bağlantıda: http://dergipark.gov.tr/download/article- file/84212.

(318) Findley, carter v, Op.Cit, P.118.

(٣١٩) دسوقي، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص120.

(1208-1213هـ/ 1793-1798م)،[٣٢٠] تقلد عدة مناصب منها ناظر النظام الجديد، ودفتر دار النظام الجديد، والأهم من ذلك أن"شلبيChalabi" زاد من العلاقات العثمانية الانجليزية في البلاط السلطاني؛ بسبب الصداقة التي ربطتهُ مع سفير انجلترا في اسطنبول.[٣٢١]

- في حين كان لناظر المالية "يوسف أغاYousef Ağa"[٣٢٢] دوراً أساسياً في إدارة الشؤون المالية للدولة، وعلى الرغم من عدائهِ لحركة الإصلاح إلا أن السلطان سليم أقره في منصبه، وجعله وكيلاً خاصاً للسلطانة الأم لكفاءته الإدارية.[٣٢٣]

- بينما منصب شيخ الإسلام لم يغب عن ذهن السلطان، فقد أسند هذا المنصب لأقدم مؤيدي السلطان سليم وأكبرهم سناً، وهو" تتارجيك زادة عبدالله أفندي Tatarjik zadeh Abdullah Efendi" ولد عام (1143هـ/1730م) إذ شغل تتارجك منصب قاضي الجيش السلطاني عند اعتلاء السلطان سليم العرش، ثم قاضي عسكر الروملي لمرحلتين خلال العامين (1204هـ/1790م) و(1209هـ/1795م)، وأهم ما قدمه تتارجك للسلطان سليم الثالث ولبرنامجه الإصلاحي، مقترحات حول الإصلاح وفق النموذج الغربي وخاصة الجانب

(٣٢٠) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1227؛ Shaw, Stanford, Between old and new, p.87

(٣٢١) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص121.

(٣٢٢) ولد يوسف أغا من عائلة فقيرة لأب امتهن حرفة الخياطة عاش في كريت، وجلب يوسف في سن السابعة ووضع بين يدي قائد الانكشارية سليمان أغا الذي تبناه ولداً له، واخذ يوسف يتدرج بالمناصب من حامل الأختام (مهردار)، ثم شغل منصب سكرتير الباب العالي، ثم مدير مصنع البارود السلطاني في جاليبولي، ثم رئيس المطابخ للقصر السلطاني، ثم أصبح وكيل السلطانة الأم. للمزيد انظر: دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص122-123

(323) Jonquière, A. de La vicomte, Histoire de l'Empire Ottoman depuis les origines jusqu'au traité de Berlin, Hachette, Collection americana, Paris,1881, p.p390-391؛Shaw, Stanford, Between old and new, p.88.

العسكري،[٣٢٤] كما ساهم في إدارة مصنع المدافع السلطاني على النمط الأوروبي، ومعلماً لفرق المدفعية الحديثة،[٣٢٥] كما انتقد أسلوب الحكم الذي اتبعه السلاطين، وقدم في بيانه ضرورة إصلاح جهاز العلماء، والعمل على تلاشي المحسوبية الذي تمخض عنه فساد مؤسسات الدولة.[٣٢٦]

يبدو أن تتارجك كان متحمساً لفكرة الإصلاح، وهذا ليس بالغريب على رجل مخضرم عاصر فترة الثلث الأول من القرن الثامن عشر، وشاهد نقاط الضعف بأم عينيه، لذا رسم مقترحات الإصلاح وقدمها للسلطان بكل ثقة، وخاصة بعد إصداره بعض الفتاوى التي أباحت الإصلاح وفق النموذج الغربي وعدم تعارضها مع المنهج الإسلامي.[٣٢٧] لذا من الأولا أن يهتم السلطان سليم الثالث بمقترحات شيخ الإسلام، وخاصة لمكانته الدينية وتأثيره على طبقة المحافظين.

- كذلك أسهم شيخ الإسلام "محمد عارف أفندي mehmet Aref Efendi" خلال مشيخته من(1206هـ -1213هـ/1792 -1798م) في دعم نواة الجيش الجديد بفتوى تقر الأخذ من الغرب، كما كان له تأثير كبير على أعضاء هيئة العلماء، والذين أقروا بدورهم مشروع الإصلاح وفق النموذج الغربي.[٣٢٨]

---

(٣٢٤) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص123؛

Shaw, Stanford, Between old and new, p.87.

(٣٢٥) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص11؛ دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص124.

(٣٢٦) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص 11.

(327) Heyd, Uriel, "The Ottoman ‘Ulema and Westernization in the Time of Selim III and Mahmud II," in Hourani, et al., Modern Middle East, 1961, p.64- 66.

(٣٢٨)دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص151.

ومن الشخصيات الأخرى التي لعبت دوراً في مساندة السلطان لإعداد برنامجه الإصلاحي خلال الُعشر الأخير من القرن الثامن عشر هم:

- ✓ انجليز "محمود رئيف أفنديMahmud Raif Effendi" أحد الشخصيات التي ساهمت في دفع عجلة الإصلاح زمن السلطان سليم الثالث، عمل في سلك الحكومة العثمانية، ثم معاون الصدر الأعظم، ثم عين سفيرا في انجلترا، وبعد عودته لقب باسم "انجليز İngilizce"(٣٢٩)،كما تقلد منصب"رئيس الكتاب Reis UL-Küttap" سنة (1215-1220هـ/1800-1805م)، حتى تم قتله من قبل القوات التي رفضت التقليد الأوروبي.(٣٣٠)
- ✓ "محمد رشيد أفنديMehmet Rashid Efandi" كان من أقوى مؤيدي إصلاحات السلطان سليم الثالث، شغل منصب ناظر الترسانة السلطانية في مجال بناء السفن، وتدريب البحارة على الخطوط الفرنسية.(٣٣١)
- ✓ "إبراهيم نسيم أفندي İbrahim Nasim Efendi" أحد المقربين من السلطان سليم الثالث لعب دوراً حاسما لدفع عجلة الإصلاح، كما أعاد تنظيم الخزينة السلطانية وشغل منصب ناظر الترسانة في اسطنبول.(٣٣٢)
- ✓ مترجم الباب العالي "جورج موروزى Murusy George" كان حسن السيرة والسلوك عرف عنه الأمانة والإخلاص تجاه الدولة، تمتع موروزى بنصيب كبير من التعليم، كانت جميع

---

(٣٢٩) وهو لقب أطلق على من يقوم بأعمال السفارات مع الدول الأجنبية في الدولة العثمانية، تطورت وظيفتهم وأصبحوا يؤدون دور وزير الخارجية. استمر هذا المنصب إلى(1252هـ/1836م) حيث تم استبداله بنظارة الأمور الخارجية. صابان، سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، ص122؛ رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص15.

(٣٣٠) للمزيد حول شخصية محمود رئيف انظر كتابه: رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص15-16.

(331) Shaw, Stanford, Between old and new, p.91.

(٣٣٢) دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص126.

خطط الإصلاح الداخلي والنظم السياسية تعرض عليه، بصفته مترجم الدولة الرئيسي، ولمكانته الحساسة حاول الفرنسيين التقرب إليه؛ للحصول على بعض المعلومات الاستخبارية عن سفراء الانجليز في اسطنبول، إلا انه رفض التواطؤ معهم لإخلاصه تجاه الدولة العثمانية.(٣٣٣)

يظهر مما سبق أن الشخصيات التي أحاطت بالسلطان سليم الثالث لم تكن شخصيات انتُقيَّت عفوياً، وإنما وفق أسس استند عليها السلطان ليتناسب مع فكره الإصلاحي، ومن هنا بدأت حركة الإصلاح الفعلية بعد أن وضعت الحرب العثمانية الروسية أوزارها،(٣٣٤) فكان مشروع الترتيب الجديد الذي أقره السلطان والحاشية المؤيدة منطلقاً جديداً نحو الإصلاح التدريجي لمؤسسات الدولة، ولبيان هذه الإصلاحات لابد من الإشارة إلى النهج الذي سلكه السلطان ومؤيديه تجاه هذه المؤسسات على النحو الآتي:

- **الإصلاحات الإدارية:**

- أجرى السلطان سليم الثالث في طليعة الإصلاح الإداري، أولى المحاولات لتحديث الحكومات المحلية والتقليدية؛ وذلك لتتناسب مع النظام العالمي وفق الترتيب الجديد.(٣٣٥)
- استند السلطان سليم الثالث إلى أن سبب فشل إصلاحات السلاطين السابقين يعود لعدة أسباب كان منها؛ إهمال بعض المسئولين الحكوميين لواجباتهم؛ لعدم فعالية الأنظمة السابقة، فأمر السلطان المسئولين بأن يكونوا أكثر كفاءة بمهامهم، وإلا سيتم معاقبة كل من يُظهر

---

(٣٣٣) دسوقي، المرجع نفسه، ص127.

(334) Karl, Enver Ziya ,Selim III.’ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.27.

(335) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.29.

التقصير،[٣٣٦] وحتى يضمن السلطان أداء الواجبات الإدارية لموظفين الدولة، استخدم أسلوب جديد وهو"نظام الكفالات Garanti Sistemi'؛ لزيادة فعالية وكفاءة العمل.[٣٣٧]

- تتبع كل من تسول لهُ نفسه أخذ الرشاوى من عوام الشعب، وتذكر وثيقة أن السلطان سليم أمر العاملين بعدم اخذ الرشاوى والانخراط مع المجتمع؛ لحفظ النظام القائم ومنع الفساد.[٣٣٨]
- أهتم السلطان سليم بمكاتب الديوان الإمبراطوري Divan-z Humayun Kalemi' ونظمها وفق الترتيب الجديد، بعد أن كانت ذات نمط تقليدي ومكتظة بالموظفين غير الأَكْفَاء.[٣٣٩]
- نظم السلطان القسم الخاص بالصدر الأعظم، وجعله قسم إداري موسع اصطلح عليه "باب الوظائف "Bab-i Assafi'وأصبح يشكل نمط الإدارة المركزية الرئيسي للحكومة
- في حين عني السلطان سليم بتحسين فعالية وسرية الإدارة،[٣٤١] وعمل على فصل الغرف السرية لإعمال الكتبة عن الغرباء الذين يدخلون المكاتب، وأنشأ قسم خاص للشؤون العامة.[٣٤٢]
- أصدر السلطان سليم فرمانات حول منع تفويض الواجبات الموكولة للأشخاص المعنيين إلى أشخاص مندوبين؛ لأنهم قد لا يمتلكون حس الخبرة في أداء هذه الواجبات.[٣٤٣]

---

(336) Shaw, Stanford, Between old and new, p.170.

(337) Basaran, betül, Op.Cit, p.94.

(338) BOV.HH.14, 435.

(339) Findley, carter v, Op.Cit, p.120. 123.

(340) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.269.

(341) Shaw, Ibid, V,1, p.261.

(342) Findley, carter v, Op.Cit, p.265.

(343) Imber, colin , keiko kiyotaki, frontiers of ottoman studies : state, province and the west (v1), I.B.TAURIS, London , new York, 2005, P.47.

- أجرى السلطان بعض التقسيمات الإدارية على ولايات الدولة كالعراق مثلاً تم تقسيمها إلى مقاطعات أصغر؛ ليتسنى للإدارة المركزية في اسطنبول إحتواء المشاكل والحد من الثورات المحلية.(٣٤٤)

- كذلك عني السلطان سليم "بالبيروقراطيين الإداريين Idari Brükrasi"(٣٤٥)؛ كونهم في طليعة الذين دعموا الإصلاحات، وقد تميزوا باللباس الأسود ذي المعطف الطويل.(٣٤٦)

- ومن هذا المنطلق واجه السلطان سليم سلطة سياسية ودينية ذات أصل يوناني أرثوذكسي، لعبت دوراً كبيرا في البلاط السلطاني اصطلح عليهم "بالفناريين Fenerliler"(٣٤٧). أحتل الفناريون تقليديًا أربع وظائف ذات أهمية كبرى في الدولة العثمانية: هما الترجمان في البلاط السلطاني وترجمان الأسطول وحكام مولدافياMoldova(٣٤٨) وحكام الأفلاقEflak.(٣٤٩)فمن الطبيعي أن تتمتع هذه الطبقة في الدولة العثمانية بالمكانة العالية بحكم الوظائف الحساسة في

---

(344) Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.182.

(٣٤٥) ثمة الكثير من المعاني عن مفهوم البيروقراطية نوجزها على أنها: المغالاة في التمسك بحرفية القواعد وشكلياتها، وتعني أيضا نظام الحكم القائم في دولة ما يوجهها كبار الموظفين المهتمين ببقاء نظام الحكم لارتباطه بمصالحهم الشخصية. للمزيد انظر:

Weber, Max "Bureaucracy" in Weber's Rationalism and Modern Society, translated and edited by Tony Waters and Dagmar Waters, Palgrave- Macmillan 2015, p. 114.

(346) Gürpınar, doğan, Op.Cit, P.39.

(٣٤٧) عائلات يونانية أرستقراطية سكنت في حي الفنار في مدينة إسطنبول، وحي الفنار هو مركز بطريركية القسطنطينية المسكونية؛ أي مركز الأرثوذكسية الشرقية. كان لهذه العائلات نفوذ سياسي داخل الدولة العثمانية ونفوذ ديني في تعيين البطريرك، الزعيم المسيحي الأبرز في الدولة العثمانية.للمزيد انظر:

Phanariote Ottoman Offlcial, The Editors of Encyclop? dia Britannica:20/7/1998,See it 6/11/2017m Time: 04:08 pm. https://www.britannica.com/topic/Phanariote.

(٣٤٨) تقع شرق أوروبا بين أوكرانيا ورومانيا، شمالي شرقي رومانيا واحدة من أقاليم رومانيا.

(349) Phillion, Christine M, Op.Cit, P.44- 46.

الدولة، لكن السؤال الذي يطرح نفسه كيف نظر السلطان سليم لهذه الفئة، وما هي الإصلاحات التي قام بها تجاه هذه الزمرة.؟

١. نظر السلطان سليم إلى هذه الزمرة على أنها ذات مصالح مختلفة، سعت بمختلف الوسائل للوصول إلى أهدافها الخفية وافتعال الثورات ضد الدولة إذا ما سنحت لهم الفرصة، الأمر الذي دفع السلطان لوضع حد لهذه الزمرة، ومعاقبة كل من تورط بالمؤامرة ضد النظام.[٣٥٠]

٢. تجدر الإشارة إلى الوظائف الإدارية التي انتهزها الفناريون بحكم المناصب التي امتازوا بها،والسفارات التي أقاموها في "ولاشيا[٣٥١]Wallachia"ومولدافياMoldova لم تكن وظائف متاحة لعوام الشعب، بل لخواص الأمراء والنبلاء الفناريين وذويهم، إلا أن الظروف أثبتت عكس ذلك، فتذكر وثيقة مؤرخة في بداية القرن التاسع عشر، أن السلطان سليم أصدر فرمان بحصر تعيين الأمراء الفناريين فقط من فئة الأمراء والنبلاء؛ وذلك بعد أن وجد تداخل من الطبقات الأخرى للقيام بالإعمال الدبلوماسية للدولة.[٣٥٢]

٣. تمتع الفناريون بحرية في إدارة شؤونهم المالية والدينية، فقد عكس على سياستهم التواقة نحو الاستقلال، الأمر الذي حفزهم على أن يشعروا بأنهم حكام مسيحيون مستقلون حتى وإن كانوا تحت كنف السلطان،فقد استخدموا وسائل التحايل لامتلاك الأراضي في ولاشيا ومولدافيا، فضلاً عن امتلاكهم مناجم الملح.[٣٥٣]

(350) Phillion, Christine M, , Op.Cit P. 46.

(٣٥١) منطقة في رومانيا ، تقع في الشمال من نهر الدانوب.

(352) A.H. 1216؛ M.1801- 1802.

(353) Phillion, Christine M, Op.Cit, p.p.49- 55.

- استأنف السلطان سليم الإصلاحات الإدارية فقد قام ولأول مرة بتعيين سفراء دائمين في باريس Paris، ولندن London، وبرلين Berlin،" وسانت بطرسبرغ Petersburg".[٣٥٤]

- حرص السلطان سليم على إرسال بعض المبعوثين المتعلمين للغة الدولة التي ابتُعِثَ إليها كسفير.[٣٥٥] وقد حظي بعض الفناريين بأن يكونوا سفراء دائمين لمن ثبت ولاؤه للسلطان، أما من ثبت عليه الغدر والخيانة فقد كان يتم معاقبته ومصادرة ممتلكاته.[٣٥٦]

- ضبط السلطان سليم دخل السفراء الإضافي، بعد تجاوزهم في بيع براءة الاختراع للقراصنة أو الموظفين العثمانيين؛ للحصول على امتيازات إضافية على حساب إدارة الدولة.[٣٥٧]

- حاول السلطان سليم تقريب زمرة رجال الدين والعلماء لتنفيذ برنامجه الإصلاحي وذلك على النحو التالي:

١. استغل السلطان سليم مكانته الدينية بكونه خليفةً للمسلمين " Khalife " في نهاية القرن الثامن عشر؛ فقد حد من بعض المشاكل الخارجية بعد تسلمه العديد من رسائل مسلمي الهند، يشكون التعديات البريطانية تجاههم، الأمر الذي دفع السلطان لتسوية الأوضاع بين كلا الطرفين؛ لمنع افتعال مثل هذه المشاكل.[٣٥٨] وجاءت عناوين هذه الرسائل بالصيغة التي تحمل عبارة إمام المسلمين، وخادم الحرمين الشريفين، الخليفة أمير المؤمنين:

---

(354) Itskowitz, auyhor, Op.Cit, p.109؛ Vucinich, wayne s Op.Cit, p.100.

(355) Palmer, Alan, Op.Cit, p.55.

(356) Phillion, Christine M, Op.Cit. p.61.

(357) Laidlaw, Christine, The British in the Levant trade and perceptions of the Ottoman Empire in the eighteenth century, Tauris Academic Studies, London, 2010, p.39.

(358) Abu- Manneb, Itzchak Weismann and Fruma Zachs, Ottoman reform and Muslim regeneration studies in honour of Butrus.Library of Ottoman studies. I.B. Tauris;

"Pilafet Imam-i Müslimin,khadimü'l Haremeynis-Serifeyn, Khalife-i azam emirü'l-mü'minin, imamü'l-muvabbidin".[359]

٢. اقترح على السلطان سليم في أوآخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر، توسيع رقعة الصوفية الإسلامية، والأرثوذكسية المسيحية في العاصمة العثمانية؛ لدعم نهج الإصلاح لديه وموقفهم الحساس في التأثير على عامة الشعب.[٣٦٠]

يبدو أن السلطان سليم انتهز فرصة المكانة الدينية التي حضي بها أهل الذمة، وذلك للحصول على الدعم الخارجي لدفع عجلة الإصلاح في الدولة من جهة، والحصول على بعض الامتيازات وخاصة الاقتصادية من خلال علاقته الإدارية مع حكام المسلمين المستقلين كالمغرب وتونس والجزائر من جهة اخرى .

- **الإصلاحات العسكرية:**

بعد الهزيمة التي مُنِّيَ بها الجيش العثماني في فيينا سنة (1094هـ/1683م)،اعترف القادة العثمانيون ولأول مرة بتفوق الأسلحة الأوروبية، الأمر الذي دفع سلاطين القرن الثامن عشر للاستعانة بالغرب وهو ما اصطلح عليه "بالتغريب"[٣٦١]؛ للقيام ببعض الإصلاحات ولكن على نطاق محدود، حتى اِعْتَلى السلطان سليم الثالث سُدَّة الحكم،[٣٦٢]ولاحظ الفساد المستشري في البلاد، فأدرك أن علة الدولة تكمن في السياسة التقليدية، والمؤسسات العاجزة بالقضاء على هذا

Distributed in the United States and in Canada by St. Martins Press, London; New York, 2005. P.22.

(359) Abu-Manneb, Ibid, P.22.

(360) Abu-Manneb, Ibid, P.23.

(361) Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.63.

(362) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.32.

الفساد وإصلاح الخلل إلى حدٍ ما،(٣٦٣) كما تعرف على أوجه القصور في المؤسسات العسكرية، واعترف بأنه ينبغي إجراء تغييرات شاملة وفق ترتيب جديد يفضي بالدولة نحو التقدم.(٣٦٤)

استدعى السلطان سليم الثالث بعض الشخصيات وأعيان الدولة؛ لمناقشة المشاكل التي ألمت بمؤسسات الدولة وسبل الإصلاح، وانصب رأي الجميع على أن الإصلاحات العسكرية ملحة للغاية،(٣٦٥)فتكونت في ذهنه فكرة ثابتة هي ضرورة إجراء برنامج إصلاحي شامل أكثر تنوعاً وصرامة،يستهدف مؤسسات الدولة ولا سيما المؤسسة العسكرية بشقيها البري والبحري.(٣٦٦)

ومن الإصلاحات العسكرية التي عني السلطان بتنظيمها وفق الترتيب الجديد ما يلي:

أصدر السلطان فرمان لإجراء بعض الإصلاحات في مجال المدفعية العثمانية التقليدية على النحو الآتي:"اوجاقات المدفعية Topçular Ocağı"(٣٦٧) وقد حضي هذا الأخير بسلسلة من الإصلاحات طبقت على المدفعية العثمانية،(٣٦٨) وخاصة سلاح "القمبرجي أي القاصفة" وقد حضي أعضاء هذا السلاح من الضباط والأفراد بالإعداد الفكري والبدني في التعليم العسكري.(٣٦٩) كذلك سلاح "الخمبرجية Humbarucı" وتكتب "همباره جى" أي المختصين في صناعة القنابل

(363) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.41.

(364) Gürpınar, doğan, Op.Cit, p.61 ؛ Palmer, Alan, Op.Cit, p54-55؛Edib, Halide Op.Cit,S.64.

(٣٦٥)أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1؛ ص646-647.

(366) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.33

(367) Shaw, Stanford J, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: **V.2**, Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280-1808, Cambridge U.P, 1976, p.25 ؛ El-Leithy,Tamer, Op,Cit, p.66-68.

(368) BOA, TS.MA.d, 24450006,1214, C, 29.

(٣٦٩) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص59-61؛ عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص43-45.

اليدوية،[٣٧٠] تكون هذا الإوجاق من ثلاثة غرف في كل واحدة (25) ضابطاً و(75) جندي وعلى رأسهم ضابط يعرف باسم (آلاي باشى)، أهم ما تضمن هذا الإوجاق عدد من الضباط الخبراء من العثمانيين والأوروبيين، تولوا مهمة التدريس النظري والعملي لأفراد هذا الإوجاق،[٣٧١] و"اللغمجية أولغمجىLağlmcl' وهم المختصون في الاستحكامات الدفاعية عن طريق الألغام،[٣٧٢] وعين لهذا السلاح قائد يدعى "لغمجي باشي".[٣٧٣]

في حين طبق الإصلاح أيضاً على سلاح "العربه جى Arabacı" أي سائقي عربات المدفعية،[٣٧٤] وقد وجب عليهم أن يكونوا بالقرب من ثكنات المدفعية.[٣٧٥] أما "الجبجية Cebeciler' فهي الفرقة المسئولة عن إنتاج وإصلاح الأسلحة والذخائر للجنود المشاة والفرق المدفعية،[٣٧٦] كذلك عني السلطان بترتيب جديد شمل"مدفعية الفيالقTop Arabacı" و"الانكشارية Yeniçeriler"،[٣٧٧] و"الترسانة البحرية Teresanh Bahri"،[٣٧٨] والفرسان في اوجاقات المدفعية من المشاة البيادة،[٣٧٩] التي شكلت بدورها نواة "الجيش جديد Yeni Cedid"[٣٨٠]عام(1207هـ -

(٣٧٠) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص647.

(٣٧١) إحسان اوغلى، أكمل الدين الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، إشراف وترجمة: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إسطنبول، تركيا، 1999م، ص504.

(372) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.46-47.

(٣٧٣) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص298-299؛ رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص52-53.

(٣٧٤) عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص46-48؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص647.

(٣٧٥) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص52-53.

(٣٧٦) طقوش، محمد سهيل، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، ص258.

(377) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, **V,1**, p.261.

(٣٧٨) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1223.

(٣٧٩) سرهنك، المير ألاي إسماعيل بن عبدالله (1924 - 1854)، حقائق الأخبار عن دول البحار ، عدد الأجزاء 3، المطبعة الأميرية، بولاق مصر، 1312هـ/1894م. ج1، ص645.

1793م) وهو برنامج متعدد الأوجه شمل إصلاح الجانب العسكري بشتى المجالات،[٣٨١] تضمن تجنيد فتيان الأتراك الفلاحين في الأناضول الذين أرسلوا من قبل حكام المقاطعات؛لإعدادهم وتدريبهم وتجهيزهم على الطريقة الأوروبية[٣٨٢] عن طريق خبراء عثمانيين تم تدريبهم من قبل المجري دي توت سابقاً،[٣٨٣]إلى جانب مستشارين فرنسيين قدموا بعد عام (1208هـ/1794م).[٣٨٤]

تضمن هذا الجيش ما يقارب(2,536) جندي في البداية و(27) ضابط في (ذي القعدة/1211هـ - أيار/1797م)[٣٨٥]، لقت استحسان السلطان من حيث الضبط والربط العسكري،[٣٨٦] مما دفع الأخير إلى دعم هذا الجيش حتى أصبح ما يقارب (9263) جندي في (ربيع الأول /1216هـ - تموز/1801م) ومع بداية القرن التاسع عشر عام (1217هـ/1802م) طبق النظام العسكري الجديد في اسطنبول حتى غدا في نهاية (1221هـ/1806م) ما يقارب(

(٣٨٠) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1228؛ رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص32، وما بعدها...

(381) Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.184 ؛Erimtan, can, Ottomans Looking West; The Origins of the Tulip Age and its Development in Modern Turkey, Tauris Academic Studies, London, New York, 2008, p.31.

(382) Itskowitz, auyhor, Op.Cit, p.109؛Palmer, Alan, Op.Cit, p54- 55.Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.64 ؛Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.262.

(٣٨٣) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1241.

(384) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.261 ؛ Frederick C. Schneid, The Projection and Limitations of Imperial Powers, 1618–1850, Leiden, Boston, 2012, p.159.

(385) Black, Jeremy, Op.Cit, p.152 ؛Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.262.

(٣٨٦) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص297.

22,685) جندي و(1590) ضابط،[٣٨٧] ثم (25,000) جندي سنة (1223هـ/1808م)، تم تدريبهم علي أيدي ضباط وخبراء أوربيين وفرنسيين يعملون وفق النظم الأوروبية على وجه الخصوص.[٣٨٨]

أمر السلطان أيضاً بتشييد ثكنة خاصة أطلق عليها النظام الجديد في مدينة "صكيتاري Scutari"[٣٨٩]، في ميدان فسيح لتدريب المشاة والخيالة في "Levend Ciftlik"[٣٩٠] أي المزرعة البحرية" وهي منطقة معزولة تقع في الجهة الشمالية من العاصمة اسطنبول على بعد عشرة أميال،[٣٩١] كما الحَّقَ بها كافة المرافق العامة، وفضلاً عن ذلك أدخل السلطان إصلاحات لتزويد هذا الجيش بالأسلحة والذخيرة الحديثة.[٣٩٢]

يذكر محمود رئيف أفندي الشاهد العيان على إصلاحات السلطان، أنه منذ صعود الأخير سُدَّةِ الحكم، أراد توفير جميع ما تحتاجه المستودعات جباخانات "Jaba Khanat" من السلاح والذخائر والبارود بما تكفي لأربع حملات عسكرية،[٣٩٣] كما عني السلطان بترتيب أمور "الجابدجية Jabadjieh" أي ملتزمو الذخائر، وقد رافقت الأخيرة إلى جانب الجيش الإنكشاري إثناء المعارك

(387) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.262 ؛ Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)'Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri, S.65-66.

(388) Palmer, Alan, Op.Cit, p54

مانتران، روبير، (محرر) تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة:بشير السباعي، عدد الأجزاء 2، دار الفكر، القاهرة – باريس، 1993م، ج1، ص13.

(٣٨٩) مدينة عسكرية تقع على البر الأسيوي المقابل "للبوسفور Boğaz" نمت خلال عهد الإصلاحات، اصطلح عليها الأتراك اسم "اسكودار Uskudar". مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م، ص72.

(390) BOA, TS.MA.d, 24450006,1214, C, 29.

(٣٩١)دسوقى، ناهد، بداية الإصلاح في الدولة العثمانية، ص149.

(392) Shaw, Stanford, Between old and new, p.88.

(٣٩٣) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص42 -43.

العسكرية، في حين كان أعداهم أكثر من اللازم، مما دفع السلطان بضم أفرادها الزائدين إلى بقية صفوف الجيش؛ ليتم إخضاعهم للتدريب العسكري.[٣٩٤]

ومن المشاكل التي عني السلطان سليم الثالث بضبطها وادخلها في نهج الإصلاح لديه ما يلي:

- أجرى السلطان سليم تفتيش واسع على الموظفين الإداريين الذين تقلدوا الألقاب العسكرية المزيفة، وتم إحالتهم إلى المحاكم لإجراء العقوبات بحق كل من ثبت عليه ذلك،حتى أصحاب الحرف التجارية فمنهم من كان يحمل لقب عسكري وديني في نفس الوقت، وهذا دليل على تجاوز الانكشارية في بيع المناصب العسكرية مقابل المال.[٣٩٥]
- كان المبدأ الأساسي للإصلاح التنظيمي الذي عني السلطان سليم بضبطه، هو الفصل بين الوظائف الإدارية والعسكرية في كل فيلق، مع إيجاد مشرف مستقل" Nazır' للتعامل مع الألوية للقيام بالواجبات العسكرية.[٣٩٦]
- عني السلطان سليم بضبط القوات العسكرية وفق تسلسل الهرمي للرتب والترقيات؛ لضمان أقصى قدر ممكن من الكفاءة العسكرية، ومنع الفساد والرشوة، كما اخضع الضباط وأفراد الجند للاختبارات العسكرية؛ من أجل تصحيح القصور وإعداد الجيش بمهارة وكفاءة.[٣٩٧]

---

(٣٩٤) عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص49-50.

(395) Basaran, betül, selim III, social control and policing in Istanbul at the end of the eighteenth century, p.126.

(396) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.261.

(397) Shaw, Ibid, V,1, p.261.

- اتبع السلطان سليم إستراتيجية جديدة لضبط مشكلة المرتبات أو"العلوفات" فأمر بالتدريب المنظم، ودفع الأجور شهرياً لمن أدى الواجبات الموكولة إليه، كما أجرى سلسلة تفتيش على المتدربين محلياً؛ من أجل إبعاد غير القادرين على العمل والفارين من الخدمة، لكي لا يصبحوا عِبْئًا إضافيًا إضافي على خزينة الدولة.(٣٩٨)

- طبقت الإصلاحات على الفيالق الأكثر راديكالية، في حين تراجعت الانكشارية إلى ما يقارب (30.000) رجل، كما بُذِلَتْ الجهود لإنتاج بنادق جديدة وذخائر تضاهي الأسلحة الأوروبية.(٣٩٩)

- أصدر السلطان سليم أمرًا بتجنيد جميع الرجال المسلمين الذين تتراوح أعمارهم بين (16-60) عامًا، وتطبيق النظم العسكرية الجديدة عليهم.(٤٠٠)

- أوجب السلطان على جميع الخريجين من المدارس العسكرية من ضباط الفيلق الجديد، أن يعودوا إلى مدارسهم على فترات؛ من اجل إعادة تزويدهم بما استجد عليهم من أساليب التكتيك العسكري.(٤٠١)

- كذلك عني السلطان بعدم السماح لفيلق الجيش الجديد والمدربين الأجانب بالاختلاط مع جند الانكشارية.(٤٠٢)

---

(398) Shaw, Stanford j, history, V,1, p.261.

(399) Shaw, Ibid, V,1, p.261.

(٤٠٠) كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص463.

(401) Shaw, Ibid, V,1, p.261- 262.

(402) Shaw, V,1, p.261- 262.

يبدو أن السلطان سليم أراد من وراء ذلك، أن يثبت لخصومه المحافظين وجه الاختلاف بين الفيلق القديم والجديد، ولعدم تأثر الفيلق الجديد بطبيعة النظام الانكشاري،(٤٠٣) لعل هذا المقترح حمل في ثناياه بذور الصراع بين الفيلقين في ما بعد.

- فرض السلطان قيود على الانكشارية، فلم يسمح للجندي الانكشاري بالزواج وأوجب عليهم البقاء في الثكنات.(٤٠٤) يبدو أن هذه الخطوة التي اتخذها السلطان جعلت من الانكشارية العدو المتربص له، الأمر الذي دفعهم إلى الثوران ضده في ما بعد.
- أصدر السلطان مرسومًا تضمن اختيار أفضل الشبان من جند الإنكشارية والفرق العسكرية؛ للإتحاق بالنظم العسكرية الجديدة والعمل على شاكلة الترتيب الجديد.(٤٠٥)
- تم إجراء تنظيم مباشر على من يحال إلى التقاعد إما لعلة المرض أو كبر السن، فقد تم تخصيص معاش يتقاضى منه الضباط والأفراد المتقاعدين، وهو نصف ما كان يجني وهو على رأس عمله.(٤٠٦)
- كما عني السلطان بترتيب أمور توفير البارود، كونه لمس مدى تردي نوعية البارود المستخدم في أسلحة الدولة، ويذكر رئيف أفندي أن السلطان رأى بألم منذ عام (1182هـ/1768م)، نوعية البارود المصنع في بلادة وأدرك أنه لا يصلح إلا لرشقات في حالات الابتهاج، الأمر الذي دفعه إلى تحسين نوعية البارود عند اعتلائه العرش، والعمل على جلبه من الخارج،

(403) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.45-46.
(404) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.261.
(٤٠٥) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص296؛ الزبيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني 1516-1916م، ص248.
(٤٠٦) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص296.

بالإضافة إلى بناء أماكن لصناعة البارود في اسطنبول، وغاليبولي، وسالونيك.[٤٠٧] وتذكر وثيقة أن السلطان أمر بتقديم (200) قنطار من البارود الجيد إلى الوالي "يوسف ضياء باشا Yusuf Ziya Paşa" من أجل تحصين قلاع ارض رومErzurum.[٤٠٨]

- عمل السلطان على تطوير مسبك المدافع السلطاني في "Tophané" وهي أحد أحياء اسطنبول التي عملت على سبك المدافع وتطويرها بما تناسب النظم الأوروبية،[٤٠٩] كما أمر السلطان بتنظيم الطرق المؤدية إليها،[٤١٠] وعمل على إصدار فرمان من أجل ترميم مباني المصانع القديمة.[٤١١] وتذكر وثيقة أن السلطان أمر ببناء ترسانة بحرية كبيرة في "Tophané" لتنظيم صناعة السفن في عام (1207هـ/1793م).[٤١٢]
- قدم السلاطين الدعم المتقطع لبناء السفن الحديثة وإصلاح وحدات المدفعية الخفيفة والثقيلة،[٤١٣] حتى جاء السلطان سليم وأضاف بعض التعديلات على نوعية الأسلحة البحرية.[٤١٤] بعد أن كانت تعاني ضعفاً واضحاً في الجانب التقني والعسكري.[٤١٥]

عني السلطان بترتيب الترسانة البحرية أو الترسانة العامرة "Tersâne-i Amire" في الإمبراطورية العثمانية؛[٤١٦] وتذكر وثيقة أن السلطان أمر ببناء ترسانة بحرية جديدة في محرم عام

---

(٤٠٧) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص49-50.

(408) BOA, TS.MA.e, 283, 12, 1222,Ra, 02. Shaw, Ibid, V.1, p.148.

(409) Shaw, Ibid, V.1, p.148.

(٤١٠)عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص41-43

(411) Shaw, Stanford, Between old and new, p.141.

(412) BOA, C..AS.., 64, 3018, 1207,B, 09.

(413) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.44-48.

(414) Palmer, Alan, Op.Cit, p54.

(415) Shaw, Stanford, Between old and new, p.151.

(416) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.63.

(1204هـ/تشرين أول/1789م)؛[٤١٧]لأهميتها في حماية حدود الدولة من جهة البحار،وتحديث الأسطول العثماني؛ لمجابهة روسيا القيصرية بعد الهزائم التي مني بها الجيش العثماني في نهاية القرن الثامن عشر.[٤١٨] ففي عام (1203هـ/1789م) تألفت البحرية العثمانية من (18) سفينة و(8) مراكب شراعية، و(24) سفينة حربية، و(6) طرادات على السواحل يبلغ طولها من (35-23 متر)، والعديد من أنواع السفن المختلفة يبلغ عددها (90)، بالإضافة إلى عدد من السفن التجارية يتراوح تعدادها بين (600-650) سفينة.[٤١٩]

كان جل هذه السفن وخاصة الحربية تعاني تندي كبير في المستوى التقني بالمقارنة مع تكنولوجيا الأساطيل الحربية المعاصرة لتلك الفترة،[٤٢٠] بالإضافة إلى تدني مستوى وهيكل السفينة؛ بحيث كانت عرضة للتفكك إذا ما تعرضت لعاصفة هوجاء.[٤٢١] وقد تم تجديد البحرية باعتبارها واحدة من أضعف الروابط في الجيش العثماني،[٤٢٢] ومن ثَمَّ كانت واحدة من أولى البرامج المستهدفة لاعتماد المعرفة الغربية والتكنولوجية،[٤٢٣] وجاءت إصلاحات السلطان في جانب البحرية العثمانية على النحو الآتي:

---

(417) BOA, TS.MA.d, 24350001, 1204, M, 29.

(418) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.90.

(419) Zorlu, Tuncay, Innovation and empire in Turkey Sultan Selim III and the modernisation of the Ottoman Navy, Tauris Academic Studies ; In the United States of America and Canada distributed by Palgrave Macmillan, London, New York, 2008, p.13.

(420) Zorlu, Ibid , p.13.

(421) Zorlu, Ibid, p.32.

(٤٢٢) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص64-65.

(423) Mossensohn, Miri Shefer, Science among the Ottomans, USA, 2015, p.79.

١. جرت أولى المحاولات لشراء سفن حربية من بلد أجنبي حسب وثيقة مؤرخة تحاكي العلاقات العثمانية مع هولندا حول شراء (6) سفن حربية خلال الفترة (1204-1205هـ/ 1790-1791).[٤٢٤]

٢. تم استدعاء خبراء البحرية الفرنسيين والسويديين لتعليم النجارين البحريين العثمانيين تقنيات بناء السفن الجديدة،[٤٢٥] فجاء المهندسان "لوروا Le Roi" و"دوريست Durest"، بحكم الاتفاقيات الثنائية بين البلدين بين عامي (1198-1202هـ/1784-1788م)،[٤٢٦] ثم في عام(1208هـ/1793م) جاء جاك بالتازار لوبران الفرنسي (Jacques-Balthazard le Brun)،[٤٢٧] الذي بنى عدة سفن للسلطان سليم الثالث وفق النموذج الغربي،[٤٢٨] في حين أسهم السويديين بحكم علاقات التحالف بين كلا البلدين في دعم حركة التحديث في الدولة العثمانية، وكناية عن استمرار علاقة الصداقة والمودة بين كلا البلدين،[٤٢٩] فقد أسهم السفير السويدي "Ignatius Mouradgea d'Ohsson"[٤٣٠] في إحضار المهندسين لبناء السفن

---

(424) BOA. CB, NO, 6055.

(425) BOA, TS.MA.e, 524, 64, 1222,Ra, 21.

(426) Zorlu, Tuncay, Op,Cit, p.68, 81.

(427) Zorlu, Ibid, p.38, 82-84.

(٤٢٨) للمزيد حول جذور البحرية العثمانية وتطورها خلال القرنين التاسع عشر العشرين انظر:

Beydilli, Kemal, Op.Cit, S.33-35.

Ahmet, Güleryüz, The Ottoman Steam Navy, 1828–1923. Naval Inst Pr, 1995.

(429) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 70 ,1206, M, 25.

(٤٣٠) عاش اغناطيوس موراجيا داهسون بين (8/جمادى الأولى/1153هـ -23/جمادى الثانية/ 1222هـ- 31/تموز/1740م -27/آب/1807م) كان مستشرقاً ومؤرخاً ودبلوماسياً أرمنياً تولى خدمة السفارة السويدية في اسطنبول،حصل على أعلى درجات الشرف الدبلوماسية. للمزيد انظر:

Zorlu, Op,Cit, p.91؛ Elisabeth A. Fraser, Mediterranean Encounters: Artists Between Europe and the Ottoman Empire, 1774-1839, Penn State University Press, 2017.

وخبراء البنادق إلى اسطنبول،(٤٣١)كما أسهم "غازي حسن باشا Gazi Hasan paşa' في تنظيم البحرية العثمانية،(٤٣٢) وإدخال التكنولوجيا الغربية في صناعة هذه السفن.(٤٣٣) وخلال مسيرة الإصلاح التي أقرها السلطان وفق الترتيب الجديد، قدم حاكم المغرب محمد مولىMevlânâ Mehmet بعض الطرادات والسفن الحربية بالإضافة إلى (1000) قنطار(٤٣٤) من البارود.

٣. أرسلت النمسا واسبانيا فنيين للمساهمة في ترتيب الترسانة البحرية، من حيث إعداد الجسور وصيانة الأسلحة.(٤٣٥) وهناك وثيقة تشير إلى إرسال ملك اسبانيا للسلطان سليم الثالث بيان يحث بِهِ على استمرار العلاقات الطيبة بين كلا الطرفين.(٤٣٦)

٤. وضع السلطان سليم شكل من أشكال التجنيد الإلزامي للبحرية في المقاطعات الساحلية وخاصة "بحر ايجه Ege Denizi' وشدد قبضته على المدفعية البحرية؛ لرد أي خطر تفتعله السفن المعادية كروسيا.(٤٣٧)

---

(431) Zorlu, Ibid, p.91 ؛Mossensohn, Miri Shefer, Op.Cit, p.79.

(432) BOA, TS.MA.d, 16217,1208, R, 9.

(٤٣٣) عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص51؛

Zorlu, Ibid, p.32؛ Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)'Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri, S.66- 68.

(٤٣٤) القنطار: وحدة وزن تختلف مع تبدل السنين ذكرها الطبري بأنها ألف ومئتا أوقية وهي تعادل (143.8) كيلو غرام في يومنا. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير المعروف بالطبري، (ت: 310هـ/922م)، جامع البيان في تأويل القرآن، عدد الأجزاء: 24، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ - 2000م، ج6، ص246.

(435) Zorlu, Ibid, p.97.

(436) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 15 ,1204, B, 3.

(437) Palmer, Alan, Op.Cit, p54- 55.

٥. نظم السلطان سليم بعض القلاع المطلة على بحر ايجه، وعمل على بث السفن الحربية حتى وصلت صوب المناطق القريبة من"بلغارياBulgaria" و"مقدونياMacedonia"؛ وذلك لمواجهة خطر القراصنة في البحر.(٤٣٨)

٦. تم وضع نظام أكثر رقابة وانضباط وحوافز الترقية والرتب؛(٤٣٩) لتشجيع جند البحرية على ممارسة عملهم،(٤٤٠) كما تم فتح ترسانات بحرية جديدة "Tersane Cedid" تبعها بناء عدد كبير من السفن وفقاً لأحدث معايير الهندسة البحرية الحديثة.(٤٤١)

٧. حصل السلطان سليم على الدعم البريطاني مقابل حصول الأخير على أخشاب البلوط والسنديان والصنوبر من غابات البانيا لصناعة السفن.(٤٤٢)

٨. تم التنقيب عن العديد من مناجم الحديد الخام أو المصنع؛ لاستخدامه في صناعة السفن، والمعدات الحربية وغيرها من لوازم الصناعة.(٤٤٣) ويذكر أن السلطان سليم الثالث لجأ إلى خزينة "الإيراد الجديد Airad-ı Cedit"(٤٤٤) لشراء (1000 قنطار) من الحديد الخام؛ للمساهمة في صناعة السفن الحربية وتسييرها في الحملات العسكرية.(٤٤٥) كما ساهمت "غلطا Galta Tophanesi" في تأمين بعض قضبان الحديد.(٤٤٦)

---

(438) Miller, William, Op.Cit, p.19.

(439) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.64- 65.

(٤٤٠) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص66.

(441) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.261-262.

(442) Zorlu, Tuncay, Op.Cit, p.17.

(443) Zorlu, Ibid, p.17.

(٤٤٤) سيتم الإشارة لها لاحقاً في جانب الإصلاح الاقتصادي حول ماهية هذه الخزينة وسبب إيجادها.

(445) Zorlu ,Op.Cit p.56.

(446) Zorlu, Ibid , p.68.

٩. أدخل النحاس والرصاص بشكل أكبر في بناء معدات السفن العثمانية مع نهاية القرن الثامن عشر،[٤٤٧] فتم جلبه من مناطق أوروبا كبريطانيا والبلقان، بالإضافة من بعض التجار الروس عندما اقتضت الضرورة لذلك، فقد استخدم بشكل أساسي لكساء السفن ضد دودة السفن بالانجليزية "Shipworms"[٤٤٨]، كما استخدم على متن السفن كأواني ومعدات لتخزين البارود والطلاء.[٤٤٩] بلغ عدد السفن التي أدخل عليها النحاس ما لا يقل عن (40) سفينة حربية خلال(1203-1217هـ/1789-1802م).مما يدل على فعالية استخدام النحاس في البحرية العثمانية رغم التكلفة العالية.[٤٥٠]

١٠. استخدمت الأقمشة الحريرية لصناعة أشرعة السفن والحبال؛ لمقاومة الرياح العاتية في البحر،[٤٥١] وفي (6/ربيع الثاني/1212هـ -27/أيلول/1797م)اشترى الباب العالي(83) لفة من الأقمشة الروسية ذات السُمك الجيد من احد التجار الروس يدعى"Dimitri' بتكلفة (30) قرش Kuruş لكل لفة،[٤٥٢] أي 83x30=2490)Kuruş). كما بلغت نفقات الدولة على الحرير والطلاء والخياطة بين عامي(1795-1796م) ما يقارب Kuruş(1339).[٤٥٣]

(٤٤٧) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص52-53.

(٤٤٨) "ليست ديدان في الحقيقة، ولكنها بالأحرى مجموعة استثنائية من المحارات الملزمية التي تعيش في المياه المالحة لها أصداف صغيرة جداً. وهي ديدان معروفة بحفر وتحطيم المشيدات والهياكل الخشبية المغمورة في مياه البحر، مثل الأرصفة والموانئ والسفن الخشبية. أحياناً تسمى بـ"نمل البحر الأبيض" على ويكبيديا https://ar.wikipedia.org/wiki/

(449) Zorlu, Ibid, p.22-23.

(450) Zorlu, Ibid, p.33.

(٤٥١) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص68.

(452) Zorlu, Op.Cit, p.25.

(453) Zorlu, Ibid, p.25,29.

١١. تم استخدام القطران والدهان وشحوم الحيوانات بالإضافة إلى الكبريت في عملية طلاء الأخشاب وتشحيمها؛ لحماية السفن من سوء الأحوال الجوية، فقد تم جلبهما من التجار المحليين والأجانب،[٤٥٤] وقد استخدم القطران والطلاء السويدي في الترسانة البحرية العثمانية عام (1214هـ/1799م).[٤٥٥]

١٢. أسهم المهندسان الفرنسيان "Le Brun وLe Roy" _كما سبق ذكرهما_ في التغلب على مشكلة تقوس السفينة وتركيب السواري في أماكنها، من خلال استئناف بناء السفن داخل البحر وإلحاقها بالرافعة؛ مما يقلل الضغط على دعائم الأخشاب عند إطلاقها في عرض البحر.[٤٥٦]

١٣. ادخل السلطان سليم تقليد حفظ السجلات "Seyir Defteri" في الترسانة البحرية وعلى متن السفن خلال الفترة الممتدة بين (1208-1209هـ/1796-1797م)، تضمنت هذه السجلات القواعد البحرية والملاحية "Kavâid-i Babriye" داخل كتاب أطلق عليه اسم كتاب البحر حمله غالبية ربان السفن،[٤٥٧] كما شحنت هذه السفن بمعدات الملاحة البحرية كالبوصلة، والساعة الرملية بالإضافة إلى بعض الخرائط الحديثة.[٤٥٨]

١٤. تم إجراء بعض الترتيبات على متن السفن من حيث المواقد والمطبخ؛ لتزويد الجند بالطعام بدلاً من حصص الإعاشة التي كانت توزع للجند عند كل رحلة بحرية،[٤٥٩] بالإضافة إلى

---

(٤٥٤) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص71.

(455) Zorlu, Ibid, p.26-31.

(456) Zorlu, Ibid, p.38, 41, 83-84.

(457) Zorlu, Ibid, p.39 ؛ Shaw, Stanford, Between old and new, p.159-160.

(458) Zorlu, Ibid, p.39.

(٤٥٩) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص69.

إيجاد أساليب وقائية لمقاومة الحريق عن طريق إيجاد مضخات متطورة،[٤٦٠] وإزالة الأكشاك على متن السفن البحرية؛ للسماح بحُريِّة الحركة وخاصة حركة المدافع.[٤٦١]

١٥. أدخل السلطان نمطًا جديدًا في بناء السواري العالية على السفن البحرية؛ لزيادة كفاءة السفن البحرية وسرعتها، بالإضافة إلى إيجاد تدابير أخرى لبناء رافعة أكثر صلابة صنعت من الفولاذ استخدمت لتركيب سواري هذه السفن.[٤٦٢]

١٦. عنيت الإدارة العثمانية في مطلع القرن التاسع عشر بتحسين محركات السفن البحرية، فتم شراء محركات البخار والمضخات من انجلترا، ويعود تركيب أول محرك بخار للبحرية العثمانية عام (1211هـ/1797م)؛ لتفريغ الأحواض الجافة من المياه في الترسانة البحرية العثمانية، تحت إشراف مسئول المضخات في الترسانة البحرية Tersâne-i Amire Tulumbacıbaşısı.[٤٦٣]

١٧. كان السلطان سليم الثالث والإدارة العثمانية على دراية تامة بأوجه القصور في سلاح المدفعية البحرية،[٤٦٤] فأمر السلطان بإيجاد التدابير اللازمة لشراء الأسلحة المتطورة في ذاك العصر،[٤٦٥] وإلحاقها بجسم السفينة وفق التخطيط الهندسي المنظم.[٤٦٦]

١٨. أدخل تقنية استخدام القنابل داخل السفن فظهرت نوعان من هذه المراكب مثل: Korvet-i bomba, Fırkateyh-i bomba.[٤٦٧]

---

(460) Shaw, Stanford, Between old and new, p.152.

(461) Zorlu, Op.Cit, p.25.

(462) Zorlu, Ibid, p.40-41, 47.

(463) Zorlu, Ibid, p.42-43,57,133.

(464) Shaw, Stanford, Between old and new, p.157-158.

(465) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.70-71.

(466) Zorlu, Op.Cit, p.65.

١٩. ألحق السلطان بهذه السفن أنواع جديدة من الأسلحة منها "مدافع ذات خمس فوهات Beş çakmaklı ve beş mehtapı" بالإضافة إلى مدافع متنوعة تم تصنيعها في "هاسكوي Hask?y".[٤٦٨]

٢٠. أدخل نمط جديد من السفن أطلق عليها تسميات عدة مثل: "تمساح البحر Nibeng- i Bahri" و"شجاع البحر Şebbâz- ı Bahri" بالإضافة إلى أسماء أخرى متعلقة بالحيوانات البرية وتسميات لبعض الحصون والجبال؛ بل زادوا على ذلك وأدخلوا تسميات متعلقة بالأساطير اليونانية واللاتينية كالتنين الأسطوري؛ ليستأنس بها جند البحارة أثناء مناوراتهم الحربية،[٤٦٩] ثم تطور تقليد تسمية السفن وأصبحت تكنى بأسماء السلاطين وغيرهم مثل: محمودية، مسعودية، منصورية Mahmudiye, Mesudiye, Mansuriye.[٤٧٠]

٢١. كان للعلاقات الدبلوماسية التي أقامها السلطان سليم مع بريطانيا أن أسهمت الأخيرة في تقديم يد العون للبحرية العثمانية من حيث الذخائر ونوعية السلاح، في حين أسهمت روسيا القيصرية بإرسال ضباط ومدافع لدعم البحرية العثمانية، في المقابل أعطي للضباط الروس (2000) عملة ذهبية كهدية لقاء مساعدتهم.[٤٧١]

يظهر مما سبق أن السياسة التي دفعت بريطانيا وغريمتها روسيا إلى تحسين العلاقات الدبلوماسية مع الدولة العثمانية، تعود إلى المصالح المشتركة التي تكنها كلا البلدين تجاه الدولة

---

(467) Zorlu, Ibid, p.129.

(468) Zorlu, Ibid, p.65- 67.

(469) Zorlu, Ibid, p.114- 115.

(470) Zorlu, Ibid, p.117- 118.

(471) Zorlu, Ibid, p.74.

الأخيرة، وهذا المصالح كانت بمثابة الجائزة في مضمار السباق الذي تهافتت عليه أوروبا لتحقيقها بشتى الوسائل.

٢٢. ألحق السلطان سليم بعض الأبراج الدفاعية لتحصين شواطئ الدولة، فَبَنىَ السلطان "برج تحت الأرض Serdab K?şkü' وبرج مصبوب K?şkü Şevkiye؛ زيادة في التحصينات العسكرية.[٤٧٢] بالإضافة إلى ذلك طلب السلطان سليم تقرير حول تحصين الدردنيل، وخاصة أهم المناطق الإستراتيجية على طول المضيق مثل: Kal'a-i Sultaniye Kilidbahir, Naraburnu.[٤٧٣]

٢٣. أدخل السلطان سليم نمط جديد لعملية إرسال الرسائل خارج الحصون وذلك من خلال ابتكار تقنية جديدة تمثلت بالبالون الساخن وهي بمثابة منطاد استخدم لنقل الرسائل.[٤٧٤]

- **الإصلاحات الاقتصادية:**

كان لسوء الأحوال الاقتصادية التي واجهت السلطان سليم عند اعتلاء العرش أن دفعته لإجراء سلسلة من الإصلاحات تضمنت الجوانب الاقتصادية فتمثلت على النحو التالي:

---

(472) Davis, Fanny , Op.Cit, p.218.

(473) Zorlu, Op.Cit, p.90.

(474) Zorlu, Ibid, p.106.

- عني السلطان سليم بمهمة إيجاد التدابير اللازمة لزيادة عائدات الضرائب في الدولة بطرق تتناسب مع الترتيب الجديد،(٤٧٥) كما شجع على الصناعات المحلية للحصول على مردود مالي لخزينة الدولة، ومنع من استيراد البضاعة الأجنبية،(٤٧٦) وشحذ الهمم لاعتماد الشعب على نتاج أيديهم.(٤٧٧)

- كان للنفقات الكبيرة التي تضمنت حركة الإصلاح بشقيها العسكري والمدني، أثرٌ دفع السلطان إلى إنشاء وزارة مالية ثانية عرفت باسم "الخزينة الجديدة Airad-ı Cedit"،(٤٧٨) وهي بمثابة وزارة المالية الثانية في الدولة،(٤٧٩) وقد استفاد السلطان من هذه الخزينة لتمويل الجيش في دفع مرتبات الجند الجديد،وتمويل حركة الإصلاح.(٤٨٠)وقد أسند إلى مصطفى رشيد إدارة سجلات هذه الخزينة "Airad-ı Cedit Defterdar Mustafa Rashid".(٤٨١) كذلك وجد هنالك العديد من الدفاتر التي دونت إيرادات الخزينة الجديدة ومنها دفتر سنة(1211-1210هـ/1796-1797م)، ضم إيرادات الخزينة من عوائد السفن التجارية ونقود الخبازين، بالإضافة إلى احتوائه على نفقات شراء الكتب وأجور إصلاح السفن.(٤٨٢)

- كذلك عني السلطان سليم بتنظيم الناحية الاقتصادية وفق التخصيص في العمل، فقد شارك المسلمون وأهل الذمة في المحلات التجارية ويذكر "betül"أن الإغريق قد تخصصوا في

(475) Basaran, betül, Op.Cit, p.77-78.

(476) Davis, Fanny, Op.Cit, p.197 ؛ Faroqhi, Suraiya, Ottoman Empire and the World around it, The, I.B.Tauris, 2005, p.184-185.

(477) Basaran, betül, Op.Cit, p.90.

(478) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit, S.81.

(٤٧٩) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص647.

(480) Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.184.

(٤٨١) دسوقي، ناهد، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص159.

(482) BOA, MAD.d.., 6518,1211, R, 29.

محلات البقالة، والأرمن في المخابز والمطاحن والصناعات الفخارية، والأتراك المسلمون في الحمامات.(٤٨٣)

يبدو أن الخطوة التي نظم بها السلطان سليم أرباب الحرف والطوائف، لم تكن وليدة الصدفة، بل أنها ذات جذور تضرب أعماقها منذ القدم، لذا جاءت الظروف التي اقتضت السلطان أن يستأنف هذا التنظيم بما يوافق الترتيب الجديد؛ ليحافظ على نظام اجتماعي متناغم نوعاً ما.

- اهتم السلطان سليم بتجارة الحبوب ونظمها بين الولايات؛ لتسهيل التبادل التجاري، وتوفير المواد اللازمة إذا ما دعت الحاجة لذلك.(٤٨٤)
- سمح لأصحاب التيمار بإبقاء الأقطاعات لأبنائهم شريطة تقديم الخدمة العسكرية،(٤٨٥) بحيث سينظمون إلى جانب فيلق الجند الجديد، وعند حلول فصل الشتاء يستأنفوا عملهم بهذه الاقطاعات.(٤٨٦) وجاء هذا الترتيب بتقسيم الأقطاعات إلى عدة أقسام تحت إشراف جماعة واحدة، (10) ، أي الجماعة الواحدة مسئولة عن أقطاعات العشرة الآخرين أما البقية فيبقوا في الميدان على طول الحدود.(٤٨٧)
- أجرى السلطان ترتيب جديد داخل الولايات العثمانية؛ للاستفادة من عوائد الضرائب لدعم"الخزينة الجديدة Airad-ı Cedit"،(٤٨٨)من خلال مصادرة بعض إقطاعات التي هجرها أصحابها من السباهية "Sipahi" والأراضي المزروعة، ومصادرة الأراضي من أصحابها غير

---

(483) Basaran, betül, Op.Cit, p.140.

(484) Palmer, Alan, Op.Cit, p.54.

(٤٨٥) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1224.

(486) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.261.

(487) Shaw, Ibid, V,1, p.261.

(488) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.81- 90.

الأَكْفَاء.[٤٨٩] ولكي يحصل السلطان على المال اللازم لبرنامجه أيضاً، لجأ إلى طرق تقليدية لخفض العملة لتصبح أكثر تداولاً بين الجميع.[٤٩٠] كما سك عملة خاصة من فئة القرش ألحقها بخزينة الإيراد الجديد.[٤٩١]

- أمر السلطان بتحويل جميع التحف والأغراض الثمينة داخل قصره إلى خزينة الدولة، كذلك النساء اللواتي قدمن الغالي والنفيس لدعم الجيش العثماني في حربه ضد روسيا.[٤٩٢]
- ضبط حركة الضرائب التي كانت تعفى من قبل حاملي براءة الاختراع بعد تفتيشهم، ومعاقبة كل من يحمل هذه البراءة بغير وجه حق.[٤٩٣]
- أمر السلطان بحظر تصدير المعادن الثمينة والأحجار الكريمة لسببين؛ رفد الخزينة بالأموال التي سكت حديثاً، ومنع تزييف العملة والنقد من قبل الشركات المحلية.[٤٩٤]
- أصدر السلطان فرمان يدعو به إلى إصلاح نظام "الآربالق Arbalq،[٤٩٥]وفرض على علماء الدين العودة إلى آربالقهم بالذات بعد أن تركوها، وتم تخصيص رواتب لمنتسبي الهيئة العلمية تحت مسمى "آربالق معاشيArbalq Maaşlar".[٤٩٦]

---

(489) Shaw, Stanford j, history, V,1, p.261- 262.

(٤٩٠) العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص122.

(491) Shaw, Ibid, V,1, p.265.

(492) Davis, Fanny, Op.Cit, p.208.

(493) Laidlaw, Christine, Op.Cit, p.39.

(٤٩٤) العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص122؛ مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص14؛ كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص476.

(٤٩٥) تقابله "بالتركية شعيرية" أي المتعلقة بالشعير، ثم شاع استخدامها كمصطلح للدلالة على المخصصات المالية التي تقدمها الدولة لرجالاتها المشاركين في الحملات العسكرية مع خيولهم إثناء الحملات العسكرية، ثم شمل هذا النظام المخصصات العينية والنقدية لتغطية النفقات التي تقدمها الدولة لرجالاتها العسكريين كانوا أم مدنيين. للمزيد انظر: بيات، فاضل مهدي، الدولة العثمانية في المجال العربي: دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في

- فرض ضرائب على المشروبات الكحولية والتبغ والبن؛ لانتشارها بشكل واضح في ضواحي اسطنبول.(٤٩٧) ويذكر أحمد جودت أن العقوبات المترتبة على من يشرب القهوة أو الدخان كان يستحق الإعدام في بعض الأزمنة السابقة،(٤٩٨) وتذكر وثيقة أن السلطان سليم أصدر فرمان بمعاقبة أي شخص لا ينحني لأوامره بعنف شديد،(٤٩٩) ولهذا الأمر نُظِّمت عملية شراء البن وطحنه تحت رقابة حثيثة، وتذكر وثيقة أن السلطان أصدر قرار بزيادة الرسوم على التدخين في الولايات العربية والعثمانية عام (1205هـ/1791م)(٥٠٠) و(1206هـ/1792م)، وذلك؛ من أجل الحصول على مردود مالي يرفد الخزينة لدعم عجلة الإصلاح.(٥٠١)

- أجرى السلطان تنظيم ضرائب المالكنية_ وهي نوع من الاقطاعات العسكرية_ تضمن هذا التشريع على أن المالكانية التي يتوفى أصحابها عنها تعود مباشرةً للدولة، فالملكية التي تتراوح إيرادها بين (500-1500) قرشاً تعرض في المزاد العلني، أما المالكانية التي يزيد إيرادها أكثر من (15000 -25000 أو150000) قرش أو أكثر،فإنها تعود لخزينة الدولة الجديدة وتتصرف بها الدولة كما تشاء.(٥٠٢)

ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007 م، ص103.

(٤٩٦) بيات، فاضل مهدي، الدولة العثمانية في المجال العربي: دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر، ص103.

(٤٩٧) الزبيدي، مفيد، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني 1516-1916م، ص247-246.

(٤٩٨) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص304؛

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.198- 199.

(499) BOA, AE.SSLM.III,10038.

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.198- 199.

(500) BOA, TS.MA.e, 738, 34, 1205B, 15.

(501) BOA, TS.MA.e, 738, 37, 1206, B, 25.

(٥٠٢) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص34.

- تم مصادرة الأموال التي يتوفى أصحابها عنها من العاملين في القصر، وقد أشارت وثيقة مؤرخة سنة (1204هـ/1790م) أنه بعد وفاة رئيس خدام الحرم السلطاني، أمر السلطان بتوزيع أمواله وأغراضه على الأشخاص الذين يعملون في الحرم،[٥٠٣] بالإضافة إلى إعادة أموال ومخلفات الصدر الأعظم "غازي حسين باشا Gazi Hüseyin paşa" بعد وفاته إلى خزينة الدولة.[٥٠٤]

- كذلك قدم بعض الراديكاليين مشورة إلى السلطان للاقتراض من حكام تونس، والجزائر، وفأس، كون خزائنهم تعج بالأموال جراء حملات القرصنة ضد السفن الأوروبية، وتذكر دسوقى أن هذه الأموال لم تكن تكفي لسد حاجة الدولة للإصلاح لتتنصل الحكام من تقديم الدعم اللازم.[٥٠٥]

يبدو أن دسوقى أطلقت التعميم لموقف الحُكَّام وتنصلهم من تقديم المساعدة وهذا نوعاً ما مستبعد لمن يتمحص التاريخ ويقرأ الحقائق، فتم العثور على العديد من الوثائق التي تبين موقف حاكم فأس "محمد مولى Mehmet Müvella" في تقديم المساعدات للدولة كما سبق ذكره، بل زاد وقدم Müvella المساعدات المادية صوب الأماكن المقدسة بأوامر سلطانية.

- أمر السلطان بإجراء تفتيش دقيق لخزينة الحرمين، وأصدر أمرًا تضمن مراجعة دفاتر الواردات والمصروفات كل منها على حدة، ومراجعة الديون التي كانت تقدم للأوقاف، كما سار السلطان على نهج أسلافه بإعفاء الحجاز من دفع الضرائب دون غيرها من الولايات العثمانية، بل استمر الأخير بتقديم الصرة الشريفة لدعم وتنظيم شؤون الأماكن المقدسة.[٥٠٦]

- **الإصلاحات التعليمية:**

---

(503) BOA, TS.MA.d, 24350009, 1204, N, 29.

(504) BOA, TS.MA.d, 24350011, 1204, Za, 29.

(٥٠٥) دسوقى، ناهد، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص198.

(٥٠٦) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج6، ص304؛

لعبت اللغة الفرنسية دوراً محورياً في حركة الإصلاح في الدولة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر، فقد أمر السلطان ببناء المدارس البحرية لتدريب الجيش وتعليمهم نظرياً عن طريق معلمين فرنسيين لتدريسهم العلوم العسكرية،(٥٠٧) وتدريب الشبان العثمانيين على اللغة الفرنسية،(٥٠٨) وزاد على ذلك بإنشاء المدارس العلمانية الأكثر تخصصاً في أمور التدريب العسكري،(٥٠٩) وزاد على ذلك بفتح مدارس التعليم العالي والطب،(٥١٠) مع اهتمام واضح بالطباعة،(٥١١) بالإضافة إلى استيراد تجارب العلوم البحرية من الغرب،(٥١٢) و استعان بمهندسين أجانب من انجلترا والنمسا(٥١٣)والسويد (٥١٤) لتدريس العلوم العسكرية الحديثة،(٥١٥) بعيداً عن نطاق الدين أو الكليات الدينية من حيث التقليد(٥١٦)، أما من جهة أداء فروض الصلوات الدينية فقد أمر السلطان ببناء مسجد للتكنات المدفعية في "Hask?y"(٥١٧) على الشاطئ الأسيوي.(٥١٨) بالإضافة إلى اهتمام والدة السلطان بإنشاء مسجد على البر الأسيوي يدعى "Hadikat- UL- Cami" فكان أحد جوانب هذا المسجد مخصصًا للمدفعية، والآخر لمهندسين العسكر "Lüğumcıyan"،

---

(507) Vucinich , wayne s, Op.Cit, p.33.

(508) Itskowitz, auyhor, Op.Cit, p.109.

(509) Palmer, Alan, Op.Cit, p.54.

(510) Emrence, cem, remapping the ottoman middle east (modernity , imperial , bureaucracy and the Islamic state), I.B.TAURIS, London. New York, 2011, p.102.

(٥١١) سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص259.

(512) Gürpınar, doğan, Op.Cit, P.61.

(513) Heyd, Uriel, Op.Cit, p.64- 66.

(514) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.100.

(515) Vucinich, Ibid, p.100 ؛Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, Volume 1, p.252.

(516) Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.64.

(٥١٧)هاسكوي هي منطقة من القرن الذهبي، متصلة بحي بيوغلوBeyoğlu في اسطنبول. انظر ملحق رقم (٥)

(518) Davis, Fanny, Op.Cit, p.10.

بالإضافة إلى مكان مخصص للسلطان Hünkâr Mahfili"، كذلك أهتمت السلطانة الأم ببناء مصلى "الماء الصغيرKüçüksu Mescidi" على الشاطئ الأسيوي، وبعض المدارس الطبية والنوافير.(٥١٩)

يظهر مما سبق أن السلطان سليم عني بحركة الإصلاح التعليمي الذي رافق الإصلاح العسكري، لكن الطريقة التي اتبعها السلطان للاستعانة بالغرب أوغر صدور المحافظين، الأمر الذي دفعهم إلى الإشارة إلى مكانة جامعة الأزهر في القاهرة، والمدارس الدينية السنية في دمشق، وطرابلس وحلب، ودورها في تخريج كوكبة من العلماء الفقهاء والقضاة والمفتيين من أصحاب الشأن، هذا الأمر دفع السلطان للتريث قليلاً والتنبه لكسب ودهم، فأغدق عليهم المناصب الدينية بمختلف أنحاء الإمبراطورية العثمانية.(٥٢٠)

- أنشأ السلطان مدرسة جديدة في منطقة "صكيتاري Scutari " _مقر الجند الجديد_ وزودها بمختلف المراجع والخرائط الجغرافية، ولم يبخل السلطان بالإنفاق عليها فبلغ مجموع نفقات تأسيس هذه المؤسسة بما يقارب (5000 قرص).(٥٢١)

يبدو أن السلطان حرص على جدية الإصلاح التعليمي، كون نجاح العملية العسكرية الميدانية تتطلب التعليم النظري، الأمر الذي شجع على الاهتمام بهذه الأمور.

- أعاد السلطان عمل مطبعة متفرقة سنة (1218هـ/1803م) في منطقة "صكيتاريScutari ، والتي ساهمت إلى حدٍ ما بطبع مئات الكتب باللغات الأجنبية.(٥٢٢) وتم إلحاق مكتبة جديدة

---

(519) Davis, Fanny, Op.Cit, p.218.

(520) Zeine, zeine N, Op.Cit, p.9.

(٥٢١) مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م، ص73.

(٥٢٢) مصطفى، سيد،الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر، ص28،51.

بأمر من السلطان ضمت عدد كبير من الكتب الفرنسية وضعت تحت إدارة مدير فرنسي إلى جانب نخبة من الطابعين.[٥٢٣]

- تذكر وثيقة أن السلطان أمر بإرسال كتب السلطان أحمد الثالث إلى مكة المكرمة لتصبح وقفًا،[٥٢٤] ويبدو أن هذه الكتب ترجمت إلى اللغة العربية ليتسنى قراءتها، ولم يقتصر اهتمام السلطان على الجانب التعليمي الغربي حسب، بل عني السلطان بصرف مرتبات لقراء القرآن وحفظتهِ والقائمين على خدمتهم؛[٥٢٥] تشجيعاً لتعليم منهج الإسلام وطريق الصلاح.
- كذلك استقطب السلطان ضباط البحرية الفرنسية لتنظيم قوات البحرية التركية، وأمر بترجمة العديد من الكتب العسكرية الفرنسية لقوات الجيش الجديد،وفتح غرفة للترجمة في الباب العالي وخصص راتبًا شهرياً لمن يريد تعلم اللغات،[٥٢٦] كذلك بذل "تتارجك Tatarjik" و"خوجه إسحاقKhoja Ishaq" جهودًا لترجمة العديد من كتب الفن العسكري الأوروبي والرياضيات وكتاب عن نصب الخيام وأصول الاستحكامات، وعن عكس المرايا إلى اللغة التركية،[٥٢٧] وترجم عاصم أفندي معجماً من الفارسية إلى التركية حمل عنوان "برهان قاطع".[٥٢٨]
- أهتم السلطان بإنشاء بعض المدارس الهندسية، والجدير بالذكر أن بعض هذه المدارس كانت تدرّس بالخفاء خشية التمرد الانكشاري.[٥٢٩] فكان لمدرسة الهندسة البحرية التي عني بترتيبها

---

(٥٢٣) كينروس، جون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص473.

(524) BOA, EV.HMK.SR.d…, 3215 ,1219, Z, 29.

(525) BOA, TS.MA.d, 2430024, 1205, C, 29 ؛ BOA, TS.MA.d, 24380007, 1207, C, 29.

(٥٢٦) شاهين، ثريا، دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ص46.

(527) Barber, noel, Op.Cit, P.122.

(٥٢٨) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص95؛ Barber, Ibid, P.122

(529) Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.64.

"غازي حسن باشا Gazi Hassan Paşha"،[٥٣٠] والمدرسة الهندسية للسلطان: مهندسخانه سلطانىMühandeshane-ı Sültani والتي تم إعدادهما من اجل تدريب الجند على مبادئ الحساب والهندسة، وفي عام (1209هـ/1795م) اعدَّ السلطان "مدرسة الأرض الهندسيةMühandeshane-ı Berri-i Hümayun"[٥٣١] مهندسخانة بري همايون،وتعني مدرسة الهندسة البرية الهمايونية، بالإضافة إلى مدرسة الهندسة البحرية "Mühandeshane-ı Bahri hümayun"؛ وذلك لتدريب الضباط نظرياً وعملياً على فن التحصين وزرع الألغام.[٥٣٢]

- وسّع وحدّث مدرسة الهندسة البحرية في Hask?y[٥٣٣] لتشمل دروسًا في الحساب، وقسم آخر أُعد لتوفير أحدث المعايير لرسم الخرائط الجغرافية للملاحة البحرية.[٥٣٤]
- أصدر السلطان سلسلة من الفرمانات تضمنت استقلالية المهندسخانه البرية عن اوجاقات الخمبرجية وحفاري الأنفاق، وضمت أربعة من المدرسين ومثلهم من المساعدين وأول مدرس نال شرف التدريس بها سنة (1215هـ/1801م) يدعى "حسن رفقي طماني Hasan Rafky Tmani" إذ وضع لها الأخير برنامج تعليمي لتدريس الهندسة بالمعنى الحديث، وتم ترتيب الصفوف إلى أربعة مستويات لكن بطرق تقليدية؛ فالصف الأول يقابل الصف الرابع، وصف التخرج هو الصف الأول ، وقد تضمن الصف الرابع: مبادئ الخط، والإملاء والأرقام وفن الرسومات للعربيات، ومقدمة للهندسة والحساب، وفي الصف الثالث: علم الحساب والهندسة

(530) Beydilli, Kemal, Op.Cit, S,33-34 ؛Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.64.
(531) Beydilli, Op.Cit, S.33-34.
(532) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p263 ؛Beydilli, Ibid, S,33-34.
(٥٣٣) هاسكوي هي منطقة من القرن الذهبي، متصلة بحي بيوغلو Beyoğlu في اسطنبول.
(534) Shaw, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.263.

والجغرافيا والعربيات واللغة الفرنسية، وفي الصف الثاني: علم الجبر والمثلثات المستوية، وفن التاريخ الحربي، ومساحات الأراضي، وفي الصف الأول : المخروطيات، والحساب التفاضلي والتكاملي، والميكانيكا والفلك وعمليات فن الرماية وحفر الأنفاق، وعلم الاستحكامات الدفاعية.[٥٣٥]

يظهر مما سبق أن التعليم التقني أصبح أكثر شمولية ونوعية في المدارس الهندسية، وقد ارتكز على جانب التطوير المنظم والممنهج لإعداد الكوادر المدربة وفق نماذج تواكب التطور الغربي.

- كذلك عني السلطان بتطوير مدرسة الفن والهندسة المعمارية، والتي حظيت باهتمام كبير من قبل السلطانة الأم "ميهرشاه Mihrişah" زوجة السلطان مصطفى الثالث.[٥٣٦]
- تم إعداد مدرسة لتدريب الأطباء والجراحين، لتقديم الخدمات العلاجية للمصابين في البر والبحر، وقد الحق بهذه المدرسة العديد من الكتب الطبية المترجمة إلى التركية، وقد طلب من طلبة الطب الحصول على الخبرة الفنية من المستشفيات العامة في اسطنبول، كذلك "مستشفى الترسانة Tersana Hastanesi" الذي خصص للأمراض المزمنة والقابلة للعدوى كالطاعون "veba" والجدري "Suçiçeği"، وتم إرفاق بعض المستشفيات بالمطاعيم الصحية للحد من هذه الأوبئة،[٥٣٧] وبهذه الطريقة تم إدخال فكرة الحجر الصحي المنظم والذي طبق بدوره أيضاً على المؤسسة العسكرية بشقيها البرية والبحرية.[٥٣٨] كما أسهمت السلطانة الأم في بناء مستشفى

---

(٥٣٥) إحسان أوغلى، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص508 -509.

(536) Davis, Fanny, Op.Cit, p.218.

(537) Davis, Ibid, p.266.

(538) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.264 ؛ Shaw, Stanford, Between old and new, p.165.

Guraba Hastahanesi بين منطقتيTopkapıوAksaray؛ للحد من مشاكل الأمراض المزمنة،[٥٣٩] وقد حدد صك الوقف أن المستشفى يقدم خدمات طبية مجانية للأجانب والفقراء في أوساط المجتمع الإسلامي في المدينة.[٥٤٠]

- عمل السلطان على نشر التعليم الطبي في الأراضي العثمانية في أوائل القرن التاسع عشر، بالإضافة إلى زيادة أعداد الأطباء من مختلف رعايا الدولة، والعمل على تدريس الطب من خلال استيراد الأدوات والكتب الطبية من أوروبا، والعمل على شراء الدوريات التي تصدر شهرياً من المدن الأوروبية المتقدمة كباريس وفينا ولندن.[٥٤١]وقد برز زمن السلطان سليم أشهر الأطباء العثمانيين منهم: "وكَوْرَك حافظ حسن أفندي(ت:1216هـ/1802م) على الرغم من انتهاجه للطب التقليدي، إلا أن مؤلفاته أخذت المنهج الحديث ومن أشهر مؤلفاته: رسالة طبية في رضوض وجروح الرأس، ورسالة أخرى كتبت بالتركية حول مرض النقرس وغيرها،[٥٤٢] كما أهتم السلطان بترجمة كتب الطب، فقد برز الطبيب المترجم "بهجت مصطفى Bahjat Mustafa" (ت:1237هـ/1822م) فقد ترجم كتابًا عن الفرنسية في مجال التاريخ الطبيعي وفي تاريخ العلوم والطب، كما برز الطبيب "علاء الله شاني زاده Alaa Allah Shanizadeh' (ت:1241هـ/1826م) وكتب هذا الطبيب في ميدان التاريخ والرياضيات،

---

(539) Davis, Ibid, p.225.

(540) Mossensohn, Miri Shefer, Op.Cit, p.134.

(٥٤١) إحسان أوغلى، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص515.

(٥٤٢) للمزيد حول أشهر الأطباء التقليدين انظر: إحسان أوغلى، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص675 -676.

وكان على دراية باللغات اللاتينية؛ الفرنسية والإيطالية، ولهُ كتاب يدعى: "مرآة الأبدان في تشريح أعضاء الإنسان" وكتاب بالايطالية يدعى "معيار الأطباء".(٥٤٣)

يظهر مما سبق أنه كان لانتشار اللغات الأجنبية بين طبقة العلماء، أثر إيجابي على إعداد كَمٍّ من المعارف التي أفادوا منها طبقات المجتمع.

- عني السلطان أيضاً بتعليم المرأة، فقد تلقت مجموعة من النساء تعليم بسيط لمحو الأمية، لكن في ما سبق كانت عملية التدريب تقتصر على المرأة كيف ستصبح زوجة،(٥٤٤) فالتعليم المتقدم كمؤسسة أخذ يتطور خلال القرن التاسع عشر، حيث فُتحت أولى المدارس للبنات في عام(1275هـ/1858م)، يليها الازدهار في عام(1286هـ/1869م) عندما أصبح التعليم الابتدائي إلزامياً.(٥٤٥)

يبدو أن التعليم لم ينتشر كثيراً بين طبقات المجتمع خلال نهاية القرن الثامن عشر، إلا أنه لا يعني عدم اهتمام الأسرة الحاكمة بالتعليم، وندلل على ذلك من خلال وثيقة تذكر أن "السلطانة صفية Safiyye Hatun" تبرعت بأموالها الخاصة لبناء المدارس والتكايا عام (1206هـ/1792م)،(٥٤٦) وتذكر وثيقة أخرى أن السلطان قدم الأموال لزوجات الأطباء والجراحين لتعلم الطب على يد أزواجهن وذلك؛ لتقديم خدمة الرعاية الطبية والصحية للنساء.(٥٤٧)

(٥٤٣) زيادة، خالد، اكتشاف التقدم الأوروبي، ص95.

(544) Davis, Fanny, Op.Cit, p.45.

(545) Author, Reina Lewis, Rethinking Orientalism: Women, Travel, and the Ottoman Harem Paperback, London: I.B. Torres, 2004, p56.

(546) BOA, TS.MA.e, 738, 36, 1206, Ra, 21.

(547) BOA, TS.MA.d, 24360020, 1205, S, 29.

- كذلك اشترط السلطان على الوزير والطبقة الحاكمة تعليم عائلاتهم، فقد تلقت المرأة العثمانية تدريبًا خاصًا في القصر،(٥٤٨) ولعل هذا النمط يشير إلى تأثر السلطان بالنظام الغربي من حيث تعليم نساء داخل القصور.

- كان لشغف السلطان بالموسيقى وتعلقهِ بها الأثر الواضح في تشجيع نساء القصر على تذوق الحس الفني، فقد برز في عهدة العازف المشهور "إسماعيل ديدي Hammâmîzâde İsmâil Dede Efendi"،(٥٤٩) وابنته المغنية وناظمة القصائد التي لعبت دوراً كبيراً في زوجات السلطان داخل القصر، كما كانت الموسيقى ذا أهمية كبيرة للمرأة الأَمَة داخل الحرم السلطاني، فقد كانت ترسل إلى بيوت الموسيقيين لتتعلم أدوات الموسيقى كالكمان والفلوتFlute والطبل...الخ(٥٥٠) وبرز كذلك أشهر الشعراء المولويين(٥٥١) وهو الشاعر الصوفي الشيخ غالب دده (ت:1213هـ/1799م) وجرى بينه وبين السلطان سليم تقارب بحكم التعلق بالشعر وعشق الموسيقى، الأمر الذي دفع السلطان إلى تقريبه لهُ والإغداق عليه بالأموال حتى وافته المنية.(٥٥٢)

---

(548) Davis, Fanny , Op.Cit, p.45.

(٥٤٩) ولد في اسطنبول عام (19/ ذي الحجة/1191هـ - 9/ كانون ثاني/1778م)، بدا دراسته في سن الثامنة، كان ديدي محط تقدير كبير من قبل السلطان سليم الثالث ثم قام بأعماله الموسيقية في القصر،وفي عام (1262هـ/1846م) حج إلى مكة وتوفي ودفن هناك. للمزيد حول الصورة انظر ملحق رقم (٧)

Rauf Yektâ, Esâtî- i, Elhân. Cüz: 3. Dede Efendi, İstanbul 1925, S. 126- 127.

Davis, Ibid, p.158.

(550) Davis, Ibid, p.158.

(٥٥١) إحدى الطرق الصوفية السنية وهي عبارة عن تكايا "مولويخانة" تهتم باستقبال المرء بحالته غير الناضجة ثم يمر بمراحل من الإعداد البدني والفكري حتى يصل إلى مستوى التفكير الناضج. إحسان أوغلى، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص769.

(٥٥٢) إحسان أوغلى، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص85.

- **الإصلاحات الاجتماعية:**

واجه السلطان سليم بعض المشاكل الاجتماعية الأمر الذي دفعه للقيام بسلسة من الإصلاحات تجاه المجتمع المحلي ومنها:

- مشكلة تدفق الفلاحين من المناطق المجاورة إلى اسطنبول، مما أدى إلى زيادة كبيرة في أعداد السكان،(٥٥٣) الأمر الذي دفع السلطان سليم الثالث إلى إصدار فرمانات بطرد كل من لم يحمل أدلة تثبت عملهم وشرعية بقائهم عن طريق سجلات أعدت لكل مقاطعة،(٥٥٤) كما أمر بإغلاق الفنادق وبيوت الإيواء؛(٥٥٥) حتى لا يمنحهم فرصة البقاء في العاصمة، وفرض عقوبات صارمة بحق كل من يقدم لهم سبل المساعدة.(٥٥٦)
- علاوة على ذلك أصدر السلطان سليم فرمانات إلى حكام ولايات "الروملي Rumeli" و"الأناضول Anadolu" و"الدردنيل Canakkale" بمنع جميع الأشخاص الوافدين إلى اسطنبول دون حمل الوثائق التي تخولهم العبور.(٥٥٧)
- أصدر فرمانات إلى أصحاب المدارس والمساجد والأديرة بإجراء عمليات تفتيش على الدراويش الذين تسللوا إلى المدينة إما عن طريق دخول سلك الجيش، أو عن طريق بيوت الصوفية والأديرة ليتم طردهم.(٥٥٨)
- أمر السلطان سليم الثالث بدراسة مسألة الأمن في مدينة اسطنبول بعناية تامة؛من أجل تجفيف منابع الثورات وخاصة في أحياء المدينة والمناطق التابعة لها "كأيوب Eyüp"(٥٥٩)، و"غلطا

---

(553) Imber, colin , keiko kiyotaki, Op.Cit, P.46.

(554) Basaran, betül, Op.Cit, p.3.

(555) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

(556) Shaw, Stanford, Between old and new, p.76- 77 ؛Basaran, betül, Op.Cit, p.2.

(557) Basaran, Ibid, p.94.

(558) Basaran, Ibid, p.98, 122.

"Galata"[٥٦٠]، و"اسكودار Usküdar" ووضع جهاز خاص لتحقيق هذه المهمة تمثل بأفراد الشرطة.[٥٦١]

- كرس السلطان جهوده لتنظيم القضايا الاجتماعية التي نشبت بين رعايا الدولة،[٥٦٢] ومن هذا المنطلق ليس بالغريب أن يقدم السلطان سليم على تطبيق نظام عام للعقوبات وعلى نطاق واسع خلال القرن الثامن عشر لحفظ الأمن ومنع الجرائم.[٥٦٣] وتذكر وثيقة أن السلطان سليم الثالث بعث بخط همايون إلى الوالي "محمد باشا Mehmet Paşa'dan"، والوالي "عثمان باشا Osman Paşa'dan"؛ كذلك بعث إلىİbrahim Paşa'dan؛ لضبط اللصوص وقطاع الطرق في منطقة "الروملي Rumeli".[٥٦٤]

- وقد طُبق نظام العقوبات أيضاً على كل شخص يقدم شكاوى للسلطان إثناء أداء صلاة الجمعة، وقد نبه السلطان حاشيته المرافقة مسئولية تنبيه الحضور قبل دخوله المسجد.[٥٦٥] وهذا الأمر صريح وسليم كون الصلاة إذا حضرت وخاصة الجمعة تتوقف أعمال العباد للتوجه

---

(٥٥٩) احد ضواحي مدينة اسطنبول تقع في الجانب الأوروبي من مدينة إسطنبول، بالقرب من منطقة القرن الذهبي سميت أيوب نسبة إلى مسجد أبو أيوب الأنصاري احد قادة الفتح الإسلامي الذي استشهد بالقرب من أسوار القسطنطينية. للمزيد انظر:

Janin, Raymond, Constantinople Byzantine, Institut Français d'Etudes Byzantines, Paris,1966.

Türkmenoğlu, Şener, Eyüp Bir Semt'e G?nül Ver, ABC Kitabevi,2005.

(٥٦٠) تقع على الشاطئ الشمالي للقرن الذهبي، وهي احد ضواحي القسطنطينية.

(561) Basaran, Ibid, p.2.

(562) Basaran, Ibid, p.87.

(563) Basaran, Ibid, p.3.

(564) BOA, HAT,1332, 51958,1215, Z, 29 ؛ BOA, TS.MA.e, 896, 11, 1220, Z, 29.

(565) Basaran, Ibid, p.98.

إلى نداء رب العباد؛ لقوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ}.[٥٦٦]

- عني السلطان بترتيب أمور المساجد وإصلاحها، وتذكر وثيقة مؤرخة أن السلطان سليم أمر بإصلاح "جامع السلطان أحمد Sultan ahmed Camii" من حيث الترميم ومجاري المياه.[٥٦٧]

- وتذكر أحد الدفاتر التي تعود إلى فترة السلطان عبد الحميد الأول والسلطان سليم، حول الأماكن التي أُمِرَ بأن تقام بها صلاة التراويح وليلة القدر وصلاة العيد، فقد تبين من خلال هذا الدفتر أن الأماكن التي اقرها كلا السلطانين في:" الأكشاك القديمة الموجودة في "Kağıdhane'ye".[٥٦٨] كذلك "جامع السلطان أحمد Sultan ahmed Camii" و"آيا صوفيا Ayasofya"، ومسجد السلطانة زينب Zeyneb Sultan، و"لاليلي Laleli" و"أيوبAyüb"...الخ.[٥٦٩]

- عني السلطان بترتيب أمور مكة المكرمة والمدينة المنورة، وتذكر وثيقة مؤرخة في عام(1204هـ/1790م) أن السلطان أصدر التشريعات إلى "الأمير غالب Galib" في مكة المكرمة من أجل ترتيب أمورها بعد قضاء الحجاج من حجهم،[٥٧٠] والمعاملة بحسن الخلق والآداب تجاه الحجاج ومنع الأخطار من حولهم.[٥٧١] كما قدم السلطان بعض العطايا والهدايا

---

(٥٦٦) القرآن الكريم، سورة الجمعة، آية:9.

(567) BOA, HAT, 1666, 1 ,1222, Z, 29.

(568) BOA, TS.MA.d, 70, 1217, Z, 29.

(٥٦٩) ثمة هالك العديد من المساجد الأخرى التي اقرها السلطان سليم الثالث، للمزيد انظر:

BOA, TS.MA.d, 840, 1219, Z, 29.

(570) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 20 ,1204, B, 10.

(571) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 13 ,1204, R, 13.

لسكان المدينة المنورة،[٥٧٢] وأصدر فرمانًا بترتيب أمورها، وإصلاح قبة المسجد النبوي وكل القنوات المائية فيها،[٥٧٣] في حين قدم السلطان أوقافاً لخدمة كل من مكة المكرمة، والمدينة المنورة والقدس الشريف،[٥٧٤] وكان من الهدايا التي قدمت لمكة المكرمة الذهب والحلي والمؤن من خزينة الدولة، بل طلب السلطان أيضاً من حاكم "فأس Fas" "محمد مولى Mehmet Müvella" إرسال المؤن للأخيرة وذلك؛ لخدمة الأراضي المقدسة.[٥٧٥] وتذكر وثيقة أيضاً أن السلطان أمر بإرسال (500) كيس من النقود إلى مكة المكرمة عام (1203هـ/1789م)،[٥٧٦] كذلك أرسل في عام (1205هـ/1791م) (100) كيس من النقود لخدمة شؤون الحجاج والمقدسات الإسلامية في مكة المكرمة.[٥٧٧]

يظهر مما سبق أن السلطان سار على نهج أسلافه في تقديم الرعاية للمقدسات الإسلامية، الأمر يدل على حرص الدولة ومسؤوليتها للنهوض بمؤسسة الإسلام، والعمل على إبراز مكانة السلطان ومسؤوليته تجاه هذه المقدسات.

- أدرك السلطان سليم الثالث موقف العلماء وتأثيرهم على عوام الشعب،[٥٧٨] إذ نظر السلطان إلى العلماء على أنهم حلقة الوصل التي تنقل رسالته الإصلاحية تجاه شعبه.[٥٧٩]

(572) BOA, EV.HMK.SR.d…, 2883 ,1207, Z, 29؛ BOA, EV.HMK.SR.d…, 2999 ,1211, Z, 29.

(573) BOA, HAT, 1301, 50670, 1215, Z, 29.

(574) BOA, EV.HMK.SR.d…, 2883 ,1207, Z, 29؛ BOA, EV.HMK.SR.d…, 3028 ,1212, Z, 29.

(575) BOA, HAT, 1391, 55493, 1204, Z, 29.

(576) BOA, TS.MA.e, 356, 14,1203, Z, 29.

(577) BOA, TS.MA.e, 356, 13,1205, Z, 29.

(578) Basaran, betül, Op.Cit, p.8.

(579) BOA,A.{DVNSNMH.d…} 4, 13 ,1204, B, 10.

- عني السلطان سليم الثالث بتنظيم الزي الرسمي والتقليدي داخل الدولة،(٥٨٠)ومثال ذلك على الصعيد العسكري أن القادة في الديوان يرتدون "فراجة" أي المعطف وهو من القماش القرمزي له أكمام واسعة مع شارتين مطرزتين على الشمال واليمين، بينما "الاسطاشي" أي الضباط، و"البيراقدار" أي رافعوا الرايات، و"وكيل خرجي" أي وكيل الصرف، فقد ارتدوا الثوب من القماش الأحمر، في حين لبس مساعدوهم لباسًا من ذاك القماش لكن باللون الفستقي، كما لبس سائر الجنود في سلاح المدفعية رداء من القماش الأخضر، كذلك الرماة ارتدوا الزي الأزرق السماوي.(٥٨١) أما على الصعيد المدني فقد سمح لغير المسلمين بسربال يكسوه اللون الأحمر، وتذكر "جوليا باردو Julia Pardoe"(٥٨٢) خلال رحلتها إلى اسطنبول أنها لاحظت أن النعال الأرجوانية قد احتذاؤها اليهود، والأحمر خصص للأرمن، والأصفر للمسلمين.(٥٨٣)

- حرص السلطان سليم على مكانة المرأة وحفظها، فبعد أن كانت النساء ترتدي المعطف الطويل والحجاب إبَّان القرن الثامن عشر، وجد سليم بأن النساء قد تأثرن باللباس الغربي، وقد تماثلت أزياء الرجال والنساء بالزي الأوربي؛ جراء ضخ السلع الأوربية في الأسواق المحلية.(٥٨٤)ضجر السلطان من هذه الملابس الرقيقة ذات الألوان الفاتحة،(٥٨٥) والقبعات الواسعة والفساتين

---

(580) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

(٥٨١) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص46-47.

(٥٨٢) ولدت في(23/ رمضان/ 1221هـ –1806/12/4م) عُرِفَ عنها أنها شاعرة، وروائية، مؤرخة،سافرت إلى القسطنطينية مع والدها، الرائد توماس باردو، هذه الرحلة ألهمت فكرها نحو الكتابة والتأليف، ثم تعاونت مع الفنان وليام هنري بارتليت لإنتاج الجمال من "البوسفورBoğaz" وهو كتاب وصفت به جمال البسفور. للمزيد انظر: Pardoe, Julia, (1806- 1862)The beauties of the Bosphorus,London,1838 .

(583) Basaran, betül, Op.Cit, p.87.

(584) Davis, Fanny, Op.Cit, p.197.

(585) Davis, Ibid, p.197.

المزركشة، الأمر الذي دفع السلطان إلى إصدار قرار إلى نائب الصدر الأعظم، بمعاقبة كل من تتقلد بالزي الأوروبي.(٥٨٦)

- انتقد السلطان كل من يستخدم المنسوجات المستوردة، وحث المجتمع على ارتداء الأقمشة ذات الصنع المحلي، إلا بعض الألبسة المخصصة للفتيات كانت تجلب من الخارج شريطة الالتزام بالطابع العام.(٥٨٧)
- منع السلطان تنقل النساء علناً عبر وسائل النقل العام، ومنعهن من ركوب القوارب لمنع اختلاط النساء بالرجال، ولحرصه على ذلك هدد في إحد المرات بإغراق القوارب التي تعرض على النساء الركوب.(٥٨٨)
- لكن الغريب هنا أنه رغم القيود التي فرضها السلطان سليم الثالث على النساء، إلا انه اعتبر أول رجل في تاريخ الدولة العثمانية يضع المرأة على قدر المساواة مع الرجل،(٥٨٩) وهذا يعود إلى شيء واحد؛ أن السلطان سليم يبدو أنه تأثر بالمثل الوطنية التي نادت بها أفكار الثورة الفرنسية كالمساواة مثلاً. ويذكر"Halide Adivar"أن السلطان سليم الثالث حاول إقناع شقيقته "خديجة سلطانه Hadije Sultan_ وتكتب "hatice"_ أن تجمع النساء وأن تحاول التأثير عليهن للسير على النموذج الغربي.(٥٩٠)

يبدو أن هذه الخطوة مستبعدة نوعاً ما، فسلسلة القيود التي فرضها السلطان على النساء كما سبق ذكره، لا توحي رغبة السلطان بسير النساء على الطريقة الغربية.

---

(586) Basaran, Ibid, p.89
(587) Basaran, Ibid, p.89- 90.
(588) Basaran, Ibid, p.89.
(589) Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.66.
(590) Edib, Ibid, S.66.

- أبقى السلطان على نمط الزواج المتبع في الدولة، فقد كان نمط الزواج لدى المجتمع ذات أصول تقليدية لازال متعارف عليها إلى يومنا هذا.[٥٩١]

- وجد في البلاط السلطاني الكثير من النساء الأماء من مختلف الأعراق والجنسيات،وقد تمتعن بمكانة مرموقة لدى سلاطين الدولة، كما افرد لهن جناحًا خاصًا أطلق عليه الحريم الهمايوني'Harem- i Hümayun' في المقابل تعرضت بعض النساء للبيع والشراء في مناطق أوروبا عن طريق التجار، أومن الأهالي الذين أنجبوا هذه الفتاة لتكن أَمَةً لأحد التجار.[٥٩٢]

- خضع الخبازون لإشراف شرطة اسطنبول المباشر؛ وذلك من أجل مراقبة الأسعار والمكاييل والموازين وجودة الخبز المباع للشعب،[٥٩٣] لذا طلب السلطان سليم تقريرًا شاملاً عن إمدادات الحبوب، وأمر عام(1206هـ/1792م) بإنشاء إدارة حبوب جديدة ومخازن حبوب لفصل الشتاء،[٥٩٤] كما ألحق بها خزينة خاصة لتنظيم مصاريف مشتريات الحبوب، وجعلها تحت رقابة المشرف على بناء مخازن الحبوب"Z?hire N?zırı" ومن هذا المنطلق استطاع السلطان أن يضع حد للازمة الاجتماعية التي كانت تحدث بسبب رغيف الخبز.[٥٩٥] وقد بلغت نفقات السلطان لتأمين الحبوب ما يقارب (12,500,000) اثنا عشر مليوناً وخمسمائة ألف

---

(591) Davis, Fanny, Op.Cit, p.100.

(592) Davis, Ibid, p.100.

(593) El- Leithy,Tamer, Op.Cit, p.82 ؛Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص475 -476.

(594) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص475 -476.

(595) Basaran, betül, Op.Cit, p.93.

قرشاً.[٥٩٦] وتذكر وثيقة أن مجموع ما وصل إلى اسطنبول من الحنطة والشعير حوالي (7000 كيس) تم جلبها من الروملي في (صفر/1208هـ -شباط/1794م).[٥٩٧]

- كان هدف السلطان كسب ود المجتمع، وإعجاب الجمهور بهذه الإصلاحات، ويذكر سيد مصطفى" أن السلطان لم يكن يهمهُ سوى إثارة إعجاب ورضا الجمهور، وإثبات الفائدة من وجود ضباط وقوات نظامية كَفُؤة، ومهندسين ماهرين.[٥٩٨]

- كذلك عني السلطان سليم بمشكلة المقاهي المنتشرة في إسطنبول، والتي غدت في نهاية القرن الثامن عشر المطبخ السياسي المعارض من قبل الانكشارية للسلطان،[٥٩٩] الأمر الذي دفع الأخير لإغلاق بعض هذه المقاهي للحد من هذه الظاهرة.[٦٠٠]

- أولى السلطان اهتماماً في تنظيم رعايا الدولة من اليهود والنصارى، فقد قسم المجتمع إلى قسمين قسم مسلم والآخر مسيحي ويهودي، ومارس كل منهم شؤونه الداخلية وعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم بحرية تامة،[٦٠١] كما حضي نصارى الكاثوليك الأرمن ببعض المناصب في ولاية الكنيسة الخاصة بهم.[٦٠٢] ويذكر أن السلطان قدم بعض الامتيازات الدينية لرهبان دير

---

(٥٩٦) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص38.

(597) BOA, TS.MA.e, 105, 20, 1208, S, 20.

كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص475-476.

(٥٩٨) مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803، ص60.

(599) Basaran, betül, Op.Cit, p.150.

(600) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

(601) Miller, William, Op.Cit, p.20 ؛

مكارثي، جستن، الطرد والإبادة: مصير المسلمين العثمانيين 1821-1922، ترجمة: فريد الغزي، الأهلية، عمان، الأردن، 2005م، ص24-25.

(602) Charles A. Frazee, Catholics and sultans : the church and the Ottoman Empire, 1453- 1923, Cambridge University Press, London ; New York, 1983, p.185.

سينا،(٦٠٣) وذكر في فرمان بأنهم هم من يستحقون معاملتنا لهم بالخير؛ كونهم سكان الجبل الموقر، حيث كلم الله من عليائه سيدنا موسى عليه السلام، وأوصى السلطان بعدم فرض الضرائب عليهم، وأتاح لهم الحرية في ممارسة شعائرهم الدينية، كونهم شديدو الإخلاص لسلطاننا، وقال السلطان: "إننا نمنح هذه الامتيازات المختلفة لرهبان جبل سينا نظراً لما نالوه من شرف الامتيازات الممنوحة لهم من نبيِّنا وخلفائه".(٦٠٤) بينما تذكر وثيقة أن الدولة فرضت ضرائب على رعايا الدولة، وهي بمثابة الجزية التي يقدمونها للدولة بشكل دوري، مقابل تقديم الأخيرة الحماية لهم.(٦٠٥) كما تذكر وثيقة أخرى بعدم أخذ الجزية من القاصرين وكبار السن ضمن مرسوم صدرَ بإعفائهم.(٦٠٦)

يبدو أن المكانة التي حضي بها النصارى في كنف الدولة، مخالفة تماماً للمسلمين الذين تعرضوا لمختلف أنواع العذاب والتنكيل من قبل"محاكم التفتيشEngizisyon Mahkemesi"في إسبانيا الكاثوليكية، بل اليهود لم يسلموا من بطشهم وهذه ليست محاباة وإنما هو ما تناقلتهُ ألسنتهم وتُرجم في واقع كُتبهم ما يستشنعه السامع ويستنكره القارئ.(٦٠٧)

---

(٦٠٣) يقصد بهذا الدير هو دير سانت كاترين، نسبة إلى جبل كاترين أعلى الجبال في مصر الذي يقع في جنوب سيناء بمصر، بالقرب من جبل موسى ويقال عنه أنه أقدم دير في العالم.للمزيد انظر: دي ليجبيت، كورييه، صحف بونابرت في مصر 1798-1801م، 10مجلدات، تعريب: صلاح الدين البستاني، دار العرب البستاني، جمهورية مصر العربية ، 1971م، م5، رقم (23) ص 85.

Din, Mursi Saad El et al.., Sinai: the site & the history, essays New York: New York University Press, 1998. P. 80.

(٦٠٤) دي ليجبيت، كورييه، صحف بونابرت في مصر 1798-1801م، م5، رقم (23) ص 85-86

(605) BOA, TS.MA.e, 728, 1, 1210,L, 11.

(606) BOA, TS.MA.e, 727, 17, 1207,B, 24.

(607) Miller, William, Op.Cit, p.20

للمزيد انظر: آرمسترونغ، كارين، النزعات الأصولية في اليهودية والمسيحية والإسلام، ترجمة: محمد الجورا، دار الكلمة، دمشق، 2005م؛ مكارثي، جستن، الطرد والإبادة: مصير المسلمين العثمانيين 1821-1922، ص25.

رابعاً: نتائج حركة الإصلاح (إدارياً، عسكرياً، اقتصادياً، اجتماعياً).

- **نتائج الإصلاحات الإدارية:**

- في ظل الظروف الصعبة التي أحيطت بالدولة العثمانية، استطاع السلطان بحنكة دبلوماسية كسب ود فرنسا الجمهورية إلى جانب انجلترا الملكية، إذ حصل على أثرها أقصى قدر من المصالح لإنجاح مشروعه الإصلاحي الجديد.(٦٠٨)
- رغم المصالح الآنية التي حصل عليها السلطان إلا أنها انعكست بمصلحة الدول الأوربية، فالمكاسب التي حظي بها الغرب بعد التعرف على ماهية الإدارة العثمانية في اسطنبول، كانت بمثابة النواة الفعلية لبروز المسألة الشرقية.
- على الرغم من المكانة التي حظي بها السفراء الدائمون في العواصم الأوروبية، إلا أنهم خضعوا للرقابة المباشرة من قبل الغرب، فالتقارير التي أُرسِلَت إلى الباب العالي كانت بمثابة وصف لبعض جوانب الحياة في أوروبا، وليس لدقائق الأمور.(٦٠٩)
- على الرغم من المكانة التي حظي بها العلماء زمن السلطان سليم الثالث، إلا أنهم ساهموا في تقرير مصير السلطان بسبب انتشار الجهل، والتعصب الذي شجع عليه غالبية أعضاء العلماء المحافظين.(٦١٠)
- بداية توجهات الدولة نحو النظام العلماني للمجتمع، والخروج عن التوجهات الإسلامية في إدارة الدولة.(٦١١)

---

(608) Gürpınar, doğan, Op.Cit, P.62.

(609) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.260.

(610) Erimtan, can, Op.Cit, p.81.

▪ **نتائج الإصلاحات العسكرية:**

- كان للإصلاحات العسكرية التي انتهجها السلطان نقطة البداية التي نبهت السلاطين اللاحقين إلى ضرورة الإصلاح وفق النهج الأوروبي، وهذا ما قام به السلطان محمود الثاني لاستئناف ما انتهجه السلطان سليم نحو الإصلاح في ما بعد.(٦١٢)
- كان كل إصلاح غربي رئيسي يقوم به السلطان تجاه الترتيب الجديد والمناط بالتحديث العسكري، يتبعه رد فعل متحفظ من قبل التقليديين.(٦١٣)
- يظهر مما سبق أن الإصلاحات التي طبقت على النظام العسكري حققت تقدماً وتطوراً ملحوظاً في العدد والعتاد خلال الفترة التي قضاها السلطان في الحكم؛ فقد تم إنشاء جيش كبير من الجنود والضباط المدربين وفق الأساليب العسكرية الحديثة،(٦١٤) استطاعوا تحقيق بعض الانتصارات على الانكشارية في منطقتي الروملي وبلغاريا خلال الأعوام 1219-1218هـ/1803-1804م).(٦١٥)
- باتت الدولة العثمانية في نهاية القرن الثامن عشر من أقوى الإمبراطوريات؛ جراء حركة الإصلاح وفق الترتيب العسكري الجديد، إلا أن هذا الشعاع بدا بالخفوت في مطلع القرن التاسع عشر.(٦١٦)

---

(٦١١) نجم، زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ص299.

(612) Gürpınar, doğan, Op.Cit, p.64 ؛Emrence, Cem, Op.Cit, p.18 ؛Edib, Halide Adivar, the middle east collection (turkey face west),S.64.

(613) Emrence, Cem, Ibid, p.18.

(614) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.262.

(٦١٥) دسوقى، ناهد، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص157.

(616) Abu- Manneb, Op.Cit, P.59.

- شكلت الثكنات الجديدة في اسكودار تحدي مباشر للمركز الراسخ للانكشاريين في اسطنبول، وذلك للامتيازات التي حظيت بها من قبل السلطان، الأمر الذي زاد من هوة الصراع والنزاع بين كلا الجانبين.(٦١٧)

- تقليص أعداد الإنكشارية إلى ما يقرب (30) ألف جندي،(٦١٨) وهنا لابد من الإشارة أن الإنكشارية شعروا بتوجه الدولة نحو المركزية والتخطيط المنظم، وأن امتيازاتهم بدأت تتقلص رويداً رويداً، الأمر الذي دفعهم إلى استهجان الجند الجديد، واستثارة السواد الأعظم من طبقات المجتمع؛ لكسب التأييد ضد السلطان وبرنامجه الترتيب الجديد.

- سعى السلطان سليم الثالث للتخلص من الانكشارية لكنه فشل كبقية المصلحين الذين سبقوه؛ وبسبب ميله للفكر الفرنسي والأوروبي، ونظامه الموسوم بالترتيب الجديد جعله لا يحظى بشعبية بين أفراد شعبة المحافظين.(٦١٩)

- تأثر الشبان العثمانيون بالنظام العسكري الجديد، الأمر الذي انعكس على أنماط التفكير والسلوك لديهم،(٦٢٠) كما كان النمط الذي يميز الجند الجديد تلك العلامة التي تحدد رتبهم من ضباط وأفراد، كذلك اقترن بهذا الجند تقليد الغرب في منعهم كَثَّ اللحى.(٦٢١)

- نجح المتطوعون في تطبيقهم للنظم العسكرية الجديدة، وخلال أربعة أسابيع ظهر عليهم بوادر الجدارة والأهلية أكثر من الجندي التقليدي.(٦٢٢)

---

(617) Palmer, Alan, Op.Cit, p.54- 55.

(٦١٨) نجم، زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ص303.

(619) Miller, William, Op.Cit, p.53.

(620) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

(٦٢١) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج7، ص50.

(٦٢٢) مصطفى، سيد، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية 1803م ، ص75.

- نجحت البحرية العثمانية في إعادة هيكلة سفنها الحربية والتجارية، حتى وصفت في أوائل القرن التاسع عشر بأنها أجمل الأساطيل الأوروبية؛ بسبب الجهود التي بذلتها الدولة لاستقطاب المهندسين والفنيين من الخارج.(٦٢٣)

- حضي المهندسون والمدربون الفرنسيون بترحيب كبير من قبل السلطان؛ كونهم ساعدوا في إعادة بناء أسطول الدولة العثمانية وتحديث الترسانة، وقد لعب المستشارون الفرنسيون دوراً رئيسياً في برنامج الإصلاح، فقد شكلوا نصف التقنيين الأجانب، ولإعطاء فكرة عن مدى هذا التعاون، تجدر الإشارة إلى أنه بحلول عام(1210هـ/1796م)، ساعد المهندسون البحريون الفرنسيون في بناء مالا يقل عن(17) سفينة حديثة أدخلت في البحرية العثمانية.(٦٢٤)

- ظهرت أنواع جديدة من السفن الحربية الشراعية بارتفاع ثلاث طوابق، مع اختفاء سفن أخرى.(٦٢٥)

- تم إنتاج ما يقارب (45) سفينة حربية بأحجام مختلفة، فمنها الكبيرة التي بلغ طول الواحدة منها (47 متر)، وذات الطول المتوسط والتي اصطلح عليها بالسليمية والطاووس البحري، فقد بلغ مجموع ما حمل عليها من العدد (40,000) بحار و(2,156) مدفعاً.(٦٢٦)

- فتح السلطان طريقاً جديدًا للسلاطين اللاحقين للتعرف على أهمية إصلاح المؤسسات العسكري وسبل تطويرها على الطريقة الغربية.

- اهتمام الإدارة العثمانية بتفاصيل ونوعية المواد المستوردة من الخارج، كالحديد والنحاس والرصاص، ونوعية المحركات البخارية المستخدمة في الترسانة البحرية...الخ.(٦٢٧)

---

(623) Zorlu, Op.Cit, p.39, 119.

(624) Pascal W, Firges, Op.Cit, p.176.

(625) Zorlu, Op.Cit, p.120.

(626) Shaw, Stanford, Between old and new, p.158.

▪ **نتائج الإصلاحات الاقتصادية:**

- على الرغم من السياسة الإصلاحية التي اتبعها السلطان لتحسين الأوضاع الاقتصادية في الدولة العثمانية، إلا أن بعض أوجه الإصلاح المالي نفذ دون سياسة مالية عقلانية، الأمر الذي أدى إلى تراجع العملة، وزيادة النفقات الحكومية الهائلة، مما دفع السكان إلى الشعور بالقلق الشديد تجاه السلطان وإصلاحاته.[٦٢٨]
- وللإنصاف استطاع السلطان أن يحصل على كم كبير من الأموال لخزينة الإيراد الجديد، وحسب إحصائيات أجريت لعائدات الدولة عام (1212هـ/1798م) فقد قدرت سنويا بمبلغ مقداره (32,250,000) اثنان وثلاثون مليون ومائتان وخمسون ألف قرش،[٦٢٩] ثم زادت إيرادات الخزينة لتصبح في عام (1215هـ/1800م)(50) مليون قرش، ثم (65) مليون قرش في عام (1221هـ/1806م).[٦٣٠]
- اعتماد الكثير من الشعب على القروض الربوية لسوء الأوضاع الاقتصادية التي عانى منها سكان اسطنبول جراء الضرائب العالية.[٦٣١]
- الانخفاض العام في دخل الأسهم والتي كانت قد حققت عائداً يتراوح ما بين (35-40%) سنوياً لصالح خزينة الدولة، أخذت بالتراجع جراء زيادة رسوم الدولة على الشركات في اسطنبول والأقاليم المحلية.[٦٣٢]

---

(627) Zorlu, Op. Cit, p.60.

(628) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.273.

(٦٢٩) رئيف، محمود، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، ص.37.

(٦٣٠) دسوقى، ناهد، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص160.

(631) Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.184.

(632) Salzmann, Op.Cit, p.185.

- حاول السلطان تسوية الأوضاع الاقتصادية، وطلب بتسليم الذهب والفضة لدعم خزينة الدولة إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل، واستمر تراجع القرص العثماني حتى نهاية عهد السلطان سليم الثالث.(٦٣٣)

- تراجع ملحوظ في خزينة الإيراد الجديد جراء النفقات الكبيرة على المؤسسة العسكرية بشقيها البري والبحري، وهذا ما دفع الباب العالي إلى إصدار أوامر تحد من حجم هذه النفقات.(٦٣٤)

- كان لحجم النفقات الكبير أن دفع مالية الدولة إلى مماطلة دفع أجور العاملين الأجانب في اسطنبول، الأمر الذي أدى إلى توقفهم عن العمل حتى تدفع لهم الأجور،(٦٣٥) وهذا يبين مدى تأثر خزينة الدولة بحجم النفقات الكبيرة جراء الإصلاحات.

- لم يكن جميعا لمستشارين الأجانب خبراء حقاً في مجال عملهم، بل كان بعضهم مجرد مغامرين وانتهازيين، جُذبوا إلى اسطنبول من أجل الأجر السخي الذي قدمه السلطان.(٦٣٦)

- **نتائج الإصلاحات الاجتماعية والتعليمية:**

- كانت لعمليات التفتيش التي أمر بها السلطان سليم الثالث، أن أدّت إلى نفي الكثير من الرجال من المدينة بصرف النظر عن أوضاعهم الاقتصادية؛ مشاكلُ اجتماعية، ثم ارتفاع معدلات الجريمة، وتدني مستوى توفير الغذاء؛ بسبب الازدياد المطرد لتعداد السكان في اسطنبول.(٦٣٧)

- طرد مئات الرجال من اسطنبول خلال (1206-1207هـ/1792-1793م)؛ لعدم حمل وثائق تثبت معايير بقائهم في المدينة.(٦٣٨)

---

(633) Pamuk, Şevket, Op.Cit, p.170- 171.

(634) Zorlu, Op.Cit, p.87- 88.

(635) BOA, TS.MA.d, 22720013, 1222, RA, 29 ؛Zorlu, Ibid, p.57.

(636) Pascal W, Firges, Op.Cit, p.184.

(637) Basaran, betül, Op.Cit, p.3, 94,164.

- معاقبة الكثير من الذين ثبت عليهم جرم بحق الدولة والرعية، مما جعل الدولة أكثر انضباطاً.(٦٣٩)

- كانت للجهود التي قام بها السلطان سليم الثالث خلال عملية المراقبة والتفتيش عن المقيمين غير الشرعيين في اسطنبول، أن فتح باب جدية اهتمام الدولة بالإحصاء السكاني من جديد(٦٤٠) والذي ظهر جلياً إبَّان القرن التاسع عشر كمرحلة من مراحل الإصلاح.(٦٤١)

- أدخلت الإصلاحات وفق الترتيب الجديد تحولاً جذرياً في النسيج الاجتماعي والثقافي،فكان المجتمع على اتجاهين اتجاه مؤيد لسياسة السلطان متأثراً بالنموذج الغربي، واتجاه معارض شكل عقبة أمام حركة الإصلاح؛ لاتخاذه من الطابع الغربي ضربًا من الكفر.(٦٤٢)

- تأثر شريحة كبيرة من المجتمع العثماني بالتقاليد الغربية، فالمستشارون الأوروبيون لم يكونوا معزولين عن المجتمع المحلي، بل تجولوا في الأسواق والمقاهي وسكنوا جهاراً في شوارع ومنازل اسطنبول.(٦٤٣)

- استخدام مفردات جديدة وعلى نطاق واسع، أخذت بالانتشار بين ربوع الدولة متأثرة بالفكر الثوري كالحرية السياسية.(٦٤٤)

---

(638) Basaran, Ibid , p.94.

(639) Basaran, Ibid, p.94.

(٦٤٠) تعود أولى عمليات الإحصاء التي قامت بها الدولة العثمانية زمن السلطان "أورخان بك Orhan Beğ "في منطقة الأناضول في بلدة "قوجلي Kocaeli" للمزيد انظر: العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية، ص347.

Sakaoğlu, Necdet, Bu mülkün sultanları, İstanbul: Oğlak yayınları, 1999,S.52- 62.

(641) Basaran, Ibid, p.112 ؛ كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص 209 -211

(642) Findley, carter v, Op.Cit, p.201.

(643) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

(٦٤٤) العزاوي، قيس جواد، الإمبراطورية العثمانية قراءة جديدة في عوامل الانحطاط، ص49.

- واجه الفرنسيون صعوبات النمط الفكري من قبل عدد غفير من الأتراك الذين شعروا بالإهانة عند تلقيهم المشورة من الأجانب، الأمر الذي ساهم في عرقلة عجلة الإصلاح نوعاً ما، وخاصة من جانب جنود الإنكشارية.(٦٤٥)

- كان لانتشار اللغة الفرنسية بين طبقات المجتمع العثماني الدور البارز في التأثير على البنى الثقافية للمجتمع الأخير، الأمر الذي أوجد الروح الجديدة في أدبيات الكُتاب العثمانيين المتأثرين بالنهج الفرنسي.(٦٤٦)

- الاهتمام بالتعليم العسكري في الدرجة الأولى من خلال أحدى العبارات التي تعود للسلطان سليم عام (1221هـ/1806م) والواردة في قانون نامة للمهندسخانة البرية الهمايونية، تناولت الهدف المرصود لذلك النوع من التعليم هو النهوض بالجانب العسكري، حيث قال:" إن الهدف من المهندسخانات الهمايونية التي أقيمت قبل ذلك هو نشر الفنون البرية والبحرية كالهندسة والحساب والجغرافيا وتعلم وتعليم ما يلزم الدولة من الصناعات الحربية وإخراج ذلك من القوة إلى الفعل".(٦٤٧)

- فشل السفراء العثمانيين في أداء واجباتهم الموكولة لهم في الخارج، بسبب عدم درايتهم باللغات الأجنبية، وعدم تلقيهم لأي تأهيل خاص قبل رحيلهم، الأمر الذي جعلهم عاجزين عن فهم وقائع الأحداث في الغرب.(٦٤٨)

---

(645) Pascal W, Firges, Op.Cit, p.184.

(٦٤٦) النعيمي، أحمد نوري، الحياة السياسية في الدولة العثمانية، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1990، ص12؛ كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص473.

(٦٤٧) إحسان أوغلى، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص512.

(٦٤٨) مانتران، روبير، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص17.

خامساً: مآخذ على السلطان سليم الثالث والتي أذنت بأن تكون سبباً في ضعف سلطته وبداية التمردات ضده:

- وصف السلطان سليم بأنه اعتدى على حقوق الإنسان الأساسية تجاه رعاياه المتهمين بجرم معين، فكان يتم اعتقال أي شخص مشكوك بأمره، ويعتبر مذنب حتى يثبت براءته، حتى أصحاب الجرم السابق لم يسلموا من دائرة الاتهامات، فكان أي شخص عرف عنه بجريمة سابقة يتم وضعه مع قائمة المتهمين، كذلك أي شخص خارج مدينة اسطنبول هو محط شك.[٦٤٩]

من الطبيعي أن تفرض الدولة قيود صارمة لحفظ الأمن والأمان تجاه رعاياها، لكن أن تنتهج هذا الأسلوب الذي زاد من هوة الصراع بين السلطان والرعية فهو أمر خطير لا يحمد عقباه.

- إصدار السلطان سليم الثالث العديد من المراسيم الموسومة بعبارات التهديد والوعيد كقوله: "إذا رأيت هذا السلوك مرة أخرى ستندم عليه"، وهنا تركت العقوبة انتقائية حسب أهواء السلطان إذا ما وقع الجرم، فالكثير من العقوبات كالإعدام مثلاً طبق على بعض الجرائم التي لا تستحق هذا العقاب من شأنه أن ولد عدم الثقة بين الشعب والسلطة.[٦٥٠] وتذكر وثيقة مؤرخة عام (1203هـ/1789م) أن السلطان طبق عقوبة الإعدام على صائغ المجوهرات لتلاعبه بجودة الذهب.[٦٥١]

---

(649) Basaran, betül, Op.Cit, p.103.

(650) Basaran, betül, Ibid, p.106.

(651) BOA, TS.MA.e, 396, 91,1203, Ş, 28.

- أسند السلطان مهمة قيادة الدولة إلى بعض ضعاف النفوس الذين أفسدوا فيها باستغلال تلك الظروف لصالحهم في بناء القصور الفخمة المطلة على البحر وعلى مضيق البسفور.(٦٥٢)

- تهديد مكانة السلطان بشكل خطير بأن يكون حامياً للإسلام بعد سلسلة الغارات التي وقعت على المدن المقدسة كالمدينة المنورة ومكة المكرمة؛ لاجتثاث خطر الوهابية.(٦٥٣)

- تراجع مهمة الباب العالي من إدارة أمور الحكم، إلى أن أصبح في النهار مجالس سمر والالتقاء بالأصدقاء والأحباب، وفي الليل يقضونه في جولات القوارب على ضوء القمر في البسفور.(٦٥٤)

- إفشاء السلطان أثناء حضوره لحفلات السمر والموسيقى أسرار الدولة للوزراء والخدم، ومن ثم انتقال تلك الأسرار الجوهرية والحساسة للعامة والأعداء.(٦٥٥)

- اختلفت سياسة السلطان عن سابقيه من السلاطين في البذخ والإسراف،(٦٥٦) وخاصة نثر الذهب والنقود عند اعتلائه سدة الحكم، وعند ذهابه لأداء فروض الصلاة.(٦٥٧)

---

(٦٥٢) سليمان، صابرين، السلطان العثماني سليم الثالث الغازي (1789 – 1807)، تم الاطلاع في 11/11/2017الساعة: 03 05:pm على الرابط: http://www.shatharat.net/vb/showthread.php

(653) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.271؛Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, Turk Tarih Kurumu Yayinlari,13, Turk Tarih, Ankara,1983.

(٦٥٤) گوندز، أحمد آق، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، ص376-377؛سليمان، صابرين، السلطان العثماني سليم الثالث الغازي (1789 – 1807)، تم الاطلاع في 11/11/2017 الساعة: 03 05:pm على الرابط: http://www.shatharat.net/vb/showthread.php.

(655) Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.182.

(٦٥٦) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص657.

(657) Salzmann, Ibid, p.182.

- وأُخذ على السلطان بأنه مقلد للغرب، فقد استدعى بعض الفنانين والرسامين الأوروبيين لأداء أعماله في قصره، وجلب اللوحات التي تجسد هيئة البشر.[٦٥٨]والتي تعتبر في التقليد الإسلامي أنها محرمة، فقد ثبت في السنَّة الصحيحة تحريم الرسم والنحت، لذوات الأرواح فعن أبي طلحة رضي الله عنه قال : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ :(لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتاً فِيهِ كَلْبٌ، وَلاَ صُورَةٌ تَمَاثِيلُ).[٦٥٩] صدق رسول الله. وقد ظهر نمط جديد خلال القرن الثامن عشر في فن التزيين بأساليب مستوحاة من النمط الغربي أيضاً، يدعى" الباروق والركوكو"[٦٦٠] اتسمت قصور السلاطين بهذا النمط في مطلع القرن التاسع عشر.

- الإسراف والتبذير من قبل شقيقات السلطان سليم الثالث،أما الأخير فقد طمح بان يجعل من اسطنبول مدينة متطورة تضاهي المدن الأوروبية جمالاً، ويذكر"Davis" أن السلطان حصل على بعض الوصف لجمالية المنازل الأوروبية عن طريق شقيقته خديجة سلطان Hatice، أثناء زيارتها لأحد المنازل الأجنبية للقائم بالأعمال الدنمركية في اسطنبول affaires at "Chargê d'Büyükdere"، وشاهدت أعمال المهندس "أنطوان إيغناس ملينغ "Antoine Ignace Melling"[٦٦١] وطلبت منهُ العمل على قصرها في "Beşiktaş"بينما شقيقتها

---

(658) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.265.

(٦٥٩) الديوبندي، أمالي محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي (ت1353هـ/1934م)، فيض الباري على صحيح البخاري، عدد الأجزاء: 6، تحقيق: محمد بدر عالم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1426هـ - 2005م، ج4، ص313.

(٦٦٠) وهو فن ينتمى إلى الزخرفة في العمارة والديكور الداخلي والخارجي طبق داخل القصور وما يحويه من الأثاث والتصوير والنحت. إحسان أوغلو، أكمل الدين، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص755.انظر ملحق رقم: (8+9).

(٦٦١) عاش ما بين (14/ شوال/1176هـ - 17/ ربيع الأول / 1247هـ - 27/ نيسان/1763م - 25/ تشرين ثاني/1831م) كان رساماً ومهندساً، عدهُ البعض من "الفنانين المشرقيين". وهو مشهور ببنائه وهندسته المعمارية في القسطنطينية، يعتب مهندس الإمبراطوري للسلطان سليم الثالث وشقيقته خديجة سلطان. لرؤية صورة قصر خديجة سلطان انظر ملحق رقم (6).

الأخرى"Beyhan" أسرفت إلى حد كبير في بناء قصرها، وتذكر وثيقة أن هنالك أموالاً أرسلت إلى السلطانة الأخيرة بطريقة غير شرعية، من أجل الحصول على أموال لبناء القصر الخاص بها، والغريب هنا أن هذا الفرمان جاء بصيغة التزوير أي إنه غير شرعي نتيجة استغلال السلطانة اسم السلطان والطغراء الخاصة به للحصول على المال من خزينة الدولة،[٦٦٢] وأكثر من (50 ألف) عملة قدمت إلى مدير قصرها "عبدالله بيري أفندي Abdullah Perri Efendi" على حساب خزينة الدولة دون علم أحد.[٦٦٣]

وتذكر وثيقة أن شقيقة السلطان "أسماء سلطانة Esma Sultan" قد حصلت على المساعدة من الصدر الأعظم لتغطية نفقاتها بموافقة السلطان، فكانت هذه الأخرى بمثابة صفعة لخزينة الدولة للمصاريف العالية،[٦٦٤] وفي مذكرة جاءت إلى السلطان حول المصاريف العالية من قبل شقيقاته،[٦٦٥] رد السلطان وقال:" في الوقت الحاضر نفقاتنا كبيرة للغاية، وأشعر بالخجل لأخذ المال من المالية، ومع ذلك فهي أختي الشقيقة وتحت حمايتي الآن مهما فعلت".[٦٦٦]

- تذكر وثيقة حول المصاريف العالية والتقاليد التي استخدمت داخل القصر، كوضع الماء المقدس على عباءة السلطان سليم وعائلته من الأمراء والحريم، فكان لهذا الأمر الأثر الواضح في إضعاف خزينة الدولة؛ لكثرة المصاريف وما رافقها من تكاليف.[٦٦٧]

يظهر مما سبق أن الروابط الأسرية بين أفراد العائلة المالكة كانت قوية إلى حدٍ ما، لكن أن تصل هذه المصاريف إلى هذا الحد، والأوضاع الداخلية والخارجية والإدارة العثمانية لا تسمح

(662) BOA, HAT, 1485, 6 ,1217, C, 20.

(663) Davis, Op.Cit, p.15.

(664) BOA, C..SM, 48, 2414 ,1203, Z, 29.

(٦٦٥) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص657.

(666) Davis, Ibid, p.15.

(667) BOA, HAT, 1471, 66 ,1213, N, 30.

بالمزيد من المصاريف بحكم نهج الإصلاح الذي أقرة السلطان بنفسه، ومن هذا المنطلق ليس بالغريب بأن يكون هذا الفساد حافز أمام الخصوم للحد من تقليد عائلة السلطان للغرب.

- استفحال البذخ والترف بين كبار رجال الدولة، وفي المقابل انتشار البؤس والفقر بين الأهالي جراء الضرائب التي أرهقت كاهلهم" وبدأ الأغنياء يقولون:"إن اسطنبول مدينة الأغنياء، ليخرج منها الفقراء والمفلسون".(٦٦٨)
- أتسم السلطان سليم الثالث بالطابع الليّن، فكان يتأخر في اخذ القرارات التي تستوجب الحد من المشاكل،وقد ظهر جلياً عندما قامت الانكشارية في بداية الأمر بتكفير الفرق النظامية، وبدل أن يتخذ السلطان وسيلة عقاب ليحد بها خطرهم، تركهم ولم يدرك ما تضمرُهُ له أنفسهم.(٦٦٩)
- غاب عن ذهن السلطان فكرة الإعداد الإيماني لتقوية عزيمة الجيش، بل حشد جهده في استحداث مؤسسات الدولة في جانب العدة والعتاد بصرف النظر عن منهج رب العباد.(٦٧٠)
- وصف السلطان بأنه كثير التنازل عن بعض القرارات؛ خشية سفك الدماء ظانّاً أن سياسة التسامح سيجني من ورائها بعض اللين من قبل المحافظين.(٦٧١)
- كان لتهديدات المحافظين والأعيان تجاه السلطان ونظام الجيش الجديد، الأثر البارز الذي دفع السلطان للاستجابة لهذه التهديدات، وحتى يرضي هذه الزمرة وضع قيادة الجيش الجديد في

---

(٦٦٨) گوندز، أحمد آق، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، ص376-377؛ سليمان، صابرين، السلطان العثماني سليم الثالث الغازي (1789 – 1807)، تم الاطلاع في 11/11/2017 الساعة: 03 05:pm على الرابط: http://www.shatharat.net/vb/showthread.php

(٦٦٩) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج5، ص107-109.

(٦٧٠) مسعود، جمال عبد الهادي، وفاء محمد، صفحات مطوية من تاريخ وحضارة الدولة العثمانية منذ عام (699 - 1334هـ/1299-1924م)،ج1، ص260.

(٦٧١) فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص381.

أيدي خصومه في سبيل إرضاء المحافظين، وبهذه الخطوة فقد حرم السلطان نفسه من وسائل الدفاع، فكانت بمثابة الضربة التي أفقدت السلطان عرشه ثم أودت به إلى القتل.(٦٧٢)

(672) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.272 ؛ عاصم، أفندي، تاريخ عاصم، ج1، ص349 -352؛ لنفس المؤلف، ج2، ص26 -31.

الفصل الرابع

المشاكل التي واجهت السلطان بعد إصداره الترتيب الجديد على الصعيدين الداخلي والخارجي

أولا: المشاكل الداخلية:

١- الثورات المحلية.

٢- الانكشارية في الولايات العثمانية.

ثانيا:المشاكل الخارجية:

- حملة نابليون بونابرت على مصر(1213-1216هـ/1798-1801م) وأثرها على فتور العلاقات العثمانية الفرنسية من جهة، وعودة العلاقات الدبلوماسية بعد الجلاء عن مصر من جهة أخرى.

- التحالف الروسي الانجليزي ضد الدولة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر.

ثالثا: انتصار المحافظين ونهاية حكم السلطان سليم الثالث ومقتله.

أولا: المشاكل الداخلية:

في خضم حركة الإصلاح العثماني التي قام بها السلطان في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، واجه الأخير العديد من المشاكل على الصعيدين الداخلي والخارجي تمثلت بما يلي:

١- الثورات المحلية.

على الرغم من سلسلة الإصلاحات التي قام بها السلطان سليم الثالث في الدولة العثمانية إلا أن مركزية الدولة لازالت تعاني من رواسب الضعف والتحديات المقترنة بالمحافظين خلال القرن الثامن عشر، فجاءت على النحو الآتي:

– انقلاب العلماء والأعيان ضد نظام السلطان بعد تعيين اسحق زاده محمد عبدالله أفندي في مشيخة الإسلام سنة (1221هـ/1806م) وأعلنوا المعارضة تجاه السلطان ونظامه الموسوم بالترتيب الجديد.(٦٧٣)

- كذلك الحركة الوهابية لازالت تعلن وتستهجن سياسة الحكومة العثمانية والسلطان سليم الثالث نفسه؛ بسبب التراخي الديني وميله لخطوط الإصلاح الغربي، والفساد الإداري، وعدم وفاء السلطان بمسؤولياته،(٦٧٤) الأمر الذي دفع محمد بن آل سعود بتوجيه ضربة قوية إلى مكانة السلطان الدينية بعد دخوله مكة المكرمة عام (1221هـ/1806م)،(٦٧٥) فتجاسر بقراءة

(٦٧٣) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص657.

(674) Abu- Manneb, Op.Cit, P.23.

(٦٧٥) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1457 -1458؛ Black, Jeremy, Op.Cit, p.147

الصلوات العامة باسمه، والدعاء لهُ على المنابر بدل السلطان،(٦٧٦) وهذا يدل على خروج مكة المكرمة من حماية الدولة العثمانية.

- كان لأحداث سقوط مكة والمدينة دوي كبير أذهل مسامع العثمانيين في اسطنبول، الأمر الذي دفعهم إلى القيام بموجة سخط وانتقام تجاه حكومة الباب العالي، فأطلقوا النيران على منازل العاصمة، واحرقوا ما يقارب (40) منزلاً، تعبيراً عن ترهل إدارة الدولة في فقدانها للأماكن المقدسة.(٦٧٧)

- في حين قاد التهديد الفرنسي لمصر، إلى تعيين "قولى محمد علي باشا Kavali Mehmet' Ali Paşa(٦٧٨) والي عليها، شريطة إعلان الولاء والتبعية للسلطان ودفع الجزية.(٦٧٩)

- كذلك قاد الخطر الفرنسي في بلاد الشام إلى أن يُعين السلطان سليم الثالث أحمد باشا الجزار"Ahmet Paşa Cezzar" حاكماً على دمشق في (جمادى الثاني/ 1218هـ- تشرين أول/1803م)،(٦٨٠) الأمر الذي أدى إلى إنشاء دولة مملوكية كبرى على حساب الدولة

---

(676) Zeine, zeine N, Op.Cit, p.34.

إحسان أوغلى، أكمل الدين،الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ص371.

(٦٧٧) دسوقى، ناهد، بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية، ص195.

(٦٧٨) ولد في مدينة قولة التابعة لمحافظة مقدونيا شمال اليونان عام (1182هـ/1769م)، لأسرة ألبانية، يعتبر مؤسس الأسرة العلوية وحاكم مصر ما بين عامي (1219هـ/1805م -1264هـ/1848م)، ويشيع وصفه بأنه "مؤسس مصر الحديثة" للمزيد انظر:

Robison, Samuel Shelburne, History of Naval Tactics from 1530 to 1930,The Evolution of Tactical Maxims, The U.S. Naval Institute, 1942.p.546 ؛Shaw, Stanford J, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: V.2, p.10؛ Dodwell, Henry, The Founder of Modern Egypt: A Study of Muhammad ‘Ali, Cambridge, Cambridge University Press, 1967.

(679) Zeine, zeine N, Op.Cit, p.34.

(٦٨٠) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1238.

العثمانية في بلاد الشام لكن لفترة وجيزة؛ بسبب وفاة الجزار في(12/محرم/1219هـ-23/نيسان/1804م).[٦٨١]

يبدو أن السلطان سليم لم يتخذ الموقف الحاسم تجاه الحركات الانفصالية في الأناضول والولايات العربية، فسرعان ما يعلن أحد المتمردين نفسهُ واليًا على ولاية، حتى يقره السلطان على ما استحوذ عليه؛ لانشغال الأخير ببعض المشاكل إن كانت داخلية أو خارجية، ومن المشاكل التي تعتبر فتيل التمرد والاستقلال. التمردات المحلية في ولايات البلقان وهي على النحو الآتي:

- حاول السلطان سليم الثالث في مطلع القرن التاسع عشر الحصول على مدد إضافي لدعم جيشه الجديد في مناطق البلقان، إلا أن هذه الجهود باءت بالفشل؛ بسبب المعارضة القوية من جانب الأعيان المحليين.[٦٨٢]
- واجه السلطان بعض المشاكل في منطقة "ابيروسOpirus" التابعة لألبانيا، وهي من أخطر الأقاليم التابعة للدولة العثمانية في الشطر الأوروبي،[٦٨٣] تزعم هذه الثورة علي باشاTepedelenli Ali Paşa،[٦٨٤] في " Janina"، أوYannina أوIoannina،[٦٨٥] كان المسافرون الأتراك يخشون هذه المنطقة؛ كونهم عرضة لأن يقتلهم مواطنو تلك المنطقة الجبلية.[٦٨٦] الأمر الذي افقد ثقة المسافر بالسلطة العثمانية وجعلته يفقد صلة الولاء بالسلطان.

---

(681) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267 ؛ Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.185.
(682) Shaw, Ibid, V,1, p.261.
(٦٨٣) سلطان، علي، تاريخ الدولة العثمانية، ص267 .
(٦٨٤) صورة علي باشا. انظر ملحق رقم (10).
(685) Shaw, Ibid, V,1, p.267, 27.
(686) Miller, William, Op.Cit, p.19.

حاول السلطان الحد من طموحات علي باشا من خلال الزج بحاكم Rumeli حقي باشا Hakki Mehmet Paşa لمواجهة ثورة Pazvantoğlu،[٦٨٧] وعلى الرغم من المقدرة التي تحلى بها حقي باشا إلا أن جهوده أحبطها حزب المحافظين في اسطنبول من جهة، وبروز الخطر المتمثل بالحملة الفرنسية على مصر من جهة أخرى، الأمر الذي دفع السلطان إلى عقد سلام مع وجهاء تلك المناطق ومنحهم سلطة غير محدودة.[٦٨٨]

- برز خطر "عثمان بازفانتوغلوOsman Pazvantoğlu"[٦٨٩] الذي تحدى سلطة السلطان سليم، وعمل على إثارة المشاكل في الولايات المحلية،[٦٩٠] والتف حول Vidin[٦٩١] ليكون واحدًا من أقوى خصوم السلطان في ذلك لوقت،[٦٩٢] بالإضافة إلى عدد كبير من الوجهاء

(687) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.271.

(٦٨٨) فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص 385 -386؛ Shaw, Ibid, V,1, p.267.

(٦٨٩) عثمان بازفانتوغلو ولد سنة (1171هـ/1758م)، وتوفي سنة (1222هـ/1807م)، كان جنديا عثمانيًا وحاكم منطقة "فيدينVidin" -مدينة بلغارية تقع على ضفاف نهر الدانوب في شمال غرب بلغاريا- بعد(1207هـ/1794م)، أعلن التمرد ضد الحكم العثماني، وكان له علاقات دبلوماسية مع الدول الأجنبية (بما في ذلك الجمهورية الفرنسية)، في عام 1798م، كان يحمي الأراضي التي تنتشر من نهر الدانوب حتى جبال البلقان ومن بلغراد إلى فارنا(مدينة بلغارية). للمزيد انظر :راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1287 -1288؛

Shaw, Ibid, V,1, p.271.

Paxton, Roger Viers, Russia and the First Serbian Revolution: A Diplomatic and Political Study. The Initial Phase, 1804-1807, Department of History, Stanford University, 1968,p13.

(690) Phillion, Christine M, Op.Cit, P.80.

(٦٩١) تقع على الضفة الجنوبية من نهر الدانوب في شمال غرب بلغاريا. للمزيد انظر:

Veyrenc, Charles Jacques, Bulgaria Nagel's encyclopedia-guide,(2 ed.), Nagel, 1981, p. 410-413.

(692) BOA, TS.MA.d, 21130005,1212, Z, 29.

Shaw, Ibid, V,1, p.267.

والانكشارية الذين تكاتفوا لمعارضة السلطان سليم،[٦٩٣] فرفضوا دفع الضرائب وجعلوا من ميدان ثورتهم فرصة للحصول على استقلالهم.[٦٩٤]

- كذلك ظهر "إسماعيل أغا Tirsinikli Ismail Ağa" في منطقة Silistrea Rusçuk[٦٩٥] سيطر على شرق بلغاريا، وتقدم عبر جبال البلقان وضم إليه الكثير من مناطق "تراقيا Thrace"[٦٩٦]

- واجه السلطان كذلك بعض الشخصيات البارزة في الشرق من "عائلة Canikli" تحت زعامة "طيار باشا Tayyar Paşa"،[٦٩٧] فقد استسلم الأخير لإغراء المال والسلاح الروسي، كما عمل على إنشاء أنظمة مستقلة في بلاد الأناضول بين بورصة Bursa[٦٩٨] وترابزون Trabzon[٦٩٩] كذلك في منطقتي "سامسون Samsun" و"سيواس Sivas" والعمل على إنشاء جمعية لمعارضة إصلاحات السلطان،[٧٠٠] مما جعل هناك تراخي في بعض ولايات الأناضول وتقاعسها عن دفع الضرائب للحكومة المركزية.[٧٠١]

---

(٦٩٣) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص655.

(694) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267.

(٦٩٥) مدينة ميناء في شمال شرق بلغاريا، تقع على الضفة الجنوبية لنهر الدانوب السفلي، وهي أيضا جزء من الحدود الرومانية.

Shaw, Ibid, V,1, p.271.

(٦٩٦) جنوب شرق البلقان تضم شمال شرق اليونان وجنوب بلغاريا. تشرف تراقيا على ثلاث بحار: البحر الأسود، وبحر إيجة، وبحر مرمرة. Shaw, Ibid, V,1, p.271.

(697) BOA, HAT, 102, 4048 G, 1220, Ra, 03.

(٦٩٨) تقع شمال غرب البلاد التركية، في منطقة مرمرة، بين مدينتي إسطنبول وأنقرة.

(٦٩٩) مدينة تركية تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود.

(700) BOA, HAT, 102, 4048 i, 1220, Ra, 09.

(701) Shaw, Ibid, V,1, p.271.

- افتعال السلطان نفسه حادثة جديدة أطلق عليها بحادثة "أدرنة Edirne"، جاءت هذه الحادثة جراء المشاكل التي تكالبت على السلطان، فحاول استئناف بعض الإصلاحات المتعلقة بالجيش الجديد، فأصدر فرمان بإنشاء هيئة النظام الجديد في أدرنة، وتأمين جندها عن طريق فرض التجنيد الإجباري من البلقان، لكي يتسنى للسلطان إخماد التمردات المحلية، هذا الأمر أغضب المحافظين والصدر الأعظم "حافظ إسماعيل أغا Hafız İsmail Ağa" وعملوا على إحباط مخطط السلطان وترتيبه الجديد وهذا ما تم بالفعل، فعندما أرسلت قوة النظام الجديد لتجنيد الرجال وتدريبهم في (3/ ربيع الثاني/1806هـ- 20/حزيران/ 1806م) قاطعهم الوجهاء، ورفضوا تقديم أي إمدادات تجاه هذه القوة.[٧٠٢]

يظهر مما سبق أن فكرة تقبل الجيش الجديد في الولايات العثمانية باتت غير محببة لدى الولايات في مناطق البلقان، بل زاد الأمر على الطعن بإصلاحات السلطان نفسه ولتقليده للغرب، فباتت أي خطوة ينتهجها السلطان نحو الإصلاح معرضة للفشل.

٢- الانكشارية في الولايات العثمانية.

استفحل خطر الانكشارية جراء حركة الإصلاح التي قام بها السلطان، فأعلنوا التمرد على الدولة وبدءوا يستثيرون الخصوم ضد السلطان وجنده الجديد، حتى استعان السلطان ببعض المسيحيين الفنار عام (1215هـ/1800م)، فقد تم تسليحهم ولأول مرة لمحاربة الانكشارية،[٧٠٣] وهذا يدل على عدم اكتمال البرنامج الذي رسمه السلطان لإعداد الجيش الجديد لمواجهة مثل هذه الثورات حتى استعان بالمسيحيين الفنار.

---

(702) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.272.
(703) Phillion, Christine M, Op.Cit, P.80.

كذلك افتعل الجند الانكشارية بعض المشاكل في الولايات التابعة للدولة العثمانية وخاصة في منطقة صربيا، وعلى الرغم من الحرية التي منحها السلطان سليم الثالث لحكومة صربيا، إلا أن الظروف تبدلت بعد أن قام السلطان بإنشاء خط تحصين لدعم نهر الدانوب خلال (ذي القعدة/1218هـ - شباط/1804م)، مما دفع الانكشارية في إثارة الشغب والقلاقل في تلك المناطق التابعة لصربيا، صوب التلال المشجرة من منطقة "اومادجاAumadja" بين انهار "ذريناDrina" و"موراڤا Morava"،الأمر الذي دفع مسيحيين صربيا الأرثوذكس إلى التمرد تحت زعامة الصربي قره جورج أو جورج الأسود،[٧٠٤] ويسمى أيضاً "كارجورج"Karadjordje Petrovic"[٧٠٥] وهو الوكيل المعتمد لدى السلطان سليم الثالث، فقد منحه السلطان بعض الصلاحيات لمساعدة الرئيس الصربي ضد المتمردين الانكشارية، فكان طابع الثورة ضد المتمردين موجه للانكشارية وليس لمسلمي الصرب،[٧٠٦] وبالفعل نجح كارجورج في (جمادى الآخرة/1219هـ- أيلول/1804م) في السيطرة على بلغراد ومناطق أخرى مثل "سمديريڤوSmederevo"[٧٠٧] و"ساباك Sabak"[٧٠٨]

يظهر مما سبق أن الانكشارية انصب جهدهم على إثارة الفتن والقلاقل رداً على تحيز السلطان للجيش الجديد، الأمر الذي دفع الولايات إلى التجاسر على إعلان الاستقلال أو التمرد تجاه الدولة إذا ما سنحت الفرصة لذلك.

---

(٧٠٤) كينروس، چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص484.
Palmer, Alan, Op.Cit, p.62

(٧٠٥) كان تاجراً أصبح احد الرقباء الجيش النمساوي. Palmer, Ibid, . p.62

(706) Miller, William, Op.Cit, p.49.

(٧٠٧) شرق صربيا، تقع على الضفة اليمنى من نهر الدانوب.

(708) Palmer, Ibid, p.62.

كذلك لعبت الانكشارية الدور البارز في إضعاف السلطان، عن طريق فتح المجال لحكام المماليك بالاستفراد في حكم مصر، الأمر الذي شجع الفرنسيين لاستغلال حالة الفوضى في القاهرة وإرسال حملة تحت زعامة نابليون بونابرت.[٧٠٩]

(709) Barber, noel, Op.Cit, p.124.

ثانياً: المشاكل الخارجية:

- حملة نابليون بونابرت على مصر(1213 -1216هـ/1798 -1801م) وأثرها على فتور العلاقات العثمانية الفرنسية من جهة، وعودة العلاقات الدبلوماسية بعد الجلاء عن مصر من جهة أخرى.

ثبّتت انجلترا الملكية مصالحها في الشرق الأوسط بعد أن أشغلت الدولة العثمانية بخطر روسيا القيصرية، والتمردات المحلية في البلقان، ثم انتقل مسرح الأحداث إلى تسويات دولية، فقد عقدت معاهدة بين فرنسا والنمسا أطلق عليها "معاهدة كامبوفورميو Campo Formio" في (25/رجب/ 1212هـ/ 17/ تشرين أول/1797م).[٧١٠]

يبدو أن سلسلة المعاهدات التي عقدها نابليون مع خصومه، جعل من بريطانيا وحدها في الحرب ضد فرنسا بعد خروج النمسا من الصراع،[٧١١] ومن هذا المنطلق أشار نابليون إلى حكومة المديرين الفرنسية بإرسال جيشها لاحتلال مصر[٧١٢]؛ لكي يشكل تهديدًا لضرب المصالح الإنجليزية في مصر، وتهديد علاقة انجلترا مع الهند التي تعتبر أهم المستعمرات البريطانية

---

(٧١٠) معاهدة للصلح بين نابليون بونابرت والكونت فيليب فون بوصفهم ممثلين الجمهورية الفرنسية الأولى والملكية النمساوية. كانت المعاهدة اختتام سلسة انتصارات حملات نابليون في إيطاليا وانهيار التحالف الأول لكل من النمسا وبروسيا وانجلترا. للمزيد حول هذه المعاهدة انظر: البطريق، عبد الحميد، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، ص443 -445؛ الشلق، أحمد زكريا، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة 1516 -1916م، مصر العربية، القاهرة، 2002م، ص145؛ جون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص478.

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.269.

(711) Shaw, Ibid, V,1, p.267.

(٧١٢) الجبرتي، عبد الرحمن ابن حسن (1241هـ/1825م)، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، اختصار وتعليق وفهرسة موضوعية محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف؛ مراجعة وتقديم عبد الستار فتح الله سعيد، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية،1999م. ص24.

آنذاك،[٧١٣]بعد اعتراف بونابرت باستحالة شن هجوم مباشر على البحرية البريطانية، بسبب تفوق الأسطول الأخير على الأسطول الفرنسي،[٧١٤] وإزاء هذا الموقف تذكر وثيقة أن حكومة الباب العالي أرسلت إلى السفير البريطاني بشأن الأخطار التي تكنها فرنسا لبريطانيا وللدولة العثمانية.[٧١٥]

استطاع المهندس الفرنسي "البارون دي توت de Toot" تقديم نظرة شمولية حول الاستحكامات الدفاعية في مصر لحكومة فرنسا، الأمر الذي دفع الجمهوريين إلى إنشاء قاعدة عسكرية لهم في جزيرة كريت ومن ثم الانطلاق صوب مصر.[٧١٦] كما كانت للمشكلات الداخلية في مصر الدافع الذي حفز الفرنسيين للقدوم إليها؛ بسبب الثورات التي افتعلها مراد بك وإبراهيم بك _ الذين عرفوا "بالمحمدية" نسبة إلى سيدهم محمد بك أبو الذهب_،[٧١٧] فوجدوا من هذا الصراع فرصة سانحة للقدوم.[٧١٨]

---

(713) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267.

(714) Barber, noel, Op.Cit,p.124.

(715) BOA, HAT, 1289, 50057, 1213, C, 22.

(٧١٦) كرستوفر، هيرولد، بونابرت في مصر، ص18؛ سرهنك، المير ألاي إسماعيل بن عبدالله (1854 - 1924)، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، ص 646 -647.

(٧١٧) للمزيد انظر:الجبرتي، عبد الرحمن ابن حسن (ت: 1188هـ/1747م)، تاريخ عجائب الآثار في تراجم والأخبار، المعروف، بتاريخ الجبرتي، عدد الأجزاء:3، ضبطه وصححه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ،1997م، ج1، ص ص 547 -553؛ بكر، عبد الوهاب، الدولة العثمانية في مصر، ص112.

(٧١٨) للمزيد من التفاصيل انظر: الشوكاني، محمد بن علي، ذكريات الشوكاني، ص28 -29؛ عمر ،عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975م، ص79 -101.

انطلقت حملة نابليون الشهيرة من ميناء "طولونToulon"[٧١٩]حتى هبط الفرنسيون في مدينة الإسكندرية بمصر يوم (18/ محرم/1213هـ -2/تموز/1798م)، الأمر الذي أدى إلى تغيير دبلوماسي ونفور عام لدى حكومة الباب العالي،[٧٢٠] ومن هذا المنطلق طلبت الحكومة الأخيرة من السفير العثماني في باريس استيضاح نوايا فرنسا من هذه الحملة، وقد أوضح بونابرت ووزير خارجية فرنسا "تاليرانTalleyrand"[٧٢١] أن نوايا فرنسا هي غزو جزيرة صقلية في الظاهر وفي الباطن قدموا لحكومة الباب العالي جرعة من الأكاذيب والوهم.[٧٢٢]

لم يكن لدى مماليك مصر أدنى فكرة عن الحملة الفرنسية وأهدافها، حتى طبيعة المقاومة كانت ضعيفة؛ فالأسلحة التي استخدمها المماليك كانت بسيطة أمام المدافع والبنادق الفرنسية المتطورة، وخلال وقت قصير سيطر الفرنسيون على زمام الأمور في منطقة "الجيزةGiza"بتاريخ (7/صفر/1213هـ -21/تموز/1798م، والقاهرة في 1798/7/25م، حتى استحوذوا على الدلتا.[٧٢٣]

---

(٧١٩) مدينة فرنسية تقع في جنوب فرنسا، على شاطئ البحر الأبيض المتوسط. للمزيد انظر ملحق رقم (11):
Raoulx, Docteur, Le Bagne de Toulon, Editions Les Kiosques,1929, p.17- 18.

(720) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267 ؛ الدارندلى، عزت حسن أفندي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني مخطوطة "ضياء نامه"ص، ص20؛ عمر ،عبد العزيز عمر، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ص95، ص ص 100 -131.

(٧٢١) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1290 -1291.

(٧٢٢) الدارندلى، عزت حسن أفندي، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني مخطوطة " ضياء نامه" ، ص21.

(723) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267 ؛ Herolld, Christopher, Bonaprte In Egypt, London,1962, p.28- 50 ؛Karl, Enver Ziya, Osmanli Tarihi, (V.Cilt)"Nizam- ı Cedid ve Tanzimat Devirleri, S.26- 30, 43- 50.

انتهج نابليون بونابرت سياسة استمالة الشعب المصري، ولهُ خُطبة يطيل بها الحديث، مظهرًا احترامه لقيم الدين الإسلامي، والتقاليد الشعبية في مصر،(٧٢٤) وحريتهم في صوم شهر رمضان وتشجيع جنده على تعظيم مثل هذه الشعائر متخذها سربالاً يستتر بهِ للحصول على بعض المكاسب التي تخدم أهدافه،(٧٢٥) وزاد بونابرت على نفسه كونه لمس أفكار الثورة وقرأ الدين الإسلامي، وصور نفسه انه المهدي الذي يأتي آخر الزمان ليحرر البشر من فتنة الدجال،(٧٢٦) كما حاول بونابرت كسب ثقة السلطان بالإبقاء على النظام الضريبي العثماني في مصر إلا أنه فشل بذلك،(٧٢٧) وتبرير قدومه للاقتصاص من المماليك أعداء السلطان، وتجفيف منابع الشغب في مصر،(٧٢٨) وعلاوة على ذلك أرسل نابليون مجموعة من الرسائل تضمنت حسن نواياه تجاه شريف مكة في ظاهر الأمر، ويخاطب بونابرت في رسالة مؤرخة في (14/ربيع الأول /1213هـ-25/آب/1798م) شريف مكة يقول: "أؤكد لكم عزمي الأكيد أن أحمي بجميع الوسائل رحلات الحجاج إلى مكة، والجوامع والمؤسسات التي تملكها مكة والمدينة في مصر وستظل ملكاً لها كما

---

(٧٢٤) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص650-651؛ الشوكاني، محمد بن علي، ذكريات الشوكاني، ص28-29؛

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267.

(٧٢٥) الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج2، ص249-252، 256.

Palmer, Alan, Op.Cit, p.58- 59.

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267.

(٧٢٦) لورنس، هنري، "بونابرت والإسلام"،" بونابرت والدولة اليهودية" ترجمة: بشير السباعي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1998م، ص24.

(727) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.267.

(٧٢٨) الجبرتي، عجائب الآثار وتراجم الأخبار، ج3، ص4-6؛ نونو، أحمد سعيد، الأكلة حول القصعة" الاستشراق والدولة العثمانية، الروضة الثقافية، القاهرة، ط2، 2001م، ص141-144.

كانت في الماضي. نحن أصدقاء المسلمين، ولدين النبي، نحن نرغب أن نفعل كل ما يسرك وكل ما هو في صالح الدين.(٧٢٩)

يظهر مما سبق أن بونابرت اتخذ عدة وسائل دبلوماسية تجنبه الصراعات القبلية، والمحلية، كما اتخذ من الطابع الديني مدخلاً يقربه من قلوب الناس، ليحقق مكاسبه الخفية.

اتبع السلطان سليم الثالث إزاء هذا الموقف سلسلة من الخطوات، أعرب بها عن غضبه تجاه حكومة الجمهورية الفرنسية تمثلت بما يلي:(٧٣٠)

١. سجن المؤيدين لفرنسا في اسطنبول، ومصادرة ممتلكاتهم التجارية.
٢. السماح للأسطول الروسي بالمرور عبر المضائق كالبوسفور والدردنيل، والقيام بسلسة من المناورات العسكرية المشتركة في "البحر الادرياتيكي Adriyatik Denizi"، كما تمكنت روسيا من تعيين أمراء لها في إمارتي ولاشيا ومولدافيا عام (1218هـ/1803م).
٣. التحالف مع الوالي "علي باشا Janina Ali Paşa" الذي أراد بدوره إزاحة الفرنسيين من الجزر الأيونية مقابل حصوله على الحكم الذاتي في (رجب/1213هـ/ كانون أول/1798م).
٤. إعلان الجهاد على الفرنسيين عام (1213هـ/1798م) واستجاب لدعواه المسلمون من الحجاز، والشام وشمال أفريقيا، وبرز الشيخ محمد الكيلاني الذي دعا أهل الحجاز للنهوض ضد الفرنسيين بأموالهم وأنفسهم،(٧٣١) كما استجاب المهدي الدرناوي الليبي لحركة الجهاد ودعا

---

(٧٢٩) للمزيد حول هذه الوثائق المترجمة راجع: تشيرفيلز، كريستيان، نابليون والإسلام من الوثائق الفرنسية والعربية، تعريب: زين نجاتي، مكتبة الشروق الأهلية، القاهرة، عمان، 2002م، ص39، 40-43.

(730) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.268,278.

(٧٣١) الجبرتي، عجائب الآثار في التراجم والأخبار، ج3، ص44.

مسلمي شرق ليبيا لتلبية النداء،[٧٣٢] كذلك طلب السلطان من أهالي نابلس تقديم الرجال؛ لمساندة الجيش العثماني للتصدي للخطر الفرنسي، وعلى الرغم من فتور الرد من قبل سكان نابلس، ورفضهم تقديم المدد المادي والعسكري، إلا أنهم أسهموا بشكل كبير في قيادة لواء الجهاد ضد الجيش الفرنسي عند محاصرتهم لعكا.[٧٣٣]

وعلى الرغم من ذلك تعرض الأسطول الفرنسي في ليلة (19/ صفر1213هـ/ بين اليوم الأول والثاني من شهر آب/1798م) لهزيمة ساحقة في معركة النيل "معركة أبي قير البحريةBattle of Aboukir Bay"[٧٣٤] بالتركية"Abu Kir"[٧٣٥]على أيدي الأميرال البريطاني "هوراشيو نيلسونHoratio Nelson"،[٧٣٦] وبهذا وجد جيش نابليون نفسه معزولاً عن وطنه، ولكي يعوض نابليون ما فقده، عزم على اجتياح بلاد الشام، وضرب الحصار على عكا إلا انهُ فشل بسبب شدة المقاومة التي لقيها من "والي عكا Akkâ أحمد باشا الجزارAhmet Paşa Cezzar" ومجموعة من السفن العثمانية والبريطانية.[٧٣٧]وتذكر وثيقة أيضاً كتبها الرائد "عمر أغا ?mer"

---

(٧٣٢) حسنين، إبراهيم، سلاطين الدولة العثمانية، ص393؛ الهاشمي، عبد المنعم عبد الراضي، الخلافة العثمانية، ص413؛ الشناوي، عبد العزيز محمد، الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 2010م، ص938.

(٧٣٣) لطفي، أحمد، تاريخ لطفي، عدد الأجزاء2، مطبعة عامرة، اسطنبول، تركيا، 1870م، ج2، ص210، 26-27؛كواترت، دونالد، الدولة العثمانية، ص200-201.

(٧٣٤) بلدة في مصر على البحر الأبيض المتوسط ، تبعد عن الإسكندرية مسافة 23 كم شمال الشرق" - ، تتسمى أيضا " معركة النيل " Battle of the Nile، معركة قامت بقيادة الأميرال فرانسوا - بول برويس دايجالير François-Paul Brueys d'Aigalliers والأسطول الانجليزي بقيادة الأميرال هوراتي ونيلسون Horatio Nelson، انتهت المعركة بتدمير الأسطول الفرنساوي ووضع نهاية خطة نابليون بونابرت للاستحواذ على الشرق.

(735) BOA, TS.MA.e, 428, 67, 1214, L, 04.

(٧٣٦) ولد في (29/أيلول/1758م-21/ تشرين أول/1805م)كان نائب أدميرال إنجليزي. اشتهر بمشاركته بمعركة النيل ومعركة الطرف الأغر، يعد أحد أبرز القادة العسكريين في تاريخ المعارك. للمزيد انظر: وِل ديورَانت، ويليام ، قصة الحضارة، ملحق نابليون بونابرت، ص1325-1326.

(٧٣٧) سرهنك، المير ألاي إسماعيل، حقائق الأخبار عن دول البحار، ج1، ص 650-651؛

Ağa'danحول هروب كليبر من "عكاAkkâ'dan" ومن معه من الجنود إلى الإسكندرية عبر سفينة مجردة.(٧٣٨)

أرسل السلطان سليم الثالث فرقة من جنود النظام الجديد عام (16/ذي الحجة/1213- 21/أيار/1799م) والغريب هنا أن هؤلاء الجند الذين تدربوا على يد ضباط فرنسيين باتوا خصم يقارع الجيش الفرنسي ذاته،(٧٣٩) بل أحرزوا انتصارات أثناء الانسحاب الفرنسي عن عكا ومصر.(٧٤٠)

عاد نابليون بونابرت إلى فرنسا وترك مهمة الجلاء لقائده كليبرKléber(٧٤١) فأبرم الأخير اتفاقية الجلاء في منطقة "العريش Al- Ariş"عام (27/شعبان/1214هـ -24/كانون ثاني/1800م)، وتذكر وثيقة أن كليبر تردد بشأن المصالحة والخروج من مصر،(٧٤٢) إلا أن الظروف تبدلت بعد اغتيال كليبر على يد سليمان الحلبي.(٧٤٣)

تسلم زمام الأمور "مينوJacques François Menou" الذي قام بقتل الحلبي، والسيطرة على صعيد مصر، والتباطؤ بالجلاء، الأمر الذي دفع إنجلترا إلى إرسال أسطولٍ جديدٍ إلي أبي

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.268.

(738) BOA, HAT, 1333, 52009, 1215, Z, 29.

(739) Pascal W, Firges, Op.Cit, p.187.

(740) Shaw Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.268.

(٧٤١) جنرال فرنسي برز أثناء الحروب الثورية الفرنسية، ولد في (9/أيار/1753/ وقتل في 2/صفر/1216هـ/14/حزيران/1800م). Shaw, Ibid, V,1, p.269.

(742) Shaw, Ibid, V,1, p.268.

(٧٤٣) ولد في حلب سنة (1191هـ / 1777م - 1216هـ / 1801م) ارتحل إلى مصر لطلب العلم في الأزهر الشريف، ، تتكر سليمان الحلبي في هيئة شحاذ ودخل عليه في حديقة قصره يوم (2/صفر1216هـ- 14/حزيران/1800م) وقتل كليبر بعد شده بعنف وطعنه أربعة طعنات متوالية أردته قتيلاً. الجبرتي، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، ص220؛لورنس،هنري، الحملة الفرنسية في مصر – بونابرت والإسلام، ترجمة: بشير السباعي، دار سينا للنشر، 1995م، ص502.

قير في (رمضان/1215هـ- شباط/1801م) بقيادة "رالف أبركرمبي Ralph Abercromby"،[٧٤٤] وذكرت ثلاثة وثائق مؤرخة على التوالي تشير إلى موقف السلطان سليم من تعنت جلاء الفرنسيين، تناولت الأولى أوامر السلطان "ليوسف ضياء باشا Yusuf Ziya Paşa" بطرد الفرنسيين من مصر نهائياً،[٧٤٥]وفي الثانية بعث السلطان برسالة همايونية إلى يوسف باشا لإخراج الفرنسيين دون حرب،[٧٤٦] ثم الأخيرة أرسل السلطان الأموال إلى يوسف باشا لمحاربتهم،[٧٤٧] فكان لهذا الأمر أن التقى الجيشان في ضواحي الإسكندرية انتهت بانتصار الإنجليز، فارتد الفرنسيون إلي الإسكندرية وتحصنوا بها، إلا أن القوات الفرنسية أعلنت الاستسلام والخروج من مصر وفقاً لمعاهدة العريش في(10/جمادى الأولى/1216هـ -18/أيلول/1801م)، بعد أن قضت ثلاث سنوات وشهرين وثمانية عشر يوماً في مصر.[٧٤٨]

كانت لهذه الحملة الموقف السلبي تجاه الدولة العثمانية، الأمر الذي أدى إلى فتور العلاقات العثمانية الفرنسية من جهة، وتأخر البرنامج الإصلاحي من جهة أخرى؛ لانشغال السلطان بهذه الحملة التي تمخض عنها أيضاً العديد من النتائج بمختلف المجالات.

انتهت الحملة الفرنسية وتم توقيع صلح "أميان Amien"[٧٤٩] في (26/ ذي القعدة/1216م -25/آذار/1802م)،[٧٥٠] إذ أنهت مؤقتًا العداء بين الجمهورية الفرنسية وانجلترا الملكية خلال الحروب الثورية الفرنسية كمعاهدة سلام نهائية، استمرت المعاهدة لعام واحد فقط،

---

(744) Miller, William, Op.Cit, p.53.

(745) BOA, TS.MA.e, 428, 33,1213, Z, 29.

(746) BOA, TS.MA.e, 428, 26,1214, Z, 29.

(747) BOA, TS.MA.e, 428, 27,1214, Ca, 29.

(748) Miller, Op.Cit, p.53.

(٧٤٩) مدينة فرنسية تقع في شمال فرنسا بالقرب من نهر السوم.

(٧٥٠) فريد، محمد بك، تاريخ الدولة العثمانية، ص380؛ الشوكاني، محمد بن علي، ذكريات الشوكاني، ص35 -36.

وهو العام الوحيد الذي سادته حالة السلام لكلا الطرفين،(٧٥١)في حين انتهز السلطان سليم الثالث فرصة الهدوء لاستئناف برنامجه الإصلاحي في ظل السلام الوهمي.(٧٥٢) وقد نال السلطان لقب "الغازي"(٧٥٣) بعد التصديق النهائي على جلاء القوات الفرنسية عن مصر،(٧٥٤) ودخول القوات العثمانية لها.(٧٥٥)

- **التحالف الروسي الانجليزي ضد الدولة العثمانية في بداية القرن التاسع عشر.**

كانت أبرز السمات الدبلوماسية العثمانية خلال الفترة التي أعقبت صلح أميان، انعكاساً للتحالفات الدولية التي أعقبت غزو نابليون لمصر،(٧٥٦) فها هي فرنسا تستأنف حربها مع انجلترا في (محرم/1218هـ - أيار/1803م) وبناء التحالف الثالث بين روسيا والنمسا من جديد.(٧٥٧)

و برز موقف سياسي اشغل دول أوروبا عامةً والدولة العثمانية بشكل خاص، تمثل هذا الموقف بإعلان بونابرت نفسه إمبراطور، الأمر الذي أرق السلطان سليم الثالث وأعلن رفضه لذلك وتحت الضغط النمساوي والبريطاني والروسي، أعلن السلطان الرفض القاطع، مما دفع بونابرت

---

(751) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.270 ؛ Schneid, Frederick C, Napoleon's Conquest of Europe: the War of the Third Coalition. Westport, CT: Greenwood Publishing Group, 2005, p. 32- 37.

(752) Shaw, Ibid, V,1, p.268.

الجبرتي، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، ص270 -280.

(٧٥٣) احد الألقاب الإسلامية التي اتخذها أهل السنة تعبيراً عن جهود القادة والملوك الذين حققوا انتصارات على أعدائهم في سبيل الله. الباشا، حسن، الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع القاهرة، ١٩٨٩م، ص411.

(754) BOA, TS.MA.e, 229, 40, 1216,L, 08.

(٧٥٥) گوندز، أحمد آق، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، ص365.

(756) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.183.

(757) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.271.

إلى قطع العلاقات الفرنسية العثمانية بتاريخ (29/شعبان/1220هـ - 22/تشرين ثاني/1805م) مما دفع السلطان لقبول التحالف الجديد مع روسيا.(٧٥٨)

يظهر مما سبق أن روسيا لطالما طمحت إلى كسب ود السلطان؛ للحصول على مكاسب إستراتيجية تفضي بها نحو الوصول إلى ذاك الحلم الموسوم "بالطريق نحو بيزنطة"، فها هي روسيا تحصل على تأشيرة المرور عبر مضائق الدولة العثمانية، وتحصل على مكاسب جديدة في البانيا كما سبق ذكره. وتذكر وثيقة أن روسيا أرسلت قوات بحرية من البحر الأسود حتى البحر المتوسط لمواجهة الأطماع الفرنسية هناك، إلا أن الأخيرة حاولت فصل عرى التحالف العثماني الروسي للحيلولة من خطر التحالف المحدق بها.(٧٥٩)

وتذكر وثيقة أخرى أن بونابرت أرسل رسالة إلى السلطان سنة (1220هـ/1805م) خاطبه بها كصديق وليس كحاكم جاءت على النحو التالي: "من نابليون إلى السلطان سليم خطاب نتيجة التعاون العثماني مع روسيا، كيف تسمح للإمبراطورية العثمانية بالتوقف عن سيطرتها على البحر الأسود، فالروس هم الأعداء الحقيقيون لأنهم يرغبون في السيطرة على البحر الأسود، والوصول إلى القسطنطينية وهم أيضا على الديانة المسيحية الأرثوذكسية، وكانت فرنسا الحليف الوحيد والقديم لكم، هل أنت أعمى في إبداء مصالحك الشخصية عن مصلحة فرنسا"،(٧٦٠) كذلك أوضحت الرسالة قالباً من التهديد، حول استعادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا وإلا سيواجه غضب نابليون.(٧٦١)

---

(758) Shaw, Ibid, V,1, p.271.

(759) BOA, HAT, 31, 1448 F ,1220, C, 19.

(760) BOA, TS.MA.e, 201, 25,1220, S, 19.

(761) BOA, TS.MA.e, 201, 25,1220, S, 19؛ Palmer, Alan, Op.Cit, p.64.

رغم التحالفات الدولية التي وجهت ضد بونابرت،إلا أنهُ استطاع هزيمة التحالف النمساوي والروسي، ووجد السلطان جراء ذلك فرصة الخروج من التحالف الروسي والعمل على عودة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا،[٧٦٢] فأعلن السلطان اعترافه بنابليون كإمبراطور في (ذي الحجة /1220هـ - شباط/1806م).[٧٦٣]

يظهر مما سبق أن السلطان سليم كان بداخله شيء يجعله يميل إلى الجانب الفرنسي، وسرعة الوثوق بهم، وتذكر وثيقة أن نابليون بونابرت كان سعيداً جداً بشأن عودة العلاقات مع حكومة الباب العالي، وقد أرسل بونابرت ثلاثة أرانب كهدية استثنائية إلى السلطان تعبيراً عن حسن النوايا.[٧٦٤]

كان لهذه السياسة التي تعرض لها السلطان في مطلع القرن التاسع عشر وبالٌ على برنامجه الإصلاحي، فالمشاكل المتلاحقة في ولايات الدولة، صرفت جُل اهتمام السلطان عن إصلاحات الترتيب الجديد.

أعربت روسيا عن غضبها تجاه السلطان وأظهرت ما تبطنه،فشنت حربا برية على الدولة العثمانية من جديد لاحتلال ولايتي الأفلاق والبغدان (رومانيا حاليا)،[٧٦٥]في حين عسكرت السفن الإنكليزية أمام الدردنيل،وأرسلوا لائحة في (10/ رجب/1221هـ - 22/أيلول/1806م) مفادها فك الحلف مع فرنسا، وإجلاء الضباط الفرنسيين والاتحاد مع إنكلترا، والسماح للسفن الحربية الروسية

---

(762) Karl, Enver Ziya, Selim III.'ün Hatt- i Hümayunlari, Nizam- I Cedit, S.181.

(763) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.272 ؛ Palmer, Alan, Op.Cit, p.65- 66p.

(764) BOA, HAT, 142, 5881, 1221,B, 05.

(765) Shaw, Ibid, V,1, p.272 ؛

لطفي، أحمد، تاريخ لطفي، ج2، ص298 -299.

من العبور عبر المضائق؛ لدفع الفرنسيين[٧٦٦] ومنح الولايتين الرومانيتين لروسيا، وتسليم السفن العثمانية، بالإضافة إلى إعلان الحرب على فرنسا، وإلا فإن الأستانة ستتلقى نيران البحرية الإنكليزية.[٧٦٧]

في بداية الأمر استسلم السلطان لهذه المطالب، إلا انهُ استدعى بونابرت في(2/ شعبان/1221هـ - 14/تشرين أول/1806م)؛ ليحصل على بعض المساعدة، الأمر الذي دفع الروس إلى غزو الإمارات العثمانية في منطقة مولدافياMoldova، وولاشيا Wallachia وبيسارابيا Besarabya، وقد تظاهروا أنهم جاءوا فقط لحماية صديقهم السلطان من بونابرت، في حين تواطؤا مع بريطانيا على دخول الحرب بحكم التحالف المشترك.[٧٦٨]

اجتاز الأسطول الانجليزي البحر المتوسط وعبر الدردنيل ودمر جُلَّ السفن العثمانية الراسية هناك_كون العثمانيين لم ينهوا تحصيناتهم العسكرية بعد_، وعادت البحرية الإنكليزية للانتظار مجددا ليتم تنفيذ طلباتها.[٧٦٩]

تشاور رجال الدولة العثمانية ورأوا الإذعان لطلبات الإنكليز، فأرسلوا مندوبا إلى الجنرال "سبستياني الفرنسيHorace Sebastiani"[٧٧٠] يطلب منه مغادرة الربوع العثمانية ومن معه من

---

(766)Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.272.

(767)Shaw, Ibid, V,1, p.272.

(768)Shaw, Ibid, V,1, p.272.

(769)Shaw, Ibid, V,1, p.273.

(٧٧٠) جنرال دبلوماسي وسياسي فرنسي، ولد في (22/شعبان/1186هـ -17/ تشرين ثاني/1772م) وتوفي في باريس في(22/ رمضان/1267هـ - 20/تموز/1851م) حضي بمكانة كبيرة لدى السلطان، وكان سبستياني الشخص الوحيد من غير المسلمين الذي حمل السيف في حضرة السلطان.چون باتريك، القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ص48؛

Palmer, Alan, Op.Cit, p.65- 66.

الضباط الفرنسيين،[٧٧١] لكن سبستياني أصر على مقابلة الخليفة بنفسه، فأخبر السلطان سليم أن نابليون سيرسل جيوشه المعسكرة على سواحل إيطاليا إلى الأستانة لدعم الموقف من خلال تحصين الدردنيل، وتهديد المصالح التجارية للانجليز في الولايات العثمانية،[٧٧٢] وأخبر السلطان بأن فرنسا هي السلطة الأكثر قوة وثقة، وعدم دعم أي متمرد أو متغطرس في ولايات البلقان وسوريا ومصر.[٧٧٣]

أعجبت مقترحات سبستياني السلطان سليم وغرس لديه شعور من الثقة، فتظاهر الأخير بالانصياع لمطالب التحالف الروسي، وعمل بالخفاء مع حكومة سبستياني الفرنسية على أمل إنقاذ الموقف،[٧٧٤] قدم سبستياني مخططا لتحصين الأستانة بالسرعة القصوى، وشكلوا فرقة من (200) عسكري فرنسي لمحاربة الإنكليز وقت الحاجة، ودأب الناس على العمل على التحصينات حتى أنهوها في بضعة أيام، وقد شارك الشيوخ والأطفال والنساء في هذا العمل الذي كان يصل الليل بالنهار، وعملت السفن المتبقية على سد مداخل البوسفور لتأخير الإنكليز، وكان السلطان سليم يشرف بنفسه على سير المشروع.[٧٧٥] وعندما أنهى الجميع الاستحكامات الدفاعية شطر المضائق، أعلن السلطان تحالفه مع فرنسا، وتم مقاومة الأسطول الإنكليزي بضراوة حتى تم إجلائهم عن مصر بمساعدة محمد علي باشا ومن معه من مؤيديه في(15/ رجب/1222هـ -

(٧٧١) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1442.

(772) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.273.

(773) Palmer, Ibid, p.65.

(٧٧٤) راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1442.

(775) Shaw, Ibid, V,1, p.273.

للمزيد انظر: الحمصي، نهدي صبحي، محمد علي والدولة العثمانية 1811-1827م، دار الرشاد الإسلامية، بيروت، 1995م.

17/أيلول/1807م).(٧٧٦) ولكي يتجنب السلطان هذا الخطر تذكر وثيقة بعد جلاء الأسطول الإنجليزي عن العاصمة، أصدر السلطان فرمان إلى"القبودان ديريا علي باشا Kapdan-ı" "Derya Ali Paşa'nın بشأن تحصين البسفور، وجلب المتطوعين المؤهلين للخدمة العسكرية فيه.(٧٧٧) كما أصدر فرمان إلى الوالي "يوسف ضياء باشا Yusuf Ziya Paşa" بشأن تحصين قلاع "طرابزون Trabzon"، وقلاع "أرض روم Erzurum" وذلك؛ لمجابهة أي خطر محدق بهم براً وبحراً.(٧٧٨) كذلك طلب السلطان من الأخير جمع الأموال والسلع المختلسة من المعادن التحف، وإرسالها إلى خزينة الدولة.(٧٧٩)

بينما في الطرف الآخر من الحلف لعبت روسيا القيصرية سياسة دبلوماسية مفادها التدخل المباشر في شؤون صربيا الداخلية سنة (1222هـ/1807م) فقد وصل أول وكيل رسمي للقيصر إلى بلغراد، وضمها تحت حمايته وفق المصلحة، وعندما اندلعت الحرب العثمانية الروسية من جديد، تخلت روسيا عن صربيا وأصبحت أملاك الدولة العثمانية نقطة نزاع بين النمسا وروسيا.(٧٨٠)حاول السلطان استرضاء الروس في نهاية المطاف، إلا أن هذه الخطوة أتت متأخرة، وعرقلت سير الأمور وأذنت بتكالب المشاكل على السلطان.(٧٨١)

ثالثا: انتصار الإنكشارية ورجال الدين ونهاية حكم السلطان سليم الثالث ومقتله.

(776) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.273 ؛ Shaw, Stanford J, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: V.2, 1976, p.10.
(777) BOA, TS.MA.e, 283, 13, 1222,Ra, 02.
(778) Shaw, Ibid, V.1, p148.
(779) BOA, TS.MA.e, 298, 16, 1221, L, 20.
(780) Miller, William, Op.Cit, p.53.
(781) Palmer, Alan, Op.Cit, p.66.

وبينما كان "مصطفى باشا البيرقدار Mustafa Paşa el-Bayrakdar"[٧٨٢] يقود جيشاً شمالاً صوب نهر الدانوب، أقدم السلطان سليم على مرحلة من الإصلاحات العسكرية، وأمر الجند الجديد بارتداء الزي الرسمي على الطريقة الفرنسية، وهي عبارة عن سراويل حمراء ضيقة، شكلت حرج كبير لمرتديها، وفكاهةً للناظرين إليها من الإنكشارية والمحافظين، حتى وصفوا الجند الجيد بالكفرة لتقليدهم الغرب.[٧٨٣]

تكاتف جنود الانكشارية والمحافظون، واتخذوا لهم قائداً يدعى "قباقجي أوغلى Kabakgi bğlu" الذي أخذ في الاستعداد لدخول الأستانة، وبالفعل حدث ذلك في يوم (19/ ربيع الأول / 1203هـ -1807/5/27م)، وقيل في (5/25) من ذاك العام،[٧٨٤] وعلى أية حال دخل" قباقجى مصطفىKabakçi Mustafa"[٧٨٥] و(800) من مسانديه الانكشارية ونحو(200) من البحرية، وصلوا جميعا إلى مكان يسمى "آت ميدانAtMeydanı" أي ميدان الخيل، أو"ميدان السلطان أحمد Sultanahmet Meydanı"،[٧٨٦]وصفوا أمامهم قدور الانكشارية إعلانا على العصيان ورفض طعام السلطان"، وتم قراءة أسماء الوزراء وكل المؤيدين من الراديكاليين لمعاقبتهم وقطع رؤوسهم ووضعها في القدور.[٧٨٧]

---

(٧٨٢) كان البيرقدار من مؤيدي السلطان سليم الثالث، واحد قادة الجيش الموثوق بهم. انظر :

Barber, noel, Op.Cit, p.125

Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.100.

(783) Palmer, Alan, Op.Cit, p.70.

(٧٨٤) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص657.

(785) Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.273 ؛ بدري، مصطفى، الرؤية السياسية من خلال رسالتي محمد بيرم الخامس: ملاحظات سياسية عن التنظيمات اللازمة للدولة العلية، مصطفى فاضل باشا من أمير إلى سلطان، الدار التونسية للنشر، 1993، ص36.

(786) El-Leithy,Tamer, Op.Cit, p.7.

(٧٨٧)سليمان، صابرين، السلطان العثماني سليم الثالث الغازي (1789 – 1807)، تم الاطلاع في 11/11/2017الساعة: 03 05:pm على الرابط: http://www.shatharat.net/vb/showthread.php

حصل الإنكشارية على الدعم الروحي والديني من قبل " ولي الله حاجي بكتاش Haci Bektaci Vale" الذي بارك فرقتهم حين أنشائها ودعا لهم بالنصر الدائم، ونظر الإنكشارية إلى دعوة هذا الولي كفيلة عن أي تعليم عسكري غربي.[٧٨٨]

ثم تابعت الثورة مسيرتها وطالبوا بتنحي السلطان نفسه، فأرسلوا نوابا إلى شيخ الإسلام محمد عطا لله أفندي"Şeyhülislam Mehmet Ataullah Efendi"[٧٨٩] في ذلك الوقت يسألونه" ما العقوبة التي يستحقها من أنشأ القوة العسكرية الجديدة.؟" فأجاب المفتي الانكشارية عقابه "الموت"[٧٩٠] مستنداً في فتواه" بأن كل سلطان يدخل نظامات الإفرنج وعوائدهم ويجبر الرعية على إتباعها لا يكون صالحاً للملك"[٧٩١] كما خاطبوا السلطان وشجبوا صنيعه بقولهم:" يا أيها السلطان المغشوش بهذه التعاليم، أنسيت انك أمير المؤمنين، وعوضاً عن اتكالك على الله القادر العظيم، الذي يبدد بقدرته الجيوش الكثيرة، أردت أن تشبه الإسلام بالكفار".[٧٩٢] وردد الكثير من المحافظين شعار "أكون روسيًا ظالماً ولا أكون من النظام الجديد".[٧٩٣] وتذكر وثيقة مجهولة المصدر، إلا أنها تضمنت كتابات حول إنشاء السلطان سليم الثالث النظم العسكرية الجديدة ضد الجيش الانكشاري،

---

(٧٨٨) نجم، زين العابدين شمس الدين، تاريخ الدولة العثمانية، ص304.

(٧٨٩) هو المولى محمد عطاالله بن محمد بن شريف أبو إسحاق، عاش عطاالله خلال الفترة (1226-1173هـ/1760-1811م) وتقلد مشيخة الإسلام على مرحلتين الأولى في 1221-1222هـ 1806-1807م) والثانية في (1222-1223هـ/ 1807-1808م). للمزيد انظر: شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني 828-1341هـ/1425-1922م، م1، ص 157-152؛

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.274

(790)Barber, noel, Op.Cit, p.125.

(٧٩١) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج8، ص259؛

Shawj, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.274.

(٧٩٢) سرهنك، المير ألاي، تاريخ الدولة العثمانية، ص260.

(٧٩٣) گوندز، أحمد آق، الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، ص375.

وتحث هذه الرسالة على تنازل السلطان عن العرش.(٧٩٤) ولما بلغ الأمر للسلطان وتكالب المحافظين عليه، أمر على الفور بإلغاء النظام الجديد،(٧٩٥) وصرف العساكر النظامية،(٧٩٦) لكن الثائرين لم يكتفوا بذلك بل قرروا عزل السلطان؛(٧٩٧) خوفاً من أن يعود لتنفيذ مشروعه مرة أخرى،(٧٩٨) واستمرت تلك الثورة لمدة يومين، وبعد ذلك قرر السلطان سليم الثالث التنازل عن الحكم في(20/جمادى الأولى/1222هـ/28/أيار/1807م)،(٧٩٩) وكانت مدة حكمه(19)عام وعمره (48) سنه،(٨٠٠) وقد رافق ذلك تنصيب السلطان مصطفى الرابع IV.Mustafa'nın(٨٠١) الذي أصبح العوبة بيد الانكشارية في ما بعد.(٨٠٢)

- **مقتل السلطان سليم الثالث**

---

(794) BOA, C..AS.., 1139, 50601, 1222, R, 11.

(795) BOA, C..AS.., 819, 34844, 1223, Za, 09 ؛ BOA, HAT, 339, 19418, 1222, Z, 29.

(٧٩٦) جودت، أحمد، تاريخ جودت، ج8، ص259؛

Shaw, Stanford j, history of the ottoman empire and modern turkey, V,1, p.274.

(٧٩٧) راسم، أحمد، عثماني تاريخي، م3، ص1463-1464.

(798) Shaw, Ibid, V,1, p.274.

(799) Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.33.

(٨٠٠) سليمان، صابرين، السلطان العثماني سليم الثالث الغازي (1789 – 1807)، تم الاطلاع في 11/11/2017الساعة: 03 05:pm على الرابط: http://www.shatharat.net/vb/showthread.php انظر: Barber, noel, Op.Cit, p.125.

(٨٠١) هو ابن السلطان عبد الحميد الأول ولد في (8/أيلول/1779م)كان سلطاناً الإمبراطورية العثمانية بين(1222-1223هـ/1807-1808م) للمزيد انظر: BOA, TS.MA.e, 447, 22, 1222, Ra, 13؛ راسم، أحمد، عثمانلي تاريخي، م3، ص1490-1491؛ أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص662.

Salzmann, Ariel, Op.Cit, p.186.

(802) Miller, William, Op.Cit, p.53.

تذكر بعض الروايات أن السلطان لما اشتد به البلاء، حاول الانتحار عن طريق اخذ السم، وفي الوقت المناسب حطم السلطان مصطفى الرابع الكأس، فاستسلم السلطان للأمر الواقع ونزل القفص كئيباً حزيناً.(٨٠٣)

وفي عام (4/ جمادى الآخرة /1223هـ - 28/ تموز / 1808م) انطلق جيش "البيرقدار Bayrakda" البالغ (40) ألف جندي من "Adrianople" إلى"إسطنبول İstanbul"؛ لإعادة سليم الثالث للحكم، والقصاص من الثائرين، وبالفعل نجح باختراق الأستانة، ومعاقبة رؤوس الثورة، ولم يجاهر البيرقدار بما تكن لهُ نفسه في إعادة السلطان سليم للحكم،(٨٠٤) وتظاهر باستعداده للرحيل إلى بلاده روستجقRustchuk_مدينة في بلغاريا_ بعدما تم له ما كان قد أعلنه.(٨٠٥)

عندما استمر جند البيرقدار بالتقدم، تأمل السلطان "مصطفى الرابعIV.Mustafa'nın" وقال:" لا أنيس ولا نصير حتى لا بندقية ولا بلطة ماذا افعل يا أماه"، فأجابته "إي بني أصغ إلي جيداً تعرف لماذا فعل هذا الارناؤوطي بك، وفرض حصاراً على سراياك، انه يريد إعادة سليم الثالث إلى سدة العرش ليصبح هو الصدر الأعظم، وليس هناك من وسيلة تعيدك إلى العرش سوى قتل سليم فرفع السلطان مصطفى يد أمه وقبلها ووضعها على رأسه.(٨٠٦)

يظهر مما سبق أن والدة السلطان مصطفى الرابعIV.Mustafa'nın عملت على حياكة هذه المؤامرة، ودبرت مفتاح اللغز الذي أرَّق ابنها، وخاصة أنه كان مسلوب الإرادة معزول السلاح فتجاسر الأخير وأصدر ما يلي.

---

(803) Barber, noel, Op.Cit, p.125.

(804) Shaw, Stanford J, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: V.2, 1976, p.1؛ Phillion, Christine M, Op.Cit, P.86- 88.

(٨٠٥) أوزتونا، يلماز، تاريخ الدولة العثمانية، ج1، ص662 -663.

(806) Shaw, Stanford, Between old and new, p.388.

قام الأمير مصطفى الرابع IV.Mustafa'nın باتخاذ موقف معاد ضد السلطان سليم الثالث واستغلال تلك الأسباب السابقة في تأليب الرأي العام ضد الأخير.(٨٠٧) ثم أمر السلطان "مصطفى بإعدام المخلوع سليم الثالث وأخيه "محمود الثانيMahmud II"(٨٠٨)، بفتوى غير رسمية من قبل شيخ الإسلام "عرب زاده محمد عارف أفندي Arap Zadeh Mehmet Aref" Efendi(٨٠٩) ظاناً أن هذا سيجعل حياته في آمان،(٨١٠) وحصل أيضاً على الدعم من قبل الصدر الأعظم إبراهيم معلمي باشاİbrahim paşa، فقُتِلَ السلطان سليم الثالث وألقيت جثته أمام المنشقين،(٨١١) في حين هرب محمود الثاني،(٨١٢) فاشتط البيرقدار لصنيع مصطفى الرابع،وعزم على الإطاحة به وإحلال محمود الثاني،(٨١٣) الذي نجا من الإعدام بفضل امرأة جورجية كانت

(٨٠٧) گوندز، أحمد آق، سعيد اوزتورك، الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، ص377.

(٨٠٨) ولد السلطان في (20/تموز/ 1199هـ - 2/أيلول/1784م) هو ابن السلطان عبد الحميد الأول اعتلى العرش عام1223هـ/1808م شهد عصره خطوات إصلاح واسعة، وحاول أن ينهض بالدولة العثمانية من خلال استئناف ما بدأه السلطان سليم الثالث، لدفع عجلة الإصلاح إلى ما تستحقه من مكانة. الرويلي، ليلى دامس، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته 1808 -1839م، ص28؛

Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.66.

(٨٠٩) ولد عرب زادة في اسطنبول في ذي القعدة سنة (1151هـ/شباط 1739م)، عين عارف أفندي في مشيخة الإسلام سنة 27/ جمادى الأولى/ 1223هـ - 21/ تموز/1808م) وتوفي في (أواخر شهر شوال/1240هـ -أوائل حزيران/1826م). للمزيد انظر: شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني 1341-828هـ/1425 -1922م،م1، ص159 -161؛ عامر، محمود، تاريخ الدولة العثمانية، ص143.

(٨١٠)عاصم، أفندي، عاصم تاريخي، ج1، ص326.

(811) BOA, TS.MA.e, 298, 18, 1221, Ra, 10.

(٨١٢) غربال، محمد شفيق، الموسوعة العربية الميسرة، عدد المجلدات2، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، دار الجليل، 1416هـ/1995م، م1، ص1101.

(813) Shaw, Stanford J, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: V.2, p.1 Frederick C. Schneid, The Projection and Limitations of Imperial Powers 1618–1850, p.159 ؛ Shaw, Stanford, Between old and new, p.399.

تعمل في الحرم السلطاني تدعى "Jevri Kalfa"، أعاقت تقدم الجند بالحمم الحمراء، فكان لصنيعها أن أعطت بعض الوقت لمحمود الثاني للاختباء في احد الأفران المهجورة.(٨١٤)

حزن البيرقدار على مقتل السلطان سليم الثالث، ويذكر "hoel" عن بكاء البيرقدار بأنه بكى كبكاء النساء، وطلب منه رفيقهُ "رامز باشاRamiz paşa" بالكف عن البكاء والعمل على القصاص من القتلة، وفعلاً تم إعدام مصطفى الرابع ومن معه في ذات العام بعد حكم دام ثلاثة عشر شهراً.(٨١٥) وتم تنصيب السلطان محمود الثاني(1223-1255هـ/1808-1839م)(٨١٦) صاحب الإصلاحات الشهيرة والوقعة الخيرية التي قضت على جنود الإنكشارية عام (1242هـ/1826م).(٨١٧)

(814) Barber, noel, Op.Cit, p.127؛ Vucinich, wayne s, Op.Cit, p.100؛ Davis, Claire, The Palace of Topkapi in Istanbul, New York,1970, pp. 214–217؛Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.66.

(815) Barber, noel, Ibid, p.127؛ Edib, Halide Adivar, Op.Cit, S.66 ؛ Miller, William, Op.Cit, p.53 ؛

الشلبي الطرابلسي، عبد القادر توفيق، (ت:1369هـ/1950م)، الدرر الحسان في فضائل سلاطين آل عثمان، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 2009م، ص143.

(816) Kemal H. Karpat, The Ottoman State and Its Place in World History: Introduction Armenian Research Center collection Social Economic and Political Studies of the Middle East, BRILL, 1974, p.92-93.

(٨١٧) الرويلي، ليلى دامس، إصلاحات السلطان محمود الثاني 1808-1839م، ص70-74.

Emrence, cem, Op.Cit, p.102.

الخاتمـــــــة:

كان لسلسلة الإصلاحات التي قام بها سلاطين بني عثمان في تاريخ الدولة العثمانية، الدور البارز في إنعاش حيوية الدولة وديمومتها على فترات متقطعة، حتى كسبت الإمبراطورية في القرن التاسع عشر، أهمية حاسمة في تاريخ الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، فسلسلة الإصلاحات التي انتهجها السلطان سليم الثالث، رسمت النهج الذي سار عليه سلاطين القرن التاسع عشر للإصلاح وفق النموذج الغربي، وعُدَّ هذا النموذج القاعدة الأساسية التي سار عليها السلطان محمود الثاني في ما بعد.

ومن هذا المنطلق توصلت الدراسة إلى النتائج الآتية:

- ترك السلطان سليم الثالث دولة بدت تتقبل فكرة الإصلاح وفق النموذج الغربي لخليفته السلطان محمود الثاني.
- تحديد سبب فشل حركة الإصلاح والتي نسبت إلى الانكشارية وهذا ما لمسه السلطان محمود الثاني.
- السهولة المطلقة التي أطيح بها السلطان سليم وبرنامجه الإصلاحي، توحي بأنه يفتقر إلى الدعم العميق من قبل مؤيديه.
- كانت فكرة الإصلاحات التي قام بها السلطان سليم الثالث قد فتحت قنوات التواصل مع أوروبا، وزاد من التدخل الأوروبي في الدولة العثمانية حتى غدت المسألة الشرقية نظرية طبقت على أرض الواقع.
- كان لتقارير السفراء والموفدين إلى الدول الأجنبية دوراً في تقديم صورة شمولية حول طبيعة الحياة في أوروبا.

- كان المعاهدات العسكرية التي وقعتها الدولة العثمانية مع روسيا والنمسا، من أكبر الخسائر التي منيت بها الدولة في تاريخها السياسي والعسكري.
- كانت حركة الإصلاح التي قام بها السلطان سليم الثالث ابعد من الخطوات التي انتهجها أسلافه من السلاطين.
- يمكن أن نصطلح على الترتيب الجديد على أنه كل تحديث قام به السلطان سليم تجاه الدولة في شتى المجالات، بينما النظام الجديد يبدو أنه ارتكز على جانب الإصلاح العسكري الجديد وفق النموذج الغربي.
- نجح السلطان إلى حدٍ ما في اختيار مستشاريه، لكنه فشل في إعداد شخصيته نوعاً ما كسلطان قادر على تحمل الصعاب ومواجهة المواقف الحرجة.
- نجح السلطان في تطبيق مبدأ الشورى، لكنه فشل في إشراك الجميع في مبدأ الاختيار، فجُل الذين حضروا من الطبقة المؤيدة للإصلاح، لكن أين البقية المعارضة.؟ وهذا الذي دفع الملا للانقسام إلى ثلاث طبقات.
- لا يمكن فصل حركة الإصلاح العسكري عن بقية الإصلاحات، فالإصلاح التعليمي ارتبط بالإصلاح العسكري إلى حدٍ كبير.
- كان للأحداث الداخلية والخارجية التي ألمت بالدولة العثمانية في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر الدور البارز في تأخير عجلة الإصلاح، ومنع السلطان سليم من إعطاء جُل اهتمامه لنهج الإصلاح .
- تعرفت دول أوروبا وخاصة فرنسا على طبيعة الحياة العامة في المجتمع العثماني، والتكتيك العسكري بشكل دقيق، وأدركت مدى تأخر الإمبراطورية من الناحية العسكرية. فكان لهذا الضعف الدافع الاستراتيجي الذي شجع فرنسا على غزو مصر.

- على الرغم من دعم السلطان سليم الثالث لمبادئ الثورة الفرنسية إلا انه لم يعقل أهداف الثورة ورسالتها الثورية.
- صاحب نشوب الثورة الفرنسية مجموعة من الأفكار والمبادئ عادت على أوروبا والدولة العثمانية بنهج جديد تبنته مختلف الدول رغم المقاومة الشديدة للحد من هذه الأفكار.
- تعرض السلطان سليم الثالث لخيبة الأمل من قبل حليف استراتيجي وثق به، ألا وهي فرنسا بعد قيامها بغزو مصر، الأمر الذي أسهم في تأخير عجلة الإصلاح.
- اتسمت سياسة الأحلاف التي قام بها السلطان سليم بالطابع المتأرجح، فتارة ينظم إلى فرنسا وتارة أخرى إلى روسيا والنمسا، ويعود ذلك إلى حجم المصلحة التي تقتضي بذلك.
- الأطماع الشخصيّة لنابليون وطموحه بإقامة إمبراطوريّة فرنسيّة عظمى يكون لها السيادة المطلقة في الغرب والشرق دون منازع.
- فتح الاحتلال الفرنسي للأراضي العثمانية في مصر والبحر الادرياتيكي، الطريق لعودة العلاقات الدبلوماسية المتمثلة بالتحالفات الدولية مع بريطانيا الملكية وروسيا القيصرية.
- كان لقبول السلطان الحماية من روسيا القيصرية، بمثابة الخنجر الذي وخز خاصرة الدولة إبَّان الحملة الفرنسية، وبث سمهُ في جسد الدولة حتى اعتراها الضعف من جديد.
- فشل السلطان سليم الثالث في إنهاء الوجود الوهابي في الحجاز؛ بسبب انشغال السلطان بالعديد من المشاكل الداخلية والخارجية؛ الأمر الذي أدى إلى تكالب القوى الثورية ضد السلطان وبرنامجه.
- تراجع قدرة الدولة العثمانية في الحفاظ على الوحدة المحلية للولايات التابعة لمركزية الدولة في اسطنبول.

- كان لسياسة الفتور التي اتبعها السلطان تجاه حكام الولايات في بلاد الروملي، الأثر الواضح في اشتطاط الثوار وقيامهم بأعمال النهب والسلب وزعزعة الأمن.

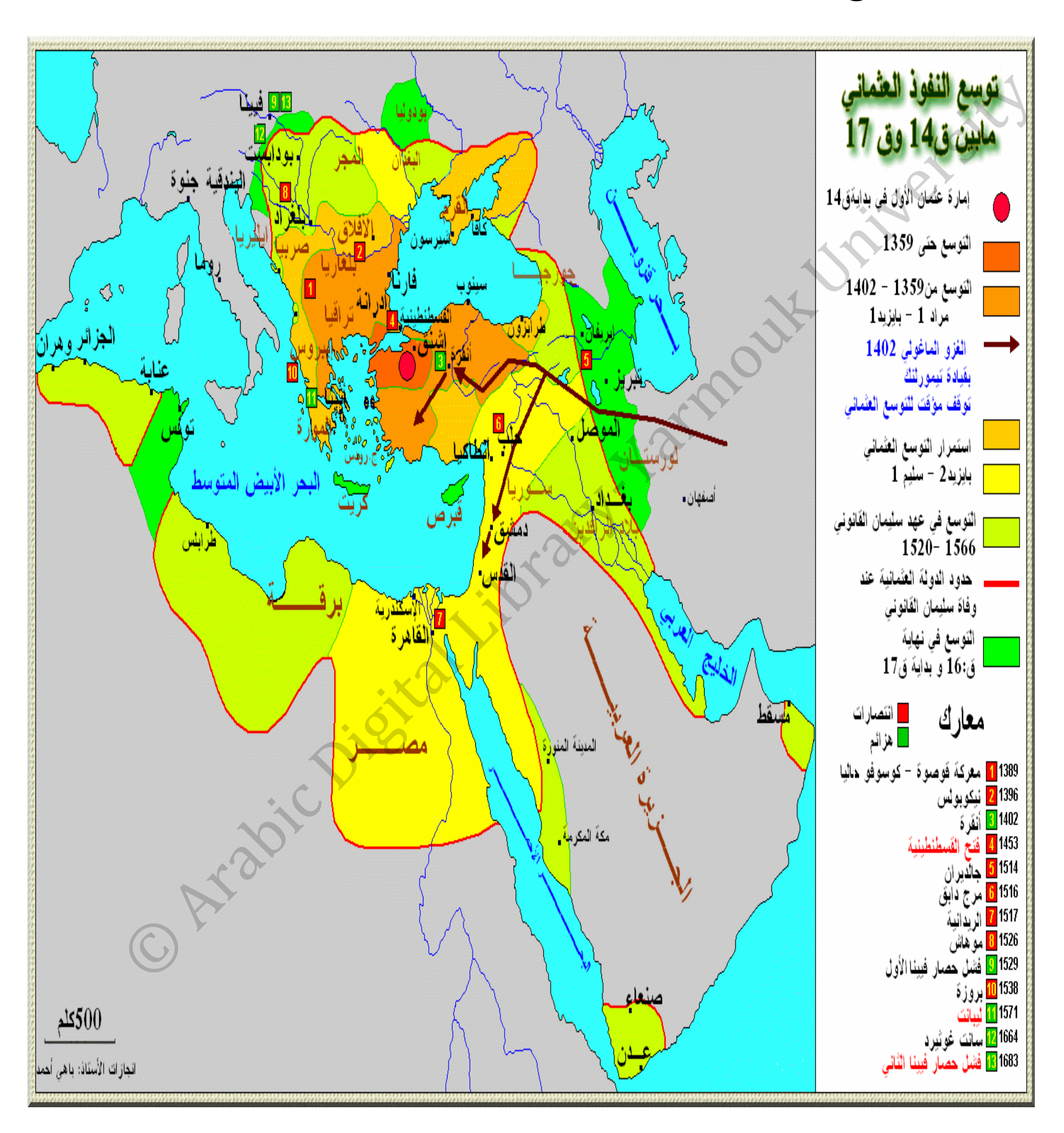
- فقد السلطان غالبية الثقة لدى شعبه؛ جراء الترهل في إحباط تمردات الإنكشارية في الولايات العثمانية.

- لعبت المؤسسة الدينية زمن السلطان سليم الثالث دوراً أقوى من القرون السابقة، وخاصة على الصعيد السياسي.

- رغم الأوضاع السيئة التي ألمَّت بالسلطان وبرنامجه الإصلاحي، إلا أن الدراسة توصلت إلى أنه سار على نهج أسلافه في رعاية شؤون المقدسات الإسلامية.

- أثبت السلطان جدارة في تأليب الرأي العام ضد الوجود الفرنسي في مصر، وحشد حكام الولايات في شمال أفريقيا في تقديم الدعم تجاه مصر والمقدسات الإسلامية.

قائمة الملاحق الرئيسية:



ملحق رقم (١) خارطة الدولة العثمانية منذ النشاة وحتى القرن السابع عشر على الأنترنت.https://www.google.jo/search?q



ملحق رقم (٢) رسم يبين السلطانة كوسم وهي تُرضِع ابنها السلطان مراد الرابع انظر على الويكبيديا:https://ar.wikipedia.org/wiki/



ملحق رقم (٣) رسم تقريبي لظاهر العُمر
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1_%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%85%D8%B1

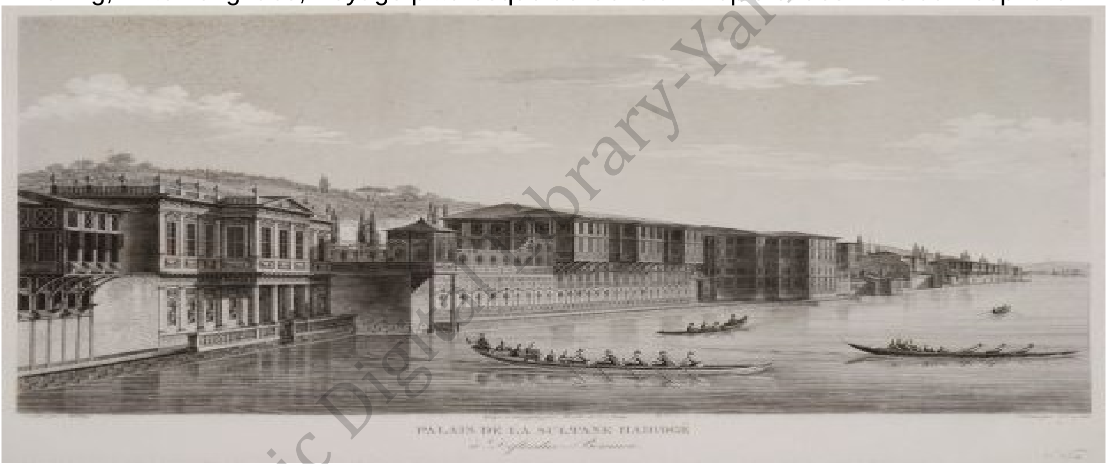


ملحق رقم: (٤) صورة تمثل الصدر الأعظم قرة مصطفى باشا على الرابط:
https://tr.wikipedia.org/wiki/Merzifonlu_Kara_Mustafa_Pa%C5%9Fa#/media/File:Battle_of_Vienna.Kara_Mustapha_Baffa.jpg



ملحق رقم (5) مسيرة السلطان من قصر توبكابي إلى المسجد، في يوم الجمعة.

Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



ملحق رقم (6) قصر خديجة سلطان (شقيقة السلطان سليم) في ديفتيداربورنوDefterdarburnu، على الشواطئ الغربية للبوسفور

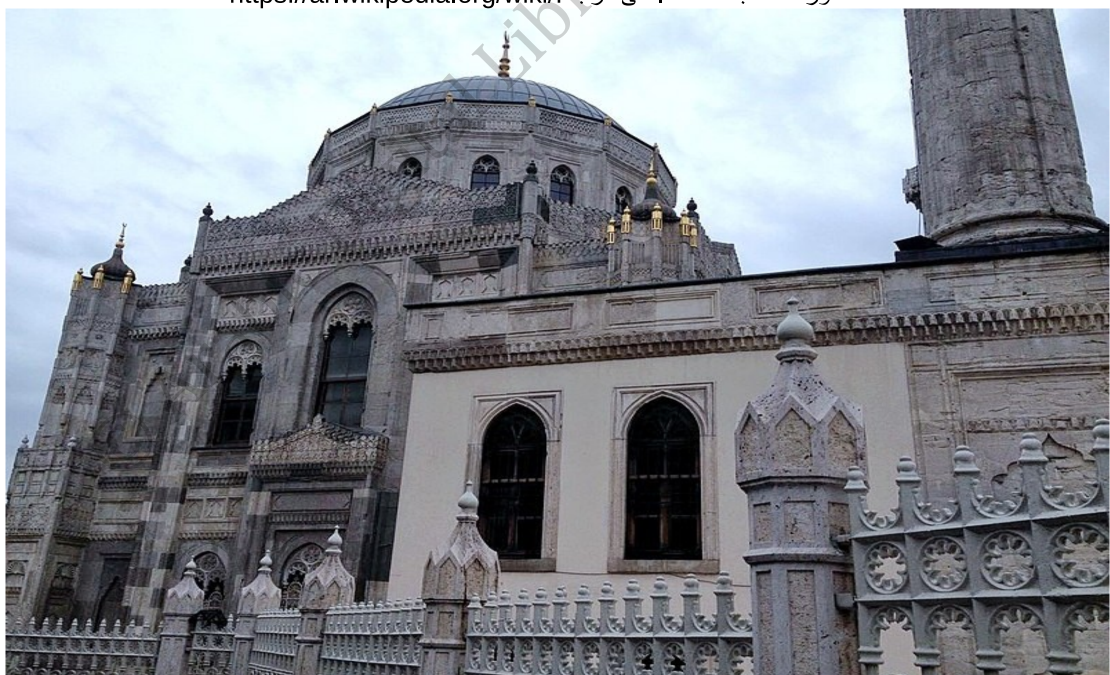
Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



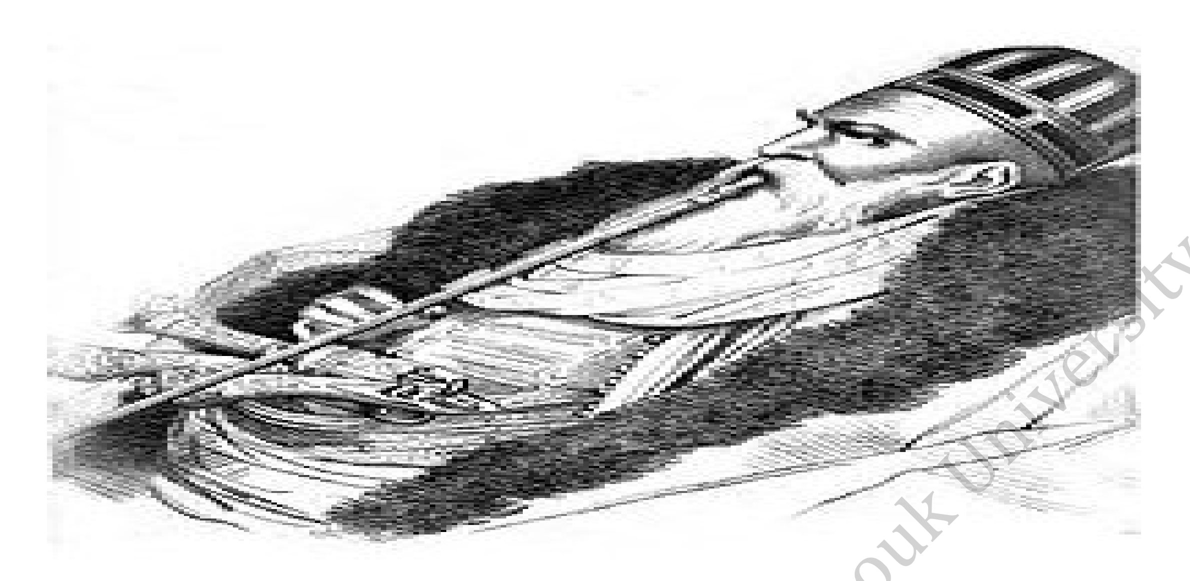
ملحق رقم: (7) صورة العازف المشهور في قصر السلطان سليم الثالث إسماعيل ديدي Hammâmîzâde İsmâil Dede Efendihttps://tr.wikipedia.org/wiki/Hamm%C3%A2m%C3%AEz%C3%A2de_%C4%B0sm%C3%A2il_Dede_Efendi



ملحق رقم: (8)"الأرجوحة" لوحة من عام1767م .Jean-Honoré Fragonarddes Rokoko من فن الروكوكووهوشبيه بتقليد الصور ذات البعد الثالث.على الرابط:https://ar.wikipedia.org/wiki/



ملحق رقم: (٩) جامع السلطانة الأم "پرتفنيال Pertevniyal Valide Sultan Camii" في حي أكسراي بمنطقة الفاتح باسطنبول، مثال على الروكوكوالتركي. على الرابط التالي:https://ar.wikipedia.org/wiki/



ملحق رقم: (10) صورة تبين علي باشا Tepedelenli Ali Paşa قائد الثورة في البانيا ضد السلطان سليم الثالث.على الرابط: https://tr.wikipedia.org/wiki/Tep



الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام

بعد قيام نابليون بقتل الأسرى في **يافا** واصل الغزاة مسيرتهم. وفي ١٨ مارس وصلوا إلى مدينة **عكًا** شديدة التحصين، وكان يقود المقاومة الجزار أحمد باشا يساعده أنطوان دي فيليبو – الذي كان زميلًا لنابليون في الدراسة في بريين، وحاصر الفرنسيون المدينة دون مدافع حصار ذلك أن مدافع الحصار التي كان قد تمّ إرسالها من الإسكندرية بحرًا استولى عليها أسطول إنجليزي بقيادة سيروليم سدني، وسلمها إلى حصن المدينة (عكًا) وراح يزود حاميتها بالطعام والمواد اللازمة في أثناء الحصار.

وفي ٢٠ مايو بعد أن قضى الفرنسيون شهرين أمام أسوار المدينة وتكبدوا خسائر فادحة أمر نابليون بالعودة إلى مصر، وقد ذكر نابليون بعد ذلك متفجعًا: **"إن فيليبو جعلني أتراجع عن عكًا، فلولاه لأصبحت سيد مفتاح الشرق، ولأمكنني الذهاب إلى القسطنطينية واستعادة الإمبراطورية الشرقية"**.

كانت **العودة إلى مصر** على طول الساحل في أيام نحسات متلاحقة، وفي ١٤ يونيو دخل الجيش الفرنسي المنهك **مدينة القاهرة** دخول المنتصر، وعرض سبعة عشر علمًا من أعلام الأعداء وستة عشر أسيرًا تركيًا، كدليل أن الحملة قد حققت نصرًا يدعو للفخر، وكان دخولهم القاهرة بعد رحلة شاقة قطعوا فيها ٣٠٠ ميل في ستة وعشرين يومًا.

عندما سمع **نابليون** أن **العثمانيين** يعدون جيشًا لاستعادة مصر صمم على مواجهة التحدي، فأعدَّ ثلاثة عشر ألفًا من رجاله إلى بلاد الشام، وانطلق في ١٠ فبراير سنة ١٧٩٩م واستولى على **العريش**، وأتم عبور صحراء سيناء، ويبين لنا خطاب كتبه نابليون في ٢٧ فبراير بعض جوانب هذه المحنة: حرارة وعطش "وماء غير عذب تعتريه ملوحة، وأحيانًا لا ماء أبدًا، لقد أكلنا الكلاب والحمير والجمال" ووجدوا في **غزة** – ويا لسعادتهم – بعد معركة قاسية – خضراوات طازجة وبساتين ذوات فواكه لا مثيل لها.

ملحق رقم (11) صورة مقتبسة من كتاب أطلس تاريخ العالم حول سير الحملة الفرنسية على مصر ثم عكا.المغلوث، سامي بن عبدالله، أطلس تاريخ الدولة العثمانية، ص533.

- قائمة المصادر والمراجع:

✓ أولاً : القران الكريم.

✓ ثانياً: الوثائق العثمانية:

- وثائق أرشيف مجلس الوزراء العثماني.(BOV)؛ Başbakanlık Osmanlı Arşivi.

- وثائق الأرشيف العثماني. Ali Emiri ,Selim III fermanlari.

- **<u>BOA, AE.SSLM.III, 24, 1383, 1211, Z, 29.(Ali. Emiri- Selim III)</u>**
- BOA, AE.SSLM.III,10038.
- **<u>BOA, A.{DVNSNMH.d…} 4, 13 ,1204, B, 10.(A.Bab- ı Asafi Name- i Hümayun Defterleri.</u>**
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 4, 15 ,1204, B, 3.
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 4, 22 ,1204, B, 25.
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 4, 35 ,1204, B, 5.
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 9, 230 ,1203, Ş, 20.
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 9, 232 ,1203, N, 20.
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 9, 247 ,1205, Z, 12.
- BOA, A.{DVNSNMH.d…} 9, 283 ,1206, Ca, 25.
- **<u>BOA, C..AS.,1139, 50601, 1222, R, 11.(C.Cevdet; Askeriye).</u>**
- BOA, C..AS.., 64, 3018, 1207,B, 09.
- BOA, C..AS.., 819, 34844, 1223, Za, 09.

- **<u>BOA, C..SM, 48, 2414 ,1203, Z, 29. (C.Cevdet; Saray).</u>**
- **<u>BOA, EV.HMK.SR.d…, 2883 ,1207, Z, 29.(Evkaf; Surre Defterler)</u>**
- BOA, EV.HMK.SR.d…, 2999 ,1211, Z, 29.
- BOA, EV.HMK.SR.d…, 3029 ,1212, Z, 29.
- BOA, EV.HMK.SR.d…, 3215 ,1219, Z, 29.
- **<u>BOA, HAT, 102, 4048 G, 1220, Ra, 03.(Hatt- ı Hümayun)</u>**
- BOA, HAT, 102, 4048 i, 1220, Ra, 09.
- BOA, HAT, 1241, 48261, 1210, Z, 29.
- BOA, HAT, 1301, 50670, 1215, Z, 29.
- BOA, HAT, 1333, 52009, 1215, Z, 29.
- BOA, HAT, 1336, 52112, 1221, Z, 29.
- BOA, HAT, 1391, 55493, 1204, Z, 29.
- BOA, HAT, 142, 5881, 1221,B, 05.
- BOA, HAT, 1471, 66 ,1213, N, 30.
- BOA, HAT, 1485, 6 ,1217, C, 20.
- BOA, HAT, 31, 1448 F ,1220, C, 19.
- BOA, HAT, 339, 19418, 1222, Z, 29.
- BOA, HAT,1332, 51958,1215, Z, 29.

- **BOA, MAD.d.., 6518,1211, R, 29.(Maliyeden Müdevver Defterler)**
- **BOA, TS.MA.d, 16217,1208, R, 9.(Topkapi Sarayi Müzesi Arşivi Defterler)**
- BOA, TS.MA.d, 21130005,1212, Z, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24340008, 1203, B, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24340013, 1203, B, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24340118, 1203, B, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24350001, 1204, M, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24350009, 1204, N, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24350011, 1204, Za, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24360020, 1205, S, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24360024, 1205, C, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24380007, 1207, C, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24420006, 1211, C, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24420009, 1211, N, 29.
- BOA, TS.MA.d, 24450006,1214, C, 29.
- BOA, TS.MA.d, 70, 1217, Z, 29.
- BOA, TS.MA.d, 840, 1219, Z, 29.

- BOA, TS.MA.e, 105, 20, 1208, S, 20.(**Topkapi Sarayi Müzesi Arşivi Evkaf)**
- BOA, TS.MA.e, 201, 25,1220, S, 19.
- BOA, TS.MA.e, 229, 40, 1216, L, 08.
- BOA, TS.MA.e, 243, 5,1203, B, 10.
- BOA, TS.MA.e, 283, 12, 1222,Ra, 02.
- BOA, TS.MA.e, 283, 13, 1222,Ra, 02.
- BOA, TS.MA.e, 298, 16, 1221, L, 20.
- BOA, TS.MA.e, 298, 18, 1221, Ra, 10.
- BOA, TS.MA.e, 356, 13, 1205, Z, 29.
- BOA, TS.MA.e, 356, 14, 1203, Z, 29.
- BOA, TS.MA.e, 396, 91,1203, Ş, 28.
- BOA, TS.MA.e, 428, 26,1214, Z, 29.
- BOA, TS.MA.e, 428, 27,1214, Ca, 29.
- BOA, TS.MA.e, 428, 33,1213, Z, 29.
- BOA, TS.MA.e, 428, 67, 1214, L, 04.
- BOA, TS.MA.e, 447, 22, 1222, Ra, 13.
- BOA, TS.MA.e, 524, 64, 1222, Ra, 21.
- BOA, TS.MA.e, 727, 1, 1203, L, 10.
- BOA, TS.MA.e, 727, 17, 1207, B, 24.

- BOA, TS.MA.e, 728, 1, 1210, L, 11.
- BOA, TS.MA.e, 738, 34, 1205 B, 15.
- BOA, TS.MA.e, 738, 36, 1206, Ra, 21.
- BOA, TS.MA.e, 738, 37, 1206, B, 25.
- BOA, TS.MA.e, 896, 11, 1220, Z, 29.

1- Salname-i Vilâyet-i Cezair-i Bahr-i Sefid ("Yearbook of the Vilayet of Cezair-i Bahr-i Sefid"), Cezair-i Bahr-i Sefid vilâyet matbaası, Rodos [Greece], 1293 AH /1876M.

✓ **ثالثاً : المصادر العثمانية:**

- **جودت، أحمد،** تاريخ جودت، مجلد، تعريب: عبد القادر أفندي الدَّنا، تحقيق: عبد اللطيف بن محمد الحميد، مؤسسة الرسالة، الرياض، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- **راسم، أحمد،** عثماني تاريخي، عدد الأجزاء٤ ، د.ت، د.م، ١٩٠٨م.
- **عاصم، أفندي،** عاصم تاريخي، عدد الأجزاء٢ يقع في مجلد واحد، حوادث مطبعة اسطنبول تركيا، ١٩١٨م.
- **لطفي، أحمد،** تاريخ لطفي، عدد الأجزاء ٢، مطبعة عامرة، اسطنبول، تركيا، ١٨٧٠م.
- **هامر، فون،** دولت عثمانية تاريخي، طقوزنجى جلد، ترجمة: محمد عطا، دار الخلافة العلية أوقاف إسلامية مطبعة سى، ١٣٣٥هـ/١٩١٩م.

✓ **رابعاً: المصادر العربية والمعربة:**

- **أرسلان، شكيب** (1869- 1946م)، التعصب الأوروبي أم التعصب الإسلامي: تعليقات الأمير شكيب أرسلان على كتاب مئة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية (1281-1913م)، تعليق وتقديم: محمد العبده، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1995م
- **الجبرتي، عبد الرحمن ابن حسن** (1241هـ/1825م)، مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس، اختصار وتعليق وفهرسة مواضيعه: محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف؛ مراجعة وتقديم: عبد الستار فتح الله سعيد، دار الأندلس الخضراء، جدة، السعودية،١٩٩٩م.
- ـــــــــــــ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، المعروف، بتاريخ الجبرتي، ضبطه وصححه ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ،١٩٩٧م.
- **الدارندلي، عزت حسن أفندي**، الحملة الفرنسية على مصر في ضوء مخطوط عثماني مخطوطة " ضياء نامه"، دراسة وترجمة: جمال سعيد عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٩م.
- **الديوبندي، أمالي محمد أنور شاه الكشميري الهندي** (ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، فيض الباري على صحيح البخاري، عدد الأجزاء: ٦، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ/ ٢٠٠٥ م.
- **رئيف، محمود**، التنظيمات الجديدة في الدولة العثمانية، عربه وحققه وقدمه له خالد زيادة، جروس برس، طرابلس، لبنان، 1985م.
- **سرهنك، الميرألاي إسماعيل بن عبدالله** (١٨٥٤ – ١٩٢٤م) ، حقائق الأخبار عن دول البحار، عدد الأجزاء ٣، المطبعة الأميرية، بولاق مصر، ١٣١٢هـ/١٨٩٤م.
- ـــــــــــــ، تاريخ الدولة العثمانية، المطبعة الأميرية، بولاق مصر، ١٩٨٨م.
- **الشلبي الطرابلسي**، عبد القادر توفيق، (ت١٣٦٩هـ)، الدرر الحسان في فضائل سلاطين آل عثمان، تحقيق: حسين محمد علي شكري، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، 2009م.

- **<u>الشوكاني، محمد بن علي</u>**، ذكريات الشوكاني، تحقيق: صالح رمضان محمود، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣م.
- **<u>الطبري أبو جعفر ، محمد بن جرير المعروف بالطبري</u>**، (ت: ٣١٠هـ/٩٢٢م)، جامع البيان في تأويل القرآن، عدد الأجزاء: ٢٤، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- **<u>ابن القف الكركي، أبو الفرج أمين الدولة بن يعقوب</u>** (ت:٦٨٠هـ/١٢٨١م)، العمدة في صناعة الجراحة تحقيق وتقديم: سامي خلف الحمارنة، نشر من قبل وزارة الثقافة، ٢٠١٥م.
- **<u>مانتران، روبير(محرر)</u>**، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة:بشير السباعي، عدد الأجزاء ٢، دار الفكر، القاهرة – باريس، ١٩٩٣م.
- **<u>المحامي، فريد محمد بك</u>**، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٦، ١٩٨٨م.
- **<u>مصطفى، السيد</u>**، الإصلاح العثماني في القرن الثامن عشر"نقد حالة الفن العسكري والهندسة والعلوم في القسطنطينية ١٨٠٣م، تحقيق: خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.

✓ **خامساً : المراجع العربية والمعربة:**

- **<u>الأحمد، محمد علي</u>**، سقوط الخلافة: عرب بلاد الشام والدولة العثمانية، دار الإسراء، عمان، 2007م.
- **<u>إحسان أوغلي، أكمل الدين (محرر)</u>**، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ترجمة: صالح سعداوي، منظمة المؤتمر الإسلامي، مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الإسلامية، إسطنبول، تركيا، ١٩٩٩م.

- **آصاف، يوسف أفندي**، تاريخ سلاطين بني عثمان من أول نشأتهم حتى الآن، تقديم: محمد زينهم محمد عزب، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995م.
- **أنيس، محمد**، الدولة العثمانية والشرق العربي 1514- 1914م، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1993م.
- **بدري، مصطفى**، الرؤية السياسية من خلال رسالتي محمد بيرم الخامس: ملاحظات سياسية عن التنظيمات اللازمة للدولة العلية، مصطفى فاضل باشا من أمير إلى سلطان، الدار التونسية للنشر، 1993.
- **برجاوي، سعيد أحمد**، الإمبراطورية: تاريخها السياسي والعسكري، المؤسسة الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، عمان، الأردن، 1993م.
- **بروكلمان، كارل**، الأتراك العثمانيون وحضارتهم، ترجمة نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، 1949.
- **البطريق، عبد الحميد**، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي من عصر النهضة إلى مؤتمر فيينا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٧١.
- **بيومي، زكريا سليمان**، قراءة إسلامية في تاريخ الدولة العثمانية: التحالف الاستعماري اليهودي وتمزيق الدولة الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة، 2009م.
- **تشيرفيلز، كريستيان**، نابليون والإسلام من الوثائق الفرنسية والعربية، تعريب: زين نجاتي، مكتبة الشروق الأهلية، القاهرة، عمان، 2002م.
- **التميمي، عبد الجليل**، الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين، منشورات مركز البحث الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1989م.

- **جرار، حسني ادهم،** أسرار حملة نابليون على مصر والشام، دار الضياء، عمان، الأردن، 1990م.
- **حجار، جوزيف،** أوروبا ومصير الشرق العربي: حرب الاستعمار على محمد علي والنهضة العربية، ترجمة: بطرس الحلاق، ماجد نعمة؛ مراجعة: حسن فخر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٦م.
- **حسن، إبراهيم شحاتة،** أطوار العلاقات المغربية العثمانية: قراءة في تاريخ المغرب عبر خمس قرون(1510 -1947م) منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 1981م.
- **الحسن، عيسى،** تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008م.
- **حسنين، إبراهيم محمد،** سلاطين الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط، دار التعليم الجامعي، الإسكندرية، مصر، 2014م.
- **حسون، علي محمد،** الدولة العثمانية وعلاقتها الخارجية، المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق،1983.
- **حليم، إبراهيم بك،** تاريخ الدولة العلية المعروف بكتاب التحفة الحليمة في تاريخ الدولة العلية، عالم الكتب، بيروت، ٢٠٠٢م.
- **الحمصي، نهدي صبحي،** محمد علي والدولة العثمانية 1811- 1827م، دار الرشاد الإسلامية، بيروت، ١٩٩٥م.
- **الحويري، محمود محمد،** تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، المكتب المصري، القاهرة، 2002م.

- **دسوقي، ناهد إبراهيم،** بدايات الإصلاح في الدولة العثمانية وأثر الغرب الأوروبي فيها (١٨٠٧-١٧٨٩م)، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٦م.
- **دي ليجيبت، كوربيه،** صحف بونابرت في مصر 1798-1801م، 10مجلدات، تعريب: صلاح الدين البستاني، دار العرب البستاني، جمهورية مصر العربية، 1971م.
- **الديوبندي، أمالي محمد أنور شاه بن معظم شاه الكشميري الهندي**(ت١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)، فيض الباري على صحيح البخاري، عدد الأجزاء: ٦، تحقيق: محمد بدر عالم الميرتهي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- **زيادة، خالد،** اكتشاف التقدم الأوروبي: دراسة في المؤثرات الأوروبية على العثمانيين في القرن الثامن عشر، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨١م.
- **زيدان، جرجي،** الانقلاب العثماني، دار الهدى الوطنية، بيروت، 1980م.
- **سلطان، علي،** تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، طرابلس، ليبيا، د.ت.
- **السيد، محمود،** تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2000م.
- **شاهين، ثريا،** دور الكنيسة في هدم الدولة العثمانية، ترجمة: محمد حرب، دار المنايرة، جدة، 1997م.
- شقيرات، أحمد صدقي، تاريخ مؤسسة شيوخ الإسلام في العهد العثماني 828-1341هـ/1922-1425م، دراسة تاريخية- وثائقية شاملة حول مؤسسة شيوخ الإسلام في الدولة العثمانية، عدد المجلدات 2، اربد، الأردن، 2002.
- ـــــــــــــ، معجم الكلمات والألفاظ العثمانية- التركية الدخيلة في اللهجة العامية الأردنية، (معجم لغوي – تراثي – تأصيلي) وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2017.

- **الشلق، أحمد زكريا**، العرب والدولة العثمانية من الخضوع إلى المواجهة ١٥١٦-١٩١٦م، مصر العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **الشناوي، عبد العزيز محمد**، الدولة العثمانية: دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر ، 2010م.
- **طقوش، محمد سهيل**، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة 698 - 1343هـ/1299 -1924م، بيروت المحروسة، بيروت، لبنان، 1415هـ/1995م.
- **عامر، محمود علي**، الدولة العثمانية تتهم سلاطينها، دار الصفدي، دمشق، 1424هـ/ 2003م.
- ــــــــــــــــــ، تاريخ الدولة العثمانية، جامعة دمشق، دمشق، 2004م.
- **العريض، وليد صبحي**، تاريخ الدولة العثمانية: التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية، دار الفكر، عمان، 2012م.
- **العزاوي، قيس جواد**، الدولة العثمانية: قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط٢، 2003م.
- **عمر، عبد العزيز عمر**، دراسات في تاريخ العرب الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1975م.
- **عوض، محمد مؤنس أحمد**، الأتراك العثمانيون تاريخهم وحضارتهم، دار العالم العربي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- **العيسى، محمد فهد**، الدرعية قاعدة الدولة السعودية الأولى، تقديم: حمد الجاسر، مكتبة العبيكان، السعودية، 1415هـ/1965م.
- **غربال، محمد شفيق**، الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول ، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، دار الجليل، 1416هـ/1995م.

- **أبو غنيمة، زياد،** جوانب مضيئة في تاريخ الدولة العثمانية والأتراك، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

- **فليت، كات،** التجارة بين أوروبا والبلدان الإسلامية في ظل الدولة العثمانية، تعريب: أيمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، تاريخ النش، 1999م.

- **كواترت، دونالد،** الدولة العثمانية، تعريب: أيمن الأرمنازي، مكتبة العبيكان، الرياض، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

- **گوندز، أحمد آق،** التشريع الضريبي عند العثمانيين، ترجمة: فاضل مهدي بيات، لجنة تاريخ بلاد الشام ، عمان، الأردن، 2004م.

- **گوندز، أحمد آق، سعيد اوزتورك،** الدولة العثمانية: 303 سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، إسطنبول، تركيا، ٢٠٠٨م.

- **كينروس، جون باتريك،** القرون العثمانية قيام وسقوط الإمبراطورية التركية، ترجمة وتعليق: ناهد إبراهيم دسوقى، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٣م.

- **لورنس، هنري،** "بونابرت والإسلام"،" بونابرت والدولة اليهودية" ترجمة: بشير السباعي، دار مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

- **لورنس، هنري، وآخرون،** الحملة الفرنسية في مصر بونابرت والإسلام، ترجمة بشير السباعي، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.

- **مسعود، جمال عبد الهادي محمد،** صفحات مطوية من تاريخ وحضارة الدولة العثمانية منذ عام 699 حتى عام 1334هـ/1299- 1924م، عدد الأجزاء 2، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الإسكندرية، مصر، 2009م.

- ـــــــــــــــــــــــ، وآخرون، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ الدولة العثمانية، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢، ١٩٩٥م.
- **المنصور، ميمونة حمزة،** تاريخ الدولة العثمانية، دار الحامد، عمان، ٢٠٠٧م.
- **النابلسي، شاكر،** عصر التكايا والرعايا'وصف المشهد الثقافي لبلاد الشام في العهد العثماني(1516 -1918م)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1999م.
- **نجم، زين العابدين شمس الدين،** تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2010م.
- **النعيمي، أحمد نوري،** الحياة السياسية في الدولة العثمانية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م.
- ـــــــــــــــــــــــ، اليهود والدولة العثمانية، دار البشير، عمان، الأردن، بيروت، ٢٠١١م.
- **نونو، أحمد سعيد،** الأكلة حول القصعة" الاستشراق والدولة العثمانية، الروضة الثقافية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م.
- الهاشمي، عبد المنعم عبد الراضي، الخلافة العثمانية، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2004م.
- **وِل ديورَانت، ويليام جيمس ديورَانت** (المتوفى: ١٩٨١ م)، قصة الحضارة، عدد الأجزاء: 42 وملحق عن عصر نابليون، تقديم: الدكتور محيي الدّين صَابر، ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود وآخرون، الناشر: دار الجيل، بيروت - لبنان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م.

✓ **سادساً : الرسائل الجامعية:**

– **الرويلي، ليلى دامس عقيل**، السلطان محمود الثاني وإصلاحاته 1808-1839م، رسالة جامعية (ماجستير) غير منشورة، إشراف: وليد العريض جامعة اليرموك، كلية الآداب (عمان، الأردن)، قسم التاريخ، 2013م.

– **الصمادي، إيناس زكريا**، صدارة آل كوبرولي في العهد العثماني 1656- 1702م، رسالة جامعية (ماجستير) غير منشورة، إشراف: وليد العريض، جامعة اليرموك، (اربد، الأردن)، قسم التاريخ، 2002م.

– **الوذيناني، خلف بن دبلان بن خضر**، الدولة العثمانية حتى عام 1327هـ/1909م، رسالة دكتوراة منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1996م.

✓ **سابعاً: دراسات وأبحاث عربية:**

– **بيات، فاضل مهدي**، الدولة العثمانية في المجال العربي: دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً مطلع العهد العثماني - أواسط القرن التاسع عشر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007 م.

– **مخلوف، ماجدة**، بدايات اتجاه المسلمين إلى الغرب إصلاحات السلطان سليم الثالث 1789-1808م، المجلد 31، د.م، د. ن، 2003م.

✓ **ثامناً: المقالات والموسوعات والمجلات:**

– **الزبيدي، مفيد**، موسوعة التاريخ الإسلامي: العصر العثماني 1516-1916م، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م.

- **عامر، محمود علي**، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية، مجلة دراسات تاريخية، العددان (91-92) أيلول - كانون أول، 2005م.
- **محمد رشيد رضا**، مجلة المنار أنشئت سنة 1315هـ، عدد١١. على المكتبة الشاملة.
- Devsirme" in "Encyclopaedia of the Orient".
- Encyclopaedia of Islam, First Edition 1913- 1936.

✓ **تاسعاً: المراجع الالكترونية:**

- **ادلبي، أحمد**، معاني الألقاب الدمشقية، تاريخ النشر/2009/09/25م. على الرابط التالي:.https://ahmadedilbi.com.
- **ترك برس**، نظام الإصلاحات العثماني وآثاره على الولايات العربية الشام (1839- 1876م) 2015م www.turkpress.com .
- **سليمان، صابرين**، السلطان العثماني سليم الثالث الغازى (1789 – 1807م) تنسيق ومراجعة: مصطفى سعد، مكتبة التاريخ، موقع شذرات ملتقى الباحثين والمفكرين العرب، على الرابط التالي: .http://www.shatharat.net
- **نصار، ناصيف**، مفهوم الأمة في القرآن، تاريخ المقال: في 18 يونيو، 2014م، على الرابط .https://islamonline.net/7617:

١. ويكبيديا الموسوعة الحرة/https://ar.wikipedia.org/wiki.

2. Bosworth, Clifford Edmund ,The Encyclopaedia of Islam: Fascicules: Masrah Mawlid" Books.google.com. Retrieved. 21/8/2017.
3. Phanariote Ottoman OffIcial, The Editors of Encyclop? dia Britannica:20/7/1998. https://www.britannica.com/topic/Phanariote.

4. Türkal, Merve Karaçay, “Ahmed Azmi Efendi’nin Fas Elçiliği,”Mavi Atlas,4/2015.Bağlantıda:http://dergipark.gov.

✓ **عاشراً: المصادر والمراجع الأجنبية**

- **Ahmed, Sayed Z**, Zinat Empire, Majd Suleiman Majnevent and Geoffer. A.E.R. Publicities, 2001.
- **Akbar, M. J**. The Shade of Swords: Jihad and the Conflict Between Islam and Christianity, Routledge, 2002.
- **Akson, ziya Nur**, Osmanlı Tarihi (cilt:6) Siltli: Osmanlı İmparatorluğunun İncelemesi, Tinkidli Siyasi Tarihi, ? tüken Nisriyat, İstanbul, 1994.
- **Alastair Hamilton, Alexander H. de Groot and Maurits H**. van den Boogert (eds.), Friends and Rivals in the East: Studies in Anglo- Dutch Relations in the Levant from the Seventeenth to the Early Nineteenth Century, Leiden, Brill, 2000.
- **Altınay, Ahmet Refik**, K?prülüler, Tarih Vakfı Yurt Yayınları, İstanbul, Eylül 2001.
- **Andrew, Louth, David Ricks**, The Church of Constantinople in the Nineteenth Century Byzantine and Neohellenic Studies (Vol.7), Ivan Sokolov An Essay in Historical Research, Peter Lang AG, International Academic Publishers, Bern 2013.

- **Aronson, Theo**, Napoleon and Josephine: A Love Story. St Martins, (1990).
- **Atel, Esin**, the reign of Sultan Suleiman the Great. Washington, DC: National Art Exhibition, 1987.
- **Author, Reina Lewis**, Rethinking Orientalism: Women, Travel, and the Ottoman Harem Paperback, London: I.B. Torres, 2004.
- **Barber , noel**, the sultans Simon and Schuster, new York, 1973.
- **Basaran,betül**, selim III , social control and policing in Istanbul at the end of the eighteenth century, between crisis and order, Boston - brill,1983.
- **Beydili, Kemal**, Büyük Friedrich ve Osmanlılar: XVIII. Yüzyılda Osmanlı-Prusya Münâsebetleri, Istanbul, 1985.
- ____________,Türk Bilim ve Matbaacılık Tarihinde Mühendishane Matbaası ve Kütüphanesi (1776- 1826), İstanbul, Eren, 1995.
- **Black, Jeremy**, European warfare 1453 – 1815 , USA , st.martin's press , INC , New York,1999.
- **B?rekçi, Günhan,** Factions And Favorites At The Courts Of Sultan Ahmed I (1603- 1617) And His Immediate Predexessors, 2010.
- **Bruce, Evangeline**, Napoleon and Josephine: An Improbable Marriage. NY: Scribner,1995.

- **Charles A. Frazee**, Catholics and sultans : the church and the Ottoman Empire, 1453-1923, Cambridge University Press, London ; New York, 1983.
- **Davis, Claire**, The Palace of Topkapi in Istanbul, New York,1970.
- **Davis, Fanny** (1904-1984), The Ottoman lady : a social history from 1718 to 1918 ,Contributions in women's studies;Greenwood Press, Westport, Conn,1986.
- **Davison, Roderic H**, Essays in Ottoman and Turkish history, 1774-1923 : the impact of the West; Modern Middle East series (Austin, Tex.) ; University of Texas Press, Austin : 1990.
- **Din, Mursi Saad El et al..**, Sinai: the site & the history, essays New York: New York University Press, 1998.
- **Dodwell, Henry**, The Founder of Modern Egypt: A Study of Muhammad ‘Ali. Cambridge, Cambridge University Press, 1967.
- **Douwes, Dick,** The Ottomans in Syria, a history of justice and oppression, I.B. Tauris,2000.
- **Driault, Edouard**, (1864-1947), La question d'orient depuis ses origines jusqu'à la paix de Sèvres, Paris, 1921.

- **Ebubekir, Ceylan**, The Ottoman origins of modern Iraq political reform, modernization and development in the nineteenth century Middle East, I.B. Tauris, London,2011.
- **Edib, halide Adivar**, the middle east collection (turkey face west), Arno ,press, new York times company, new York,1973.
- **Edward J. Erickson**, Defeat in detail: the Ottoman Army in the Balkans, 1912- 1913.
- **Elisabeth A. Fraser**, Mediterranean Encounters: Artists Between Europe and the Ottoman Empire, 1774- 1839, Penn State University Press, 2017.
- **El- Leithy,Tamer**, Military costume of the Ottoman Empire, introduction by Zeitouna, Cairo, Egypt, 2000.
- **Emrence, cem**, remapping the ottoman middle east (modernity , imperial , bureaucracy and the Islamic state), I.B.Tauris, London. New York, 2011.
- **Erginbas, Vefa**, Forerunner Of The Ottoman Enlightenment: Ibrahim Muteferrika and His Intellectual Landscape,Sabancı University, 2005.
- **Erimtan, can**, Ottomans Looking West; The Origins of the Tulip Age and its Development in Modern Turkey, Tauris Academic Studies, London, New York, 2008.

- **Faroqhi, Suraiya, halil Inalcik**, The Ottoman Empire and Its Heritage, Politics, Society and Economy, v28,Brill Leiden Boston, 1983.
- **Faroqhi, suraiya, fıkret A danir**, the ottomans and the Balkans (a discussion of historiography), 1983, brill Leiden, Boston, K?ln, 2002.
- **Faroqhi, Suraiya**, Ottoman Empire and the World around it, TheI.B.Tauris, 2005.
- **Fikri, Soysal**, Tarihi Olaylar Işiğinda :Rumeli Olay Türküleri, 2012, Findley, carter v, bureaucratic reform in the ottoman empire (the sublime Porte ,1789 – 1922), Princeton university press / Princeton ,new jersey, 1980.
- **Frederick C. Schneid**, The Projection and Limitations of Imperial Powers, 1618–1850, Leiden, Boston, 2012.
- **Gabrielle F. Marie**, Choiseul- Guvre Comt Devioug Pettorsque de la Grace,Paris, 1782.
- **G?kbilgin, Tayyip**, "K?prülüler" maddesi; Kaynak:Turkiye Cumhuriyeti Maarif Bakanlığı, İslam Ansiklopedisi
- **Güleryüz ،Ahmet**, The Ottoman Steam Navy, 1828–1923. Naval Inst Pr, 1995.
- **Gürpınar, doğan**, ottoman imperial diplomacy (apolitical , social cultural history) , I.B.Tauris , London New York , 2014.

- **<u>Heper, metin</u>**, turkey and the west changing political and cultural identities, ayse ?ncü and Heinz Kramer, I.B.TAURIS & co LTD publishers, London, new York, 1993.
- **<u>Heyd, Uriel</u>**,"The Ottoman 'Ulema and Westernization in the Time of Selim III and Mahmud II," in Hourani, et al., Modern Middle East, 1961.
- **<u>Howard, Douglas Arthur</u>**, The official History of Turkey, Greenwood Press, 2001.
- **<u>İbrahim, Artuk, Cevriye Artuk</u>**, İstanbul Arkeoloji Müzeleri Teşhirdeki İslami Sikkeler Kataloğu (Cilt II), İstanbul Arkeoloji Müzeleri Nümizmatları, İstanbul, 1974.
- **<u>Imber, colin</u>** , keiko kiyotaki, frontiers of ottoman studies : state, province and the west (volume 1), I.B.Tauris, London , new York, 2005.
- **<u>Itskowitz, auyhor</u>**, ottoman empire and Islamic tradition, normun Itzkowitz, Princeton , newjersy,1978.
- **<u>Janin, Raymond</u>**, Constantinople Byzantine, Institut Français d'Etudes Byzantines, Paris,1966.
- **<u>Jonquière, A. de La vicomte</u>**, Histoire de l'Empire Ottoman depuis les origines jusqu'au traité de Berlin, Hachette, Collection americana, Paris,1881.

- **Karl, Enver Ziya,** Osmanli Tarihi,(V.Cilt)'Nizam-ı Cedid ve Tanzimat Devirleri (1789-1856), Türk Tarih Kurumu Basimevi, Ankara, 1994.
- ________________, Osmanli Tarihi,Turk Tarih Kurumu Yayinlari,13, Turk Tarih, Ankara,1983.
- ________________,Selim III.'ün Hatt-i Hümayunlari, Nizam-I Cedit-Ankara, TürkTarih Kurumu Basımevi, 1988.
- **Kemal H. Karpat**, The Ottoman State and Its Place in World History: Introduction Armenian Research Center collection Social Economic and Political Studies of the Middle East, BRILL, 1974
- **Kinross, Lord,** The Ottoman centuries : the rise and fall of the Turkish empire, Morrow, New York, 1977.
- **Laidlaw, Christineb,** The British in the Levant trade and perceptions of the Ottoman Empire in the eighteenth century, Tauris Academic Studies, London, 2010.
- **Lewis, Bernard,** The Emergence of Modern Turkey, London,1961.
- **Matusitz, Jonathan,** Symbolism in Terrorism: Motivation, Communication, and Behavior, Rowman & Littlefield Publishers, Maryland, 2014.
- **Melling, Antoine Ignace,** Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore, Paris, Treuttel et Würtz, 1819.

- **Mignet, François Auguste**, "History of the French Revolution from 1789 to 1814", Project Gutenberg, 1824.
- **Miller, William**, the ottoman empire and its successors (1801 – 1927),frank cass & co .LTD, London, fourth edition(new impression), 1966.
- **Abu-Manneb, Itzchak Weismann, Fruma Zachs**, Ottoman reform and Muslim regeneration studies in honour of Butrus.Library of Ottoman studies. I.B. Tauris ; Distributed in the United States and in Canada by St. Martins Press, London ; New York, 2005.
- **Mossensohn, Miri Shefer**, Science among the Ottomans, United States of America, 2015,
- **Palmer, Alan Warwick**, The decline and fall of the Ottoman Empire, John Murray, London, 1993.
- **Pamuk, Şevket**, Monetary History of the Ottoman Empire, Cambridge University, Press, 2000.
- **Pardoe, Julia,** (1806-1862)The beauties of the Bosphorus, London, 1838.
- **Pascal W, Firges, Tobias P, Graf, Christian Roth Gülay Tulasoğlu**, Well-Connected Domains Towards an Entangled Ottoman History, Leiden, The Netherlands,2014.

- **Pascu, Giorge**, Călători străiniîn Moldova si Muntenia în secolul XVIII: Carra, Bauer si Struve Iaşi: Institutul de Arte Grafice Bravo,1940.
- **Paxton, Roger Viers**, Russia and the First Serbian Revolution: A Diplomatic and Political Study. The Initial Phase, 1804- 1807,Department of History, Stanford University, 1968.
- **Phillion, Christine m**, biography of an empire (governing ottomans in an age of revolution), university of California press LTD, London , England, 2011.
- **Raoulx, Docteur,** Le Bagne de Toulon, Editions Les Kiosques, 1929.
- **Rauf Yektâ, Elhân Esâtî- I** ,(Cüz:3). Dede Efendi, İstanbul 1925.
- **Robison, Samuel Shelburne**, History of Naval Tactics from 1530 to 1930,The Evolution of Tactical Maxims, The U.S. Naval Institute, 1942.
- **Sahillioglu, Halil**, Ottoman history and civilisation series; Studies on Ottoman economic, and social history, Istanbul :1999.
- **Sajdi, dana, ottoman tulips** , ottoman coffee leisure and lifestyle in the eighteenth century, Tauris academic studies , London , new York, 2007.
- **Salzmann, Ariel**, Tocqueville in The Ottoman Empire and its heritage Includes bibliographical references and index. Leiden ; Boston : Brill, 2004.

- **Schneid, Frederick C**, Napoleon's Conquest of Europe: the War of the Third Coalition. Westport, CT: Greenwood Publishing Group, 2005.
- **Shaw, Stanford J**, Ezel Kural Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern Turkey: Volume 1, Empire of the Gazis: The Rise and Decline of the Ottoman Empire 1280- 1808,Cambridge U.P, 1976.
- ________________, history of the ottoman empire and modern turkey, Volume 2 ; reform , revolution , and republic , the rise of modern turkey (1808 – 1975) Cambridge university press, Britain, fourth edition,1987.
- ________________, Between old and new; the Ottoman Empire under Sultan Selim III, 1807- 1789 Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1971.
- **Soloveytchik, George**, Potemkin, Soldier, Statesman, Lover and Consort of Catherine of Russia W.W. Norton, 1947.
- **Swallow, Charles**, The Sick Man of Europe: Ottoman Empire to Turkish Republic 1789- 1923, London & Tonbridge,1973.
- **Tott, François, baron de**, (1733- 1793); Mémoires du baron de Tott, Volume:3 ,Amsterdam, americana,1784.
- **Türkmenoğlu, Şener**, Eyüp Bir Semt'e G?nül Ver, ABC Kitabevi, 2005.
- **Uzunçarşılı, İsmail Hakkı**, "Kaynarca Muahebesinden sonraki Durum Icabi Karadeniz Bogazinin taksimi" Belleten, XLIV, 1980.

- ________________,(Cilt: 2). Kısım, XVI. Yüzyıl Ortalarından XVII, Yüzyıl Sonuna kadar, Türk Tarih Kurumu, Altıncı Baskı, Ankara, 2011.
- **Vahid Cabuk, K?prülüler**, Kültür ve Turizm Bakanlığı Yayınları, **1. Baskı, İstanbul, 1988.**
- **Veyrenc, Charles Jacques**, Bulgaria Nagel's encyclopedia-guide,(2 ed.), Nagel,1981.
- **Vucinich , wayne s**, the ottoman empire (its record and legacy), D.van nostrand company ,INC Princeton, newjersey,1965.
- **Weber, Max 'Bureaucracy**" in Weber's Rationalism and Modern Society, translated and edited by Tony Waters and Dagmar Waters, Palgrave-Macmillan 2015.
- **Y.İzzettin Barış**, Osmanlı padişahlarının yaşamlarından kesitler, hastalıkları ve ?lüm sebepleri. Bilimsel Tıp Yayınevi, 2002.
- **Zeine, zeine n**, the emergence of Arab nationalism (with a background study of Arab – Turkish relations in the near east), third edition, Lebanon by imprimerie catholique, 1973.
- **Zorlu, Tuncay**, Innovation and empire in Turkey Sultan Selim III and the modernisation of the Ottoman Navy, Tauris Academic Studies ; In the United States of America and Canada distributed by Palgrave Macmillan, London ; New York : 2008.

انتهت الدراسة بحمد لله...

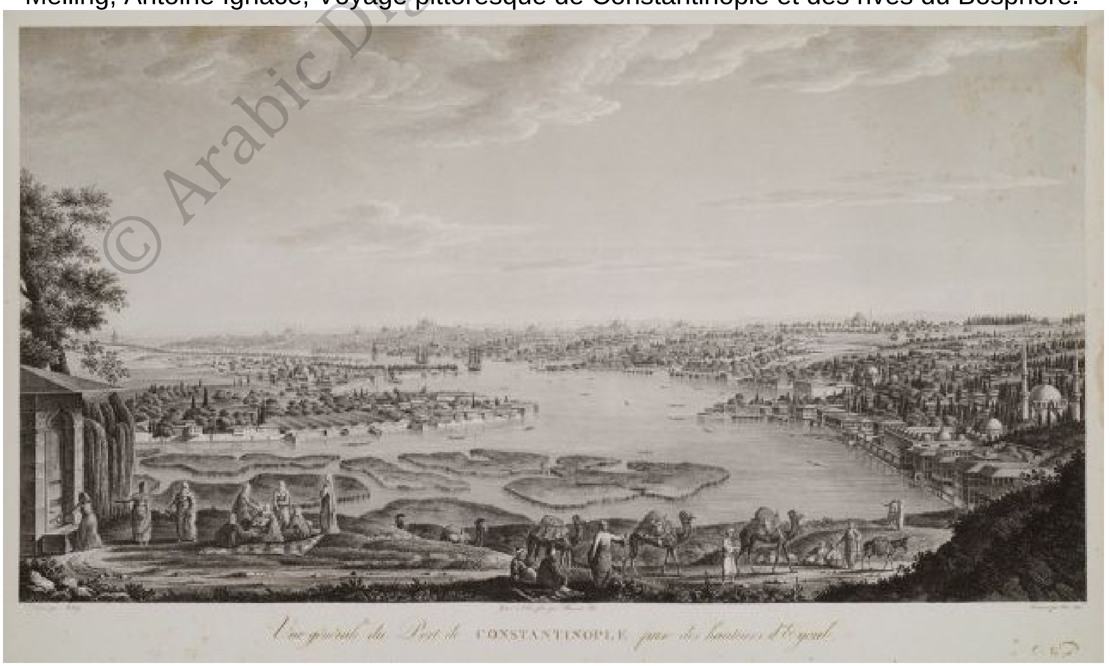
والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قائمة الملاحق الثانوية:



طغراء خاصة بالسلطان سليم الثالث.

Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



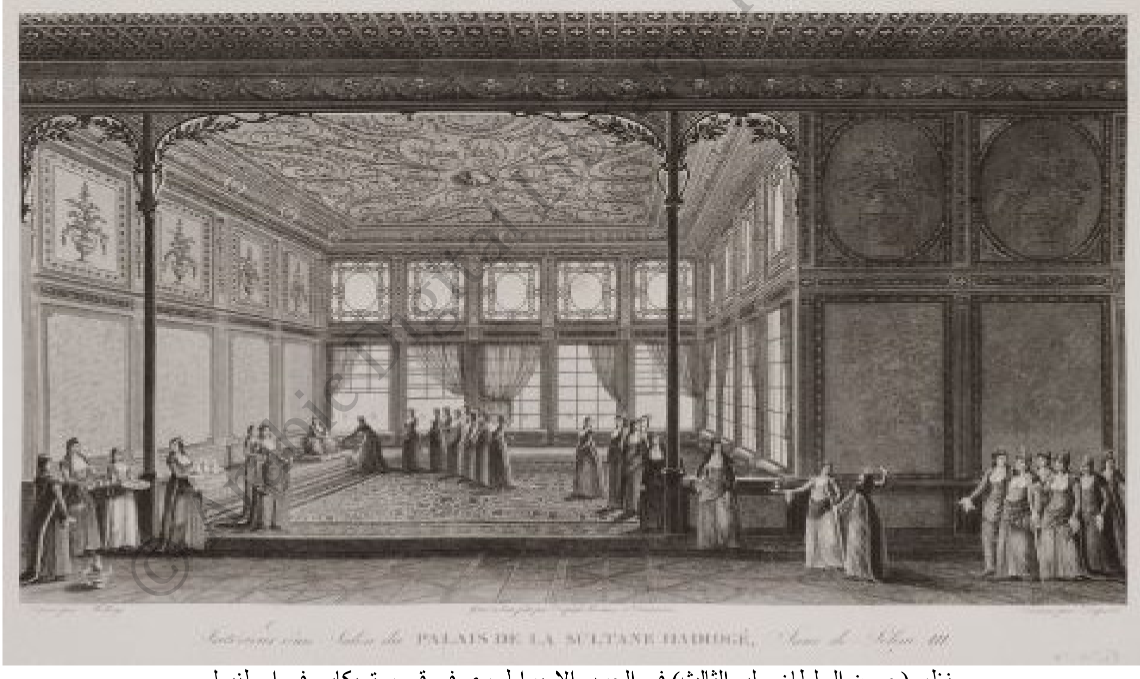
صورة تمثل القرن الذهبي وبعض القوافل التي تسير على ضفاف الشاطئ.

Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore, Paris, Treuttel et Würtz, 1819.



صورة لبعض السفن العثمانية في مضيق الدردنيل.

Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



منظر (حصن السلطان سليم الثالث) في الحريم الإمبراطوري في قصر توبكابي في اسطنبول.

Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



مضمار سباق الخيل في القسطنطينية. في الخلفية المسلات من الأباطرة البيزنطية، وعلى يسار مسجد السلطان أحمد الأول .
Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



كشك البحر هذا الكشك مخصص للسلطان سليم الثالث في بيبيك، على الشواطئ الأوروبية للبوسفور. في هذا الكشك السلطان ومسؤولون عثمانيون آخرون من الرتب العالية.
Melling, Antoine Ignace, Voyage pittoresque de Constantinople et des rives du Bosphore.



Küçüksu Mihrişah Sultan Ceşmesi كشك السلطانة الأم مهرشاة والدة السلطان سليم الثالث
http://www.degisti.com/index.php/archives/8116.

Abstract

Bani issa, Mohammad Ali Rashad, Ottoman Sultan Selim III and his Reforms /"The new Arrangement" (AH 1223-1203 /M 1808-1789) Irbid, Jordan, 2018. (Supervisor: Dr. Waleed Sobhi Al - Arayed)

This study sheds the light on a historical period related to the Ottoman Empire, a period of reformation, the Selim III Reformation or what was also known as the "New Order" (1789- 1808).

The study provides an analytic presentation to the Selim III Reformation and how this Reformation set him as a leader of reformation and a window over the western progress. Finally, the study reflects on the procedures which Selim III adapted for the sake of saving the empire from internal and external threats and how these procedures ultimately led to his tragic assassination.

This study consists of the author's note, a preface, three chapters, a conclusion and the preferences list.

The First chapter demonstrates a clear picture of the empire conditions preceding Selim III, a period of utter corruption spread in the military and administrative institutions and how this corruption played a major role in the revolutions of the empire's states. Revolutions which did not except any region or sect, The revolution of Al- Addm family in Ash-Sham, The Galilions in Mosul, The Safavids in Iraq, The Wahhabism doctrine in the Arabic peninsula and other movements which made the reformation road full of obstacles in front of the 17th century Ottoman Sultans such as Murad IV, Mahmoud I, Mustapha III and Abedlhamid I.

The second chapter demonstrates the life of Selim III, from childhood to prior inauguration then demonstrating specifically the first conditions, challenges, opposition and supporters following his inauguration.

The chapter also demonstrates the first challenges which Selim III had to face at all aspects, interior policy represented by social and economic reformation, foreign policy represented by the military campaign against Austria and Russia and the bilateral ties with France which had two branches: interior, in terms of copying the French Reformation after the revolution and external, in terms of allying against the Austrian-Russian threat.

The third chapter concentrates on Selim III first reformation procedures at all aspects; the military, administrative, economic and social aspect. The chapter puts a scoop on the true nature of the procedures and how ultimately led to some certain outcomes most important the growing opposition which will ultimately lead to the conspiracy against the sultan.

The fourth chapter is the keystone of the study taking on the Selim III Reformation known as “The New Order” and the regarding consequent outcomes on both the interior and foreign levels.

On the interior level, several states revolutions ultimately erupted at the beginning of the 19th century along side with several rebellions amongst the Janissaries.

On the foreign level، Napoleon’s campaign on Egypt (1798- 1801) takes over most of the content as well as a glimpse
on The English- Russian coalition against the empire.

The chapter concludes by demonstrating how all these factors led ultimately to the Janissaries and religious leaders victory over Selim III
and his death.

The conclusion states out several subjective logical outcomes of the study. List of references**.**